ط/0250

البراهين القاصفة

لتمويهات متبعي الفلاسفة

تأليف العالم العلامة مفتي الديار المزابية صاحب المساعي
الحميدة والاراء السديدة محي السنة المحمدية
الشيخ الحاج صالح بن عمر بن داود
ادام الله توفيقه وانالـه
في الدارين مناه

عني بطبع هذا الكتاب وتصحيحه المفضال الغيور سيدي
ابو بكر بن ابراهيم

الحاج اسعيد محمد بن ايوب
غرداية ميزاب
HADJ-SAID Mohamed Ben Youb
GHARDAIA M'ZAB

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع في شهر ذي الحجة الحرام عام ١٣٤٢

مطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد ١١ = تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المتفرد بايجاد الكائنات . المتوحد بتدبير جميع الممكنات . المنفرد بتسخير المخلوقات . من جميع الجمادات والحيوانات . المختص بانبات مبهج الحدائق ولفيف الجنات ، فسبحانه من الاه قاهر قدير . خالق باريء مصور خبير . جل عن الشريك والنظير . وتعالى عن المعين والوزير . وتقدس عن ان يدرك بحس او ضمير . نحمده على نعمه التي لا تحصى . وفنون احسانه التي لا تستقصى . ومن اجلها انعامه على عباده ببعثة الانبياء دعاة الى توحيده عن الانداد والشركاء . والى الاقرار بانه خالق لجميع الاشياء . معصومين عن الكذب والافتراء . مبرءين عن النقائص حسا ومعنى . ولا سيما ارسال اجلهم واعظمهم وامامهم دنيا واخرى سيدنا محمد المخصوص بمزيد التبجيل والاصطفاء . المنزل عليه « سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى » . صلى الله عليه وعليهم عدد نجوم السماء ، وعلى اله

واصحابه المدحضين شبه اهل الشك والاهواء . وبعد فيقول راجي عفو الغفور الودود . صالح بن عمر بن داود . قد كنت فيما مضى وضعت رسالة كشفت الغطآ . عما شحنت به المقالة الشنعاء . من اقبح الافك والخطاء . واسمج الفحش والبذاء . الصادرة من بعض من تنكب عن الهدى وتجرد من لباس المروءة والحيآء . فجاءت بحمد الله رسالة تلقاها ملتمسوا الحق بالبشر والرضا . اذ كانت لهم هدى وشفاء من تلبيسات متبعي الهوى . وامتعض منها المعرضون عن اتباع الحق الاجلى الطاعنون في اسلوب المصطفى وهدي البررة الاتقياء . واثرت في قلوبهم تاثير نار الغضى . واثارت ما كمن فيها من العداوة والبغضاء . فقاموا عند ذلك وقعدوا . وابرقوا من لفحها وارعدوا . وقعقعوا الشنان وفرقعوا . ومن غير طحن جعجعوا . واستفرغوا وسعهم في تلفيق كلمات هجرية . وفقر فحشية . يشمئز من سماعها كل ذي طبع سليم . وبذلوا جهدهم في اختلاق اكاذيب لا يلتفت اليها الا ذو فهم سقيم . وروجوا تلبيساتهم وبهرجوا حتى طوح بهم اللدد والعناد والاستكبار عن قبول الحق والتمادي في الفساد على تزوير مقالة نشرت في جريدة الاتحاد . موافقة لما عليه الطبيعيون في الاعتقاد . فافتضحوا بها اي افتضاح بين الانام . فانها سجلت عليهم بمخالفة شريعة الاسلام فعند ذلك طلب مني بعض اجلة

الاخوان . ان اضع رسالة تبين ما في تلك المقالة وغيرها من تلبيسات الهذيان . وتظهر ما فيها من ضروب الافك والبهتان . فاجبت مطلوبهم غيرة على الملة الحنيفية . واسعفت مرغوبهم للذب عن اهل النحلة المرضية ، فقد قال بعضهم « ان من حقوق الله على عباده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان » وسميتها « البراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة » ومن الله اطلب التوفيق . الى سلوك اقوم الطريق . فاقول مبتدئا بالرد على ما في مقالتهم الدهرية . اذ هي اقبح شقاشقهم الافكية ، لا يخفي على ذى انصاف ما في تلك المقالة من الانحراف عن الحق والاعتساف . لموافقتها اعتقاد الطبيعيين . ومخالفتها لما عليه جميع الموحدين . في كلمات عديدة . ومواضع منها متعددة وقد ابتداها بالكذب والتراريه . والاعجاب بنفسه والتنويه للتلبيس على الضعفة والتمويه . فمن عدوله عن النهج القويم الذي لا يخفى الا على ذي فهم سقيم . عنونته تلك المقالة المنحرفة عن الصراط المستقيم بالعلم والتعليم . فانه من وضع اللفظ لغير مقتضاه وتسمية الشيء بضد معناه . قال ابن الرومي :

سميت احمد مظلوما ولست به ☆ كلا ولكن من الاسماء مقلوب

فالحري بها ان تسمى بالجهل والتضليل . لمخالفتها السنة والاجماع والتنزيل . وسيتضح ذلك ان شاء الله بادلة وبراهين لا تقبل التاويل فمن اعجابه بنفسه قوله (لست اول من يقف ويتكلم عن فوائد العلم والتعليم ومزاياهما ومآثرهما فقد سبقتني الملايين من النبغاء والفلاسفة الذين انبتتهم الامم الى الخطابة والكلام والبحث في هذين الموضوعين المهمين) فان هذا منه وضع لنفسه فوق منزلتها . ووصف لها بغير حليتها . وانتحال لما لم يكن من اهله كما تشهد بذلك حاله قديما وحديثا عند كل من له معرفة باول امره واخره من معاشريه من ابناء جنسه بل ومن غيرهم . فقد طال ما نوه بتجره وسلعه في الصحف فهو فلسي لا فلسفي ومن خطله شغفه بالفلاسفة ورضاه عنهم اذ جعلهم قدوته فيما تصدى له من اظهار مزايا العلم والتعليم في زعمه ومتقدموه في اظهار مآثرهما ، ورغب عن ذكر من تقدم في ذلك من اساطين علماء المسلمين . كانه لم ير احدا منهم بين شرفهما . وحض على الاشتغال بهما . ام عدوله عن هؤلاء الى اولئك لنكتة عنده . . . ؟ فليت شعري ما هذه النكتة . . . ؟ الرؤيته الكمال في المرغوب فيهم علما وتعليما وارشادا . . . ؟ ام لتصويبه اياهم وموافقته لهم اخلاقا واعتقادا . اعاذنا الله من الخذلان او ما يدري انهم منشا الالحاد واساس الزندقة والعناد . قال الخوارزمي في كتابه مفيد العلوم

«الفلاسفة قوم من اليونانيين تحذلقوا في المعقولات حتى وقعوا في وادي الحيرة والخباط وتحيروا في الالآهيات وبنوا مقالاتهم على التشهي المحض والدعاوي الصرف ويزعمون انهم اكيس خلق الله وسياق مذهبهم يدل على انهم اجهل خلق الله واحمق الناس واساس الالحاد والزندقة مبني على مذهبهم والكفر كله شعبة من شعبهم ثم اعتقاد الفلاسفة ان الآلهة ثلاثة المبدا والعقل والنفس وقضوا بكون العقل والنفس ازليين وزعموا ان الحركات ازلية سرمدية الى غير ذلك فهم مشركون ملحدون لعنهم الله » وقال ابن القيم « واما زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه ولا يؤمنون بمبدإ ولا معاد وليس العالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء عالم بكل شيء امرناه مرسل الرسل ومنزل الكتب مثيب المحسن ومعاقب المسيء وليس عند نظارهم الا تسعة افلاك وعشرة عقول واربعة اركان وسلسلة ترتبت فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين اشبه منها بمجوزات العقول » وقال الغزالي في فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة « يجب قطعا تكفير من ينكر حشر الاجساد والعقوبات الحسية في الاخرة بظنون واوهام واستبعادات وهو مذهب اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعلى لا يعلم الا نفسه اولا يعلم الا الكليات .

فاما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم قطعا » ومثل هؤلاء القوم لا تكاد نفس المسلم الغيور تسمح بالالتفات الى مقالهم فضلا عن ان تلهج به او بتنظير فعلها بصنيعهم او تستصوبه بسبقهم اليه وتقدمهم فيه . فقد ذكر ابن خلدون « ان المسلمين لما فتحوا ارض فارس ووجدوا فيها كتبا كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب ليستاذنه في شانها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء او في النار فذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا «ثم يقال لهذا المتكلف اي امة نبذتك انت الى الخطابة وابرزتك الى التكلم في هذين الموضوعين...؟ اهي امتك التي تصفها بالسقوط عن اوج الفضل الى حضيض الجهل...؟ ام الامة التونسية التي اعارك بعض اراذلها لفظة الشيخ مداجاة لك ومصانعة مع علمهم بخلوك عن الفهم والعقل واتصافك بالهوس والخبل ...؟ ام ترى انك اهل لذلك التقدم مستحق له غير محتاج فيه لغيرك كما احتاج اليه من سبقك . .؟ فما احمق من جهل قدر نفسه واحتقر ابناء جنسه واستعماله انبته الى كذا بمعنى قدمه اليه في قوله انبتتهم الامم الى الخطابة مما يفتخر به على سائر الخطباء والكتاب اذ لم يوجد

لنشيره بهذا المعنى فلله دره من حافظ . واما قوله (ويستحيل ان ينقطع الانسان عن الاهتمام بالعلم والتعليم ما دام انسانا) فكلام فاسد المعنى عند ارباب الحجى واي استحالة هذه ...؟ اعقلية ...؟ ام عادية ...؟ كلا ليست واحدة منهما وما الوقت الذي لا يكون الانسان فيه انسانا ...؟ واي اهتمام بالعلم والتعليم عند الانسان الاول المخلوق في زعمه ساذجا مشا كلا للعجماوات ...؟ ام يرى انه في ذلك الوقت لا يسمى انسانا ...؟ وهو مقتضى كلامه بعد كما ستقف عليه ان شاء الله . واما قوله (العلم والتعليم شيئان مقترنان لا يقبلان انفكا كا عن بعضهما بحيث لا سبيل لتصور علم خال عن التعليم ولا لتعليم بغير علم) فنظير ما قبله في الفساد والاضطراب والتنكب عن صوب الصواب فان دعواه التلازم بين العلم والتعليم بديهي البطلان فكثيرا ماترى حصول التعليم بدون حصول علم في المتعلم لعايق ما كغفلته اوفقده للفطنة والذكاء . قال النابلسي في الحديقة الندية « التعلم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم » واما قوله (ولا ينكر هذه الحقايق الناصعة الا المغرض الانساني المحتكر الواقف عثرة في سبيل النهوض) فتعريض بالشتم لمن ينهاه عن قطع طريق الله سبحانه على العباد وعن تثبيطهم عن التزود للمعاد وينبه الناس على تغريره لهم واضلاله اياهم بتزهيدهم في الاشتغال

بتعلم العلوم الشرعية وحثهم على الرغبة في تعلم العلوم العقلية وتحصيل المعارف الدنيوية مخيلا لهم انها السبب في مساجلتهم للدول بل لاستلائهم عليها وقهرهم لها وهو النهوض الذي يمنيهم والحرية التي مازال يعدهم بها يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا» وقد خدع بهذه الاماني الباطلة والدعاوي العاطلة كثيرا من ضعفاء الراى وسخفاء العقول في ابنايهم واموالهم يوريهم ان لا وسيلة للتقدم الى الامام الا بالرجال والاموال فيعطونه صبيانهم على وجه التعلم لاحياء وطنهم في زعمه فيشغلهم بتعلم مالاينفعهم اويضرهم من العلوم الفلسفية ونحوها زاعما انهم بها ينالون السلطنة والاستيلاء على من غلبهم من الدول وياخذ منهم الاموال على رسم الانفاق على اولايك الابناء وعلى شؤون التقدم في زعمه والارتقاء وما غرضه الوحيد في الحقيقه الا التحيل على اقتناص اموال الناس ولما تفطن كثير منهم لهذه الحبالة تاخروا عنه واحجموا واسفوا على ما أخذ منهم وندموا حين لم يظفروا بطايل ولم يفوزوا بخير نايل

الفصل الاول

واما قوله (ان نحت الحجارة وصنع اللبن واقامة البناء وقطع الاخشاب وفلاحة الارض وتربية المواشي وجز الاوبار والاصواف وحفر الابار والغزل والحياكة وجر الاثقال وطبخ الطعام وتركيب

الادهان ووضع الاصباغ وسبك المعادن ودبغ الجلود وخياطة الثياب وصنع الادوات وتركيب الالات والادلال بالكلم على المعاني واختراع الكتابة وابتكار الارقام والصفر وبيع العروض ونقل المتاع وفرض الاتاوات وولاية الاحكام وما شاكل ذلك من الصناعات التي لا يخلو منها مجتمع بشرى لهذا العهد كلها علوم اكتشفها الانسان في عصور مختلفة الخ) فسفسطة وكذب لا يروجان الا على من افرط في الغباوة . او غلا في التعصب له بغضا لاهل الحق وعداوة . لانه ان اراد بالعلم معناه اللغوي الذي هو تصور الشيء وادراك النسبة فمغالطة اذ ليس النزاع فيه ولم نر احدا اخرج من العلم بهذا المعنى اللغوي معرفة تلك الحرف التي ذكرا وغيرها حتى ضرب العود ولعب الشطرنج وادعاءه على خصمه اخراجها من العلم من هذه الحيثية محض كذب وعدوان وان اراد بالعلم معناه الشرعي وهو الذي يحق ان يتنافس فيه المتنافسون . ويرتغب فيه المرتغبون . لكونه وسيلة الى نجاة صاحبه من العذاب الاليم . والفوز بالنعيم المقيم فهو رجل خارج من العقل . والج في ظلمة الجهل . ايزعم ذو مسكة من العقل ان معرفة الصنائع وما شاكلها من جملة العلم الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه في قوله « وقل رب زدني علما » ومن العلم المفروض طلبه على كل مكلف كما في

قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة » ومن ذا الذي يدعي ان الماهر في الدباغة او الحجامة او تسوية الطوب من جملة الموصوفين بايتاء العلم الشريف الموجب للكمال دنيا واخرى داخلون في قوله تعلى « يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » وفي اولي العلم الذين استشهد الله بهم على اجل مشهود وهو توحيده سبحانه في قوله « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » وفي العلماء المخصوصين بالخشية من بين الناس وفهم الامثال المضروبة لهم في قوله عز من قائل « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله تعلى « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » الى غير ذلك من الايات المنوهة بشرف العلم واهله ؟ . . . . او يزعم انهم من جملة من شمله قوله صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الانبياء » وقوله عليه السلام « ان طالب العلم يستغفر له كل شي حتى الحيتان في البحر » وقوله صلوات الله عليه « اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل » وقوله عليه السلام « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء » وقوله عليه الصلاة والسلام « فضل العالم على العابد كفضلي

على ادنى رجل من اصحابي » وقوله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » الى غير ذلك من الاخبار الكثيرة الواردة في مدح العلم وذويه...؟ فمن زعم ان نحت الحجارة وتسوية الطوب وما شا كلهما من جملة العلم الذي نوهت بشانه الايات القرءانية. والاخبار النبوية وءاثار الايمة المرضية. فقد جار عن قصد السبيل عمدا. وجاء شيئا اداً. وجعل نفسه بهذه السوءى. ضحكة للثكلى. كيف لا والعرف العام يشهد بفساد مقاله. وقبح ضلاله. وسوء حاله. فان امهر الدباغين او الاساكفة او الرعاة او الحجامين. لو دخل على احد فقال له مرحبا بالعالم النحرير. واهلا وسهلا بالعلامة الاثير. نعد ذلك منه كل من سمعه تهكما عليه واستهزاء. لا مدحا له وثناء. فقد بان لمن توخى الانصاف ان علم الصنائع وما شا كلها ليس من العلم شرعا ولا عرفا فعده من جملة العلوم الممدوحة المنوه بقدرها المامور باشتغال المرء بها وقطع عمره في تحصيلها لا نافة فضلها على جميع اعمال البر حتى الجهاد محض جهالة واعتساف واسناده اظهار هذه الصنائع واختراعها للانسان بدون تعليم الله في قوله كلها علوم اكتشفها الانسان في عصور مختلفة هو اعتقاد من يرى ان المعلم الاول للانسان هو الحاجة لا الله سبحانه وهو معتقد منكري الصانع من الطبيعيين والدهريين

واما المؤمن بالله سبحانه فلا يرى الاشياء كلها الا منه ولا يضيفها الى غيره فلو كان هذا مؤمنا حقا لم يسند اكتشافها الى الانسان مع قوله سبحانه « وعلم ءادم الاسماء كلها » وقوله « علم الانسان ما لم يعلم » الى غير ذلك من الايات والاثار الناطقة بان علم الصنائع والحرف بتعليم الله سبحانه ووحيه والهامه وما المانع له ان يقول كلها علوم علمها الله الانسان او الهمه اياها سوى انه يرى ان الحاجة هي المعلم للانسان كما سيصرح به فنعوذ بالله من الفسوق بعد الايمان واما قوله (ومن الخطل اخراج المعرفة لها عن موضوع العلم وممارسة الناس اياها عن التعليم) فمن ترويج الباطل وتزيينه. واخفاء الحق وتسفيهه. لكن ما ذا يجديه هذا الهذيان. مع ما تقدم لنا من ادحاضه بالبيان. الذي ظهر به خطأه عند الخاص والعام حتى النساء ومميزي الصبيان. واتضح لديهم ان الامر على عكس ما يعتقد. وان الحق غير ما يتفوه به ويعتمد، وان الخطل هو ما يحاول من ادخال معرفة هذه الصنائع وما شا كلها في موضوع العلم شرعا وعرفا ثم اقول بخ بخ بفيلسوف ونابغة ابرز نفسه لاظهار مزايا تعلم الحرف والصنائع من نحو نحت الاحجار ودبغ الجلود وجز الاوبار وليت شعري ما المزية التي فيها..؟ واي نتيجة وثمرة لها..؟ سوى انه تعالى جعلها نظاما لامر الدنيا واسبابا لرزق من اراد الله ان يرزقه بها ومن

ذا الذي يجهل هذا . . ؟ حتى يشتغل ببيانه والترغيب في اقتنائه بل لا عجب فان كل احد يميل الى ما يلائم سوسه . ويتكلم على حسب ما يوافق توسه فمن نشا في اول عمره على اتباع اذناب النواضح والحمر في صناعة الفلاحة ونحوها لا يتعجب من تبرزه لاظهار مزايا الحرف الدنيوية دون العلوم الدينية لجريه على خيمه وطبعه فقد قال شارح الاحياء « ان الله تعلى فرق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسر كلا لما خلق له وجعل الاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية . وعقولا بالمعارف لائقة وامزجة لطيفة . وابدانا لينة مستصاحة . ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والتجارة والبناءة جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كدة وامزجة غليظة وابدانا خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك من المحال ان يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة ذلك تقدير العزيز العليم » واما قوله (ومن كان في شك من ذلك فما عليه الا ان يلفت بصره الى مبدا تاريخ الانسان) الخ فنظير ما قبله في التمويه والتلبيس فان من الفت نظره الى مبدا تاريخ الانسان . وكان مصدقا بالقرءان . علم علما يقينا بان مقالته هذه مجرد اختلاق وافتراء . مخالفة لجميع شرائع الانبياء . لاتفاق الكل ان الله

الخالق لجميع الاشياء . والمتصرف فيها كيف شاء . لا علة ولا معلول ولا طبيعة ولا مطبوع بل الله صانع . وما سواه مصنوع ، لا الاه الا هو الحي القيوم .

الفصل الثاني

من سقطاته القبيحة . التي البس بها نفسه ثوب الفضيحة ، قوله (كان الانسان في النشاة الاولى ساذجا فطريا مشا كلا للعجماوات في الاحوال والاطوار والمالوفات ينتجع الكلا ويرد الغدران وينزل الكهوف والغيران) الى اخر هذيانه الشنيع ، وافكه الفظيع . فانه لا ينكر احد ممن يثبت الصانع فضلا عمن يدعي الاسلام ان الانسان الاول هو صفي الله ءادم صلوات الله عليه وسلامه ومبدا تاريخ الانسان ونشاته الاولى هو حال ءادم وخلقته قطعا لنصوص قرءانية . واخبار نبوية واجماع الامة . فمن النصوص القرءانية قوله تعلى « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » الى اخر القصة قال الرازي عند تفسير الآية « اعلم ان هذه الآية دالة على كيفية خلقة ءادم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله اياه فيكون ذلك انعاما عاما على جميع بني ءادم ويكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي اوردها في هذا الموضع » وقال ابو حيان في البحر

في تفسيره للاية « ومناسبتها اي الآية لما قبلها انه لما امتن عليهم
بخلق ما في الارض لهم وكان قبله اخراجهم من العدم الى الوجود
اتبع ذلك ببدء خلقهم وامتن عليهم بتشريف ابيهم وتكريمه
وجعله خليفة واسكانه دار كرامته واسجاد الملائكة له تعظيما
لشانه وتنبيها على مكانه واختصاصه بالعلم الذي به كمال الذات
وتمام الصفات ولا شك ان الاحسان الى الاصل احسان الى الفرع
وشرف الفرع بشرف الاصل » وقال في النهر « ثم ذكر تعالى
مبدا عالم الانسان وحاله فقال واذ قال ربك للملائكة والخطاب
للنبيء صلى الله عليه وسلم وفيه خروج من الخطاب العام في
قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض الى الخطاب الخاص
في قوله ربك وفي الخطاب هز لاستماع ما يذكر بعده من
غريب افتتاح هذا العالم الانساني وشيء من احواله ومثاله
ومنها قوله تعلى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ
مسنون » الاية قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري « يقول
تعالى ذكره ولقد خلقنا ءادم وهو الانسان من صلصال ثم
اخرج بسنده الى ابن عباس انه قال في الاية قال خلق ءادم
من صلصال من حمإ ومن طين لازب » وقال الرازي في تفسيرها
ايضا « ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث
لا اول لها واذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث الى

حادث اول هو اول الحوادث واذا كان كذلك فلا بد من
انتهاء الناس الى انسان هو اول الناس واذا كان كذلك
فذلك الانسان الاول غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا
لا محالة بقدرة الله تعالى وقوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان
اشارة الى ذلك الانسان الاول والمفسرون اجمعوا ان المراد منه
هو ءادم عليه السلام » وفي البحر عند تفسير الاية الكريمة
« لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما
يستقرون فيه نبههم على مبدإ اصلهم ءادم وما جرى لعدوه ابليس
من المحاورة مع الله تعالى » وفي الارشاد « ولقد خلقنا الانسان
اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا
منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا من صلصال من
طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره من حمإ
من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء مسنون اى مصور من
سنة الوجه اى صورته اومصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ
على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في
القوالب الى ان قال ومساق الاية الكريمة كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على
المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد
للجمع والاحياء » ومنها قوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » فقد روى
الرازي في تفسيره « عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل
ان الانسان في الاية ءادم عليه السلام » وقال ابن جرير
« حدثنا الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله
من سلالة من طين قال استل ءادم من طين وخلقت ذريته من
ماء مهين » وقال ابن كثير في الاية « يقول تعالى مخبرا عن ابتداء
خلق الانسان من سلالة من طين وهو ءادم عليه السلام خلقه الله
من صلصال من حمإ مسنون » والضمير في قوله « ثم جعلناه
نطفة » عايد الى الانسان وفيه مضاف مقدر اي نسله ويجوز
تقديره في اول الكلام اي ولقد خلقنا اصل الانسان فالمراد
بالانسان على هذا الجنس وقيل الكلام جار على طريقة
الاستخدام وهو ان يراد بالانسان ءادم وبالضمير العايد اليه
معناه الاخر وهو ما تناسل منه وايا ما كان فالاية دالة على
ان اول الانس ءادم وانه خلق من طين ومنها قوله تعالى « وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين »
قال صاحب روح البيان « وبدأ خلق الانسان من بين جميع
المخلوقات وهو آدم ابو البشر عليه السلام من طين الطين التراب
والماء المختلط وقد سمي بذلك وان زال عنه قوة الماء ثم جعل
نسله اي ذريته سميت به لانها تنسل من الانسان اي تنفصل

من سلالة اى من نطفة مسلولة اى منزوعة من صلب الانسان
ثم ابدل منها قوله من ماء مهين حقير وضعيف وهو المني »
ومنها قوله تعلى « انا خلقناهم من طين لازب » وخلقهم من طين
في ضمن خلق اصلهم منه وهو ابوهم آدم او في الكلام مضاف
مقدر اي انا خلقنا اصلهم من طين ومنها قوله تعلى « يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » والمراد من النفس
الواحدة وزوجها ءادم وحواء عليهما السلام قال ابن كثير في
الاية يقول تعلى ءامرا خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا
شريك له ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة
وهي ءادم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليها
السلام خلقت من ضلعه الايسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ
فرءاها فاعجبته فانس اليها وانست اليه وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء اي وذرا منهما اي من ءادم وحواء رجالا كثيرا ونساء
ونشرهم في اقطار العالم . على اختلاف اصنافهم وصفاتهم . والوانهم
ولغاتهم . ثم اليه بعد ذلك المعاد والمحشر ومنها قوله تعلى « هو
الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »
وقوله جل وعلا « يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب ثم من نطفة » الآية وقوله تبارك اسمه « واذ

قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين » وقوله جل شانه « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » وقوله سبحانه « خلق الانسان من صلصال كالفخار » الى غير ذلك من الايات الناطقة بنشأة ءادم عليه السلام وخروج ذريته منه وانه اصل لجميع الناس

الفصل الثالث

واما الاخبار النبوية فمنها حديث ابي موسى الاشعري عند احمد وابي داود وغيرهما واللفظ للاول « قال حدثنا يحي ابن سعيد ومحمد بن جعفر قالا حدثنا عوف قال حدثني قسامة بن زهير قال ابن جعفر عن قسامة ابن زهير عن ابي موسى عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق ءادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ءادم على قدر الارض جاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » قال ابن كثير بعد ان ساقه « وقد رواه ابو داود والترمذي من طرق عن عوف الاعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح » والمراد من قبضه تعلى قبض الملك الذي امره بالقبض وهو عزرائيل عليه السلام كما في الخبر الاخر وقيل القبض تمثيل لعظمته تعلى وقهره للاشياء واستلائه عليها اي خلقه من الارض التي تحت قدرته وقهره والله اعلم . ومنها حديث عائشة عند

احمد ومسلم واللفظ له « قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ءادم عليه السلام مما وصف لكم » قال شارح المرقاة « مما وصف لكم على بناء المفعول اي مما بينه الله لكم في قوله خلقه من تراب وقوله خلق الانسان من صلصال من حمإ مسنون وقوله اني خالق بشرا من طين ولعل كثرة ما ورد في حقه مع اشتهارها اوجبت الابهام في قوله مما وصف لكم » ومنها حديث ابي هريرة عند مسلم ايضا قال « اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ءادم بعد العصر يوم الجمعة في ءاخر الخلق وءاخر الساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل » ومنها حديثه ايضا عند البخاري ومسلم واللفظ للاول « عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ءادم وطوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على اولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ءادم فلم يزل الخلق ينقص حتى الان » ومنها حديث أنس عنده ايضا « قال حدثنا قيس بن

حفص حدثنا خالد بن الحرث حدثنا شعبة عن ابي عمر ان الجوني
عن أنس يرفعه ان الله يقول لاهون اهل النار عذابا لو ان لك
ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به قال نعم فقال قد سالتك
ما هو اهون من هذا وانت في صلب ءادم ان لا تشرك بي شيئا
فابيت الا الشرك ومنها حديث ابي هريرة عنده ايضا « قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر الحديث وفيه على خلق رجل واحد على
صورة ابيهم ءادم ستون ذراعا في السماء » ومنها حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في الدر المنثور من تخريج مالك في الموطا
واحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابي داود والترمذي
وحسنه والنساءى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن
حبان والاجرى في الشريعة وابي الشيخ والحاكم وابن مردوية
والالكائي والبيهقي في الاسماء والصفات عن مسلم بن يسار
الجهني عنه قلت ولفظ الموطا « مالك عن زيد ابن ابي انيسة عن
عبد الحميد بن عبد الرحمان بن زيد بن الخطاب انه اخبره عن مسلم
بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه
الاية واذا اخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا
كنا عن هذا غافلين فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يسئل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تبارك وتعالى خلق ءادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح
ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل
النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله
الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار » ورواه ابو داود
من طريقين احداهما عن القعنبي عن مالك به الثانية عن محمد بن
المصفي عن بقية عن عمر بن جعفر القرشي عن زيد بن ابي انيسة
عن عبد الحميد بن عبد الرحمان عن مسلم ابن يسار عن نعيم بن
ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب الحديث والمراد بمسحه تعالى
ظهر ءادم عليه السلام بيمينه تعلق قدرته تعالى بخروج ذريته منه
وتوجه ارادته عز وعلا الى ذلك لاستحالة ظاهر اللفظ عنه تعالى
فوجب تاويله بما يليق بشانه سبحانه ومنها حديث عبد الله بن
عمرو عند ابن جرير قال بسنده الى الضحاك و مجاهد » عن
عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عله وسلم واذ اخذ
ربك من بني ءادم من ظهورهم ذرياتهم قال اخذوا كما يوخذ بالمشط

حفص حدثنا خالد بن الحرث حدثنا شعبة عن ابي عمر ان الجوني
عن أنس يرفعه ان الله يقول لاهون اهل النار عذابا لو ان لك
ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به قال نعم فقال قد سالتك
ما هو اهون من هذا وانت في صلب ءادم ان لا تشرك بي شيئا
فابيت الا الشرك ومنها حديث ابي هريرة عنده ايضا « قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر الحديث وفيه على خلق رجل واحد على
صورة ابيهم ءادم ستون ذراعا في السماء » ومنها حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في الدر المنثور من تخريج مالك في الموطا
واحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابي داود والترمذي
وحسنه والنساءى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن
حبان والاجرى في الشريعة وابي الشيخ والحاكم وابن مردوية
والالكائي والبيهقي في الاسماء والصفات عن مسلم بن يسار
الجهني عنه قلت ولفظ الموطا « مالك عن زيد ابن ابي انيسة عن
عبد الحميد بن عبد الرحمان بن زيد بن الخطاب انه اخبره عن مسلم
بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه
الاية واذا اخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا
كنا عن هذا غافلين فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يسئل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تبارك وتعالى خلق ءادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح
ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل
النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله
الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار » ورواه ابو داود
من طريقين احداهما عن القعنبي عن مالك به الثانية عن محمد بن
المصفي عن بقية عن عمر بن جعفر القرشي عن زيد بن ابي انيسة
عن عبد الحميد بن عبد الرحمان عن مسلم ابن يسار عن نعيم بن
ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب الحديث والمراد بمسحه تعالى
ظهر ءادم عليه السلام بيمينه تعلق قدرته تعالى بخروج ذريته منه
وتوجه ارادته عز وعلا الى ذلك لاستحالة ظاهر اللفظ عنه تعالى
فوجب تاويله بما يليق بشانه سبحانه ومنها حديث عبد الله بن
عمرو عند ابن جرير قال بسنده الى الضحاك و مجاهد » عن
عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عله وسلم واذ اخذ
ربك من بني ءادم من ظهورهم ذرياتهم قال اخذوا كما يوخذ بالمشط

من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » ومنها حديث معاوية في الدر المنثور من تخريج الطبراني وابن مردوية « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اخرج ذرية ءادم من صلبه حتى ملؤا الارض وكانوا هكذا فضم احدى يديه الى الاخرى » ومنها حديث ابن عمر في الدر المنثور من تخريج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردوية والبيهقي في شعب الايمان « ان النبيء صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بأبائها الناس رجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو ءادم وخلق الله ءادم من تراب قال الله يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى قوله خبير ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »

الفصل الرابع

واما الاجماع فلم ينقل عن احد من الامم المثبتين للصانع خلاف في ان اول البشر ءادم عليه السلام وان مبدأ تاريخ

الانسان ونشأته الاولى هما حال ءادم وخلقته وانما الخلاف في انه هل كان قبل ءادم عليه السلام خلق مماثل لنوع البشر فانقرض ثم خلق ءادم بعده ام لا والصحيح الموافق للاحاديث النبوية والاثار المروية عن الثقاة انه ليس قبل ءادم عليه السلام خلق مثله وانما المخلوق قبله الملايكة والجن وكثير من الحيوانات كما نطق بذلك القرءان العزيز قال ابن خلدون في مقدمة الجزء الثاني من تاريخه « نقول ان النسابين كلهم اتفقوا على ان الاب الاول للخليقة هو ءادم عليه السلام كما وقع في التنزيل الا ما يذكره الاخباريين من ان الجن والطم امتان كانتا فيما زعموا من قبل ءادم وهو ضعيف متروك » وقال الشيخ اسماعيل رحمه الله في القواعد « ان الانس كلهم المطيع منهم والعاصي ذرية ءادم النبي التقي الامين صلوات الله على نبينا وعليه » وقال الالوسي في تفسير قوله تعالى يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة « والمراد من النفس الواحدة ءادم عليه السلام والذي عليه الجماعة من الفقهاء و المحدثين ومن وافقهم انه ليس سوى ءادم واحد وهو ابو البشر وذكر صاحب جامع الاخبار من الامامية في الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه ان الله تعالى خلق قبل ابينا ءادم ثلاثين ءادم بين كل ءادم وءادم الف سنة وان الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين الف سنة ثم عمرت خمسين الف سنة ثم

خلق ابونا ءادم عليه السلام وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد
عن الصادق في حديث طويل ايضا انه قال لعلك ترى ان الله
تعلى لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الف الف ءادم انتم
في ءاخر اولئك الادميين وقال المتيم في شرحه الكبير على النهج
ونقل عن محمد بن علي الباقر انه قال قد انقضى قبل ءادم الذي هو ابونا
الف الف ءادم او اكثر وذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته ما
يقتضي بظاهره ان قبل ءادم باربعين الف سنة ءادم غيره وفي
كتاب الخصائص ما يكاد يفهم منه التعدد ايضا الان حيث روى
فيه عن الصادق انه قال ان لله تعالى اثني عشر الف عالم كل عالم
منهم اكبر من سبع سموات وسبع ارضين ما يرى عالم منهم ان
لله عز وجل عالما غيرهم وانى للحجة عليهم ولعل هذا وامثاله
من ارض السمسمة وجابر ساوجا بلقا ان صح محمول على عالم
المثال لا على هذا العالم الذي نحن فيه وحمل تعدد ءادم في ذلك
العالم ايضا غير بعيد واما القول بظواهر هذه الاخبار فمما لا يراه
اهل السنة والجماعة بل قد صرح زين العرب بكفر من يعتقد
التعدد نعم ان ءادمنا هذا عليه السلام مسبوق بخلق ءاخرين
كالملائكة والجن وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه
الا الله تعالى لا بخلق امثاله وهو حادث نوعا وشخصا خلافا لبعض
الفلاسفة في زعمهم قدم نوع الانسان » اه كلامه والصحيح

الذي هو كالمجمع عليه القول بانه تعالى لم يخلق من نوع الانسان
غير ءادم وذريته وخلافه باطل لا اصل له ولا يلتفت اليه وما
اوردناه من النصوص القرءانية . والاحاديث النبوية . براهين
قاطعة . وحجج ساطعة . على ان اصل البشر كلهم صفي الله
ءادم عليه السلام وانه الانسان الاول وان النشأة الاولى الانسان
هي خلقته . ومبدأ تاريخ الانسان ليس الا حال ءادم واوانه .
وما نقل عن محمد عبده ذي التاويلات المنكرة الفاسدة والمستبعدة .
من انكاره دلالة هذه الاية نصا وظاهرا على ان المراد بالنفس
الواحدة ءادم وادعاءه اباء ظاهر الاية ذلك محض مكابرة ، لانه
لا يخفى عمن له ادنى فهم في العربية . فضلا عمن يدعي بلوغه
فيها المرتبة العلية . ان ضمير الخطاب من خلقكم راجع الى الناس
الشامل لجميع البشر وقد صرح هو نفسه بذلك في قوله « وقوله
تعالى يايها الناس خطاب عام ليس خاصا بقوم دون قوم ولفظ
الناس اسم لجنس البشر والمراد بالبشر هذا الحيوان الناطق البادئي
البشرة المنتصب القامة الذي يطلق عليه لفظ الانسان » كما ان
ما نقل عنه ايضا من ان ليس في القرءان كله نص اصولي قاطع
على ان جميع البشر من ذرية ءادم انكار للبراهين القطعية . وميل
الى ما عليه باحثوا الافرنج ودهريوا الصينيين واختياره على
النصوص القرءانية والاحاديث النبوية ، ومن ذا الذي ينكر

ان ما اوردناه من الايات والاحاديث ليست نصوصا قاطعة على ذلك ولاسيما قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ...؟ ولقد بسطنا الرد على هذه المسئلة في رسالة مستقلة . رددنا عليه فيها بعض مسائل ركب فيها متن الضلالة . والحاصل انه لا ينكر تلك النصوص القاطعة . او يصف ءادم عليه السلام بالسذاجة ومشاكلة العجماوات الا المصادم للنصوص الشرعية . والجاهل بفضل ذوي المراتب العلية . فان معرفته عليه السلام والتصديق بنبوته ورسالته من الواجبات عند الجمهور . وجهله فضلا عن انكاره مما لا يسع على المشهور . قال ابو الربيع سليمان ابن يخلف رحمه الله في باب ما لا يسع الناس جهله من كتاب التحف « وعليهم معرفة الاب الاكبر ابينا ءادم عليه السلام باسمه ونبوته ورسالته الى اولاده وانه اول المرسلين الى ان قال وعليهم ان يقصدوا بولايتهم الى كل من لا يسعهم جهله مثل جبريل من الملايكة ومحمد وءادم من الانبياء عليهما السلام وعليهم معرفة جملة النبيئين انهم من نسل ءادم » وقال الشيخ ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم في الدليل والبرهان عند تفسيره لكلام الشيخ ابي الربيع « ومسئلة ابينا ءادم صلى الله عله وسلم فيها ثلاث مسايل وفي كل مسئلة اربع مسايل كمسايل جبريل عليه السلام اما الثلاث فاولها ان يعرفه باسمه ءادم انه الاب الاكبر لا اب قبله والثانية انه

نبي وعلى الناس معرفة نبوته والثالثة انه رسول رب العالمين الى اولاده وانه اول المرسلين وان جميع الرسل التي على الناس معرفة رسالاتهم عليهم ان يعلموا انهم من نسله ويومنوا بهم والدليل على ان اسمه ءادم موجود في كتاب الله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني ءادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فهذا الذي يلزم الاقرار به المقرين بالقرءان والكتاب والاجماع مغن في هذا » وقال ابو عمرو رحمه الله في السؤلات « علينا ان نعلم ان ءادم عليه السلام رسول الى اولاده مالم تقطعهم الشريعة » وقال ايضا « فان قال لم اعرف ءادم فقد اشرك واثبات نبوته بالسنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين قال من كان اول الانبياء قال ءادم صلوات الله عليه فقلت يا رسول الله اكان نبيئا مرسلا قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته اليد القوة والقدرة والروح الحياة التي جعلها الله فيه الخ » وفي شرح نونية ابي نصر للشيخ اسماعيل رحمهما الله « وعليه ان يقصد الى الاب الاكبر ءادم اب البشر فيتولاه » وفيه ايضا « وعلينا ان نعلم ان لله جملة الانبياء والرسل ونقصد الى ءادم عليه السلام ونتولاه ونعلم انه اول الرسل ونقصد الى محمد عليه السلام فنتولاه ونعلم انه ءاخر الرسل » وقال صاحب روح البيان من الحنفية

ومن قال ءامنت بجميع الانبياء ولا اعلم ءادم نبيء ام لا فقد كفر » وقال ايضا عن هدية المهديين « من قال ءامنت بجميع الانبياء ولا اعلم ءادم نبي ام لا يكفر ومن لم يعرف ان سيدنا محمدا عليه السلام خاتم الرسل لا نسخ لدينه الى يوم القيامة لا يكون مومنا » وقيل يسع جهل ءادم عليه السلام على من لم تقم عليه الحجة به واما انكاره فلا يسع اجماعا وفي السؤالات « ومن العلماء من يحط معرفة آدم عليه السلام » وقال الشيخ اسماعيل رحمه الله في شرح النونية « قال ابو يعقوب في جواباته قد اوجب بعض الفقهاء معرفة آدم عليه السلام باسمه وانه اول الانبياء وانه اول الرسل قال هذه الثلاثة مسائل مبنية على الراي اذ ليس في الكتاب نص في ايجابه ولا في السنة اثر فان كان فمستخرج واما التسمية فانما اقتبس الناس معرفته من القرآن والتواتر من غير ان ينص في القرآن ان علينا معرفته وانه ابونا ونحن ذريته لكنه اخبرنا كما اخبر عن كثير من اخبار بني اسراءيل والاخبار الماضية وليس في ذلك ما يوجب علينا معرفته واما نبوته ورسالته فليس في القرءان ما يدل عليهما نصا ولا استخراجا ولكن المسلمون قد اثبتوا نبوته ورسالته ولم يختلفوا فيهما ولن تجتمع امة محمد على ضلال ولهذا قال بعض العلماء ليس علينا من معرفة الاسم والنبوة

والرسالة شيء » قلت وقد تقدم عن السؤالات ان اثبات رسالته عليه السلام من حديث ابي ذر ايضا . (فائدة) قال الشيخ قاسم الشماخي في شرح اللولوة « قال اصحابنا ان ءادم عليه السلام ارسل الى اولاده ولم يذكروا حواء مع عدهم اياه من اهل الكافة وكثيرا ما استشكل ذلك حتى رأيت في كتاب كنز الاسرار ما نصه واختلف في وقت تعلم ءادم عليه السلام الاسماء هل كان نبيئا مرسلا وبه قال المعتزلة قال الامام الرازي الاقرب ان يكون مبعوثا في ذلك الوقت الى حواء اه. فزال إشكالي والله الحمد »

الفصل الخامس

ثم ان صاحب هذا المقالة الشوهاء ، والكلمات السوءا قد ورط نفسه بقوله « كان الانسان في النشأة الاولى ساذجا فطريا مشاكلا للعجماوات » الخ بين خطتي كفر لانه ان زعم ان النشاة الاولى للانسان غير خلقة آدم وانه ليس بالانسان الاول او انه لم يخلق من تراب ومن طين وصلصال فهو مشرك برده النصوص القرآنية . والاحاديث النبوية واجماع الامة المحمدية . وان اعترف بذلك وادعى انه خلق متصفا بالسذاجة التي هي الخلو من العقل والعلوم وبمشابهة الحيوانات

التي لاعقل لها ولا تمييز ولا نطق في الاحوال والاطوار والمالوفات
فقد اشرك ايضا بارتكابه طعنا شنيعا . وتنقيصا فضيعا اصفي
الله آدم عليه السلام ومجتباه قال تعالى « ان الله اصطفى ءادم
ونوحا » وقال سبحانه « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »
وسب الانبياء والطعن فيهم وتنقيصهم شرك يحل به الدم اجماعا
قال في النيل « ويشرك بمنصوص عليه انه مسلم ويباح دمه
وان بتخطية بلسانه او تجوير ورمي بكفر وذم وان لافعالهم
وبفعل يوجب تنقيصا شوهد منه او اقر به او بين عليه او
شهر عنه مالم يتب » وأي ذم وتنقيص اعظم من وصف
نبيء الله بالخلو من العلم والعقل ومعرفة الله وبمشاكلته العجماوات
في المالوفات والاطوار والاحوال ...؟ أعاذنا الله بمنه وكرمه
من الزيغ والضلال ، أم يرى هذا الجاهل المتعجرف ان آدم
عليه السلام خلق صبيا عاريا عن العقل والعلوم والتميز في
اول أمره كذريته ...؟ كلاّ ما هذا الا تخيل فاسد . لا يصدر
الا من ذي جهل زائد . فان من تامل فيما ذكر الله سبحانه في
شان خلقته . وتعليم الاسماء له تحقق انه مخالف في خلقته
لذريته. وقد قال ابو الربيع سليمان بن يخلف في التحف وابو عمرو
في السوالات رضي الله عنهما واللفظ للاول : « فان سال سائل
عن ابينا آدم صلى الله عليه وسلم كيف الزمه الله التكليف

الجواب في ذلك ان ابانا آدم عليه السلام خلقه بالغا صحيحا
مكلفا مامورا منهيا ليس كغيره من ذريته وقيل فيه ايضا
خلقه الله ثم ركب فيه جزءا من العقل فكلفه ما قابل ذلك
الجزء من التكليف فكل ما ركب فيه جزءا كلفه ما قابل
ذلك الجزء فجاء تمام التكليف مع تمام العقل معا » ويويد
ما ذكره رحمه الله حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
الدر المنثور من تخريج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم
وابي نعيم والبيهقي في الدلايل وابن عساكر « قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اذنب آدم الذنب الذي اذنبه رفع
راسه الى السماء فقال أسئلك بحق محمد الا غفرت لي فاوحى
الله اليه ومن محمد فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت راسي
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا الاه الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله اليه يآدم انه آخر النبيئين من ذريتك ولولا هو
ما خلقتك » ولفظ القسطلاني في المواهب عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد الا ما
غفرت لى فقال الله تعالى يآدم وكيف عرفت محمدا ولم
اخلقه قال يارب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك

رفعت راسي فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا الاه الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يآدم انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » وفيه : « وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال انزل الله على آدم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بنى انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله تعالى فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين الخ » وفي حديث محمد بن علي الباقر المطول الموقوف عليه في الدر المنثور من تخريج ابن المنذر « ان آدم عليه السلام لما سال المغفرة بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وكرامته قال له الله سبحانه من علمك هذا قال يارب انك لما نفخت في الروح فقمت بشرا سويا اسمع وابصر واعقل وانظر رايت على ساق عرشك مكتوبا بسم الله الرحمن الرحيم لا الاه الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله فلما لم ار على اثر اسمك اسم ملك مقرب ولا نبيء مرسل غير اسمه علمت انه اكرم خلقك عليك قال صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك الحديث » ففهمه عليه السلام تلك الكتابة وعلمه

بمعنى المكتوب واطلاعه على سر اضافته تعالى اسم محمد صلى الله عليه وسلم الى اسمه عند ما خلق وحين ما كان بين الروح والطين برهان جلي على انه تعالى خلقه كامل العقل ومن ذا الذي يصفه مع هذا بالسذاجة ومشاكلة العجماوات في الاحوال . . . ؟ الا تائه في اودية الضلال . جاهل باوصاف الكمال مشاكل للحمير والبغال . وما رمى به في هذه الهوة السحيقة . الا زهده في قراءة الكتب الفقهية وتسويته بين العلوم الفلسفية والشرعية . بل يفضل العلوم الحرفية ونحوها على الدينية كما ستقف عليه في اثناء كلماته .

الفصل السادس

ثم ان لم يقنع بما اوردناه من الحجة على خطاه من كتاب النيل فليلق سمعه لما ورد عن غيره في هذا الشان من القيل ففي الشفاء وشرحه النسيم « وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم اي ذكر ما فيه تحقير واهانة لهم او كذبهم اي نسبهم الى الكذب فيما اتوا به عن الله من وحيه او انكرهم اي اعتقد عدم وجودهم او انكر وجود النبوة والرسالة وجحدهم اي انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصاري حكم من سب نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق

اي على الحكم الذي سقناه على تفصيل ما قدمناه عن ايمة الدين
وقد تقدم تفصيله » وفيهما « وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء اواحدا
منهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين او انتقصه اي نسب احدا
منهم لشيء من النقص بما لا يليق به قتل ولم يستتب فان تاب
لم تنفعه توبته لان حده القتل » وفيهما « وقال ابو حنيفة
واصحابه ممن هو على مذهبه كمحمد وغيره بناء على اصلهم اي
قاعدة مذهبهم من كذب باحد من الانبياء اي قال بانه كذب لا اصل
له وجحده او تنقص احدا منهم اي نسب له ما فيه نقص له او
بري منه اى من محبته والايمان به اوشك في شيء من ذلك
فقال لا اتحققه فهو مرتد فحكمه حكم المرتد في مذهبه » وفيهما
ايضا « وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة
والنبيئين او تكلم بما قلناه على واحد معين منهم ممن حققنا كونه
من الملائكة والنبيئين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا عليه
بالخبر المتواتر والاجماع القاطع كجبريل وميكاءيل ومالك وخزنة
الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرءان من
الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء كءادم ونوح وابراهيم
وغيرهم وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير
من الملائكة المتفق على قبول الخبر بها فاما من لم يثبت الاخبار بتعيينه

ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت
وماروت في الملائكة وكالخضر ولقمان وذى القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبيء اهل الرس فليس الحكم في
سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم يثبت لهم تلك
الحرمة اى الاحترام ولكن يزجر من تنقصهم اى من ذكر ما
فيه ذم ونقص لهم وءاذاهم اى ذكر ما فيه اذية لهم
يؤدب اى يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوه من
انواع الاهانة بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت
صديقته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته الى ءاخره »
واي ءاقل يرضى ان يوصف بالسذاجة ومشابهة العجاوات
ويراه كمالا لا نقصا ؟.... الا من هو اضل منها سبيلا والمراد بما
تقدم في شان ساب النبيء صلى الله عليه وسلم ومنقصه ما ذكره
هو وبعض شراحه بقولهما « اعلم وفقنا الله واياك لمعرفة حق
النبوة وما يجب له صلى الله عليه وسلم ان جميع من سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشتمه او عابه هو اعم من السب فان من قال
فلان اعلم منه صلى الله عليه وسلم فقد عابه ونقصه ولم يسبه
او الحق به نقصا في نفسه وذما مما يتعلق بخلقه وخلقته او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله وصفة من صفاته كشجاعته
وكرمه او عرض به اي قال في حقه صلى الله عليه وسلم ما

لا يليق تعريضا لا تصريحا او شبهه بشيء غير حسن على طريق
السب له بتنقيصه او الازراء عليه اي التنقيص له وان لم يكن
قصد السب او التصغير بشانه اي تحقيره كتصغير اسمه او صفة
من صفاته او الغض منه بمعنى اقل تنقيص وهو بغين وضاد
معجمتين واصل الغض نقص في الصوت او الطرف كما قاله الراغب
فاريد به مطلق النقص القليل او العيب له فهو ساب اي كالساب معنى
والحكم فيه حكم الساب الاتي من غير فرق بينهما من انه يقتل
كما نبينه ولا نستثني فصلا اي قسما وصورة من فصول هذا
الباب على هذا المقصد بجميع اقسامه ولا نمتري فيه تصريحا
كان السب او تلويحا اي كناية وتعريضا وكذلك من لعنه
والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا
يليق بمنصبه على طريق الذم له حاشاه منه او عبث اي قال على
طريق الهزل والمجون في جهته العزيزة بسخف من الكلام
اى امر سخيف رذل وهجر ومنكر من القول وزور اوعيره
بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة عليه والمعودة لديه وهذا كله غير جائز
موجب للعقاب في الدارين اجماع من العلماء وايمة الفتوى من
فقهاء المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر الصحابة الى
هلم جرا وقال ابو بكر ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان

من سب النبيء صلى الله عليه وسلم يقتل مطلقا وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق وهو
مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي
بكر الصديق ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم ولكنهم
قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى
الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه او برىء منه
او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا وكفر كما سنبينه
في الباب الثاني ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وبقولهما ايضا « وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه
ابن مطرف في كتاب ابن حبيب من سب النبيء صلى الله عليه
وسلم من المسلمين قتل حدا ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال ابن
القاسم في العتبية من سبه اوشتمه اوعابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه
عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله على كل احد توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبيء صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا على جذع الى ان يموت تشهيرا له

ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا اوقتله وفي رواية ابي مصعب
وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم باي نوع كان اوشتمه اوعابه اوتنقصه بنسبة نقص ماله
حماه الله تعلى منه قتل مسلما كان القائل اوكافرا ولا يستتاب لانه
حد لا يسقط بالتوبة عنده وفي كتاب محمد بن ابراهيم المعروف
بابن المواز اخبرنا اصحاب مالك قال انه من سب النبيء صلى الله عليه
وسلم اوغيره من الانبياء من مسلم اوكافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك اواظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف اي صحتها باطنا وفيه انا نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم
بالضمايروقال عبد الله ان عبد الحكم من سب النبيء صلى الله
عليه وسلم من مسلم اوكافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله
عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبيء صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبيء صلى الله عليه وسلم
وسخ اراد به عيبه اي قصد تنقيصه والازراء به قتل فان لم يقصد
ذلك لم يقتل قال ابن حجر الهيثمي بعد سياقه كلام المصنف
ويوخذ منه انه لواطلق ذلك اوقصد الاخبار عن تواضعه صلى الله
عليه وسلم لايكفر وهو ظاهر في ارادة التواضع ومحتمل عند الا
طلاق لانه ليس صريحا في النقص واذا قلنا بعدم الكفر فظاهر
انه يعزر التعزير البليغ لذكره ما يوهم نقصا » وقولهما « وقال

ابن عتاب نص الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبيء صلى
الله عليه وسلم باذى او نقص اي ما فيه تنقيص له وتحقير سواء
كان معرضا اومصرحا وان قل فقليله وكثيره سواء والتعريض
الاتيان بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه فقتله واجب على كل
حاكم رفع اليه امره لان من اذاه صلى الله عليه وسلم فقد اذى
الله فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقيصا يجب قتل قائله لم
يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله
على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه اوعيره
برعاية الغنم او وصفه بالسهو اوالنسيان اوالسحر اما الاخير فلانه
لاشبهة في امتناعه واستحقاق قائله مامر واما الاولان فمما صدر
عنه صلى الله عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لايجوز وصفه في سياق
يوهم تنقيصا لمقامه لانه يصدر منه نادرا للتشريع اوما اصابه من
حرج او هزيمة لبعض جيوشه اواذى من عدوه له او لجنده او
شدة من زمنه اوبالميل الى نسايه فحكم هذا كله وان كان فيه
ماهو جايز عليه كالسهو لمن قصد به نقصه القتل قال السيوطي
في كتاب تنزيه الانبياء عن تسفيه الاغبياء وهو كتاب جليل
ينبغي الوقوف عليه ان رجلا سب اخر بانه راعي فقال له ما
من نبيء الا رعى الغنم بمجمع من العامة فقال قاضي القضاة المالكي
لو رفع لي هذا لضربته بالسياط فلما سئلت عنه اجبت بانه يعزر

ابلغ تعزير لانه لا ينبغي ضرب احاد الناس مثلا لنفسه بالانبياء
والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والافتاء والتصنيف
وبيان العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري عن
معرة نقص نسب اليه او لغيره فهو محل الانكار والتاديب لا
سيما بحضرة العوام وفي الاسواق فهو سب وقذف ولكل مقام
مقال يناسبه » وما كنت اظن ان ذا مسكة من العقل . يزعم
ان السذاجة ومشاكلة الحيوانات الغفل . ليسا من صريح النقص
والذم بل من موهمهما فضلا عن ان يراهما مدحا وكما لا فوصف
ادم عليه السلام ومن معه من اولاده بهما لا يصدر الا من فاسد
الفكر والتصور ومنها ما في مختصر الشيخ خليل وبعض شروحه
وهو . وان سب اي شتم مكلف نبيئا او ملكا مجمعا على نبؤته او
ملكيته او عرض بسب واحد منهما بان قال عند ذكره اما انا
او فلان فلست بزان او ساحر او لعنه اوعابه اي نسبه للعيب
وهو خلاف المستحسن عقلا او شرعا او عرفا في خلق او خلق
او دين او قذفه بنفي نسبه او بزنى او استخف بحقه باتيانه
بما لا يقتضي تعظيمه تصريحا او تلويحا كان قال لا ابالي بامره
ولا نهيه ولو جاء نبيء ما قبلته او اعتقد انه لا تجب نصرته
وتوقيره او سمع من ينقصه ولم ينكر مع القدرة عليه او غير
صفته بان قال اسود او قصير او الحق به نقصا في دينه او عرضه

بل وان في بدنه كاعور او اعرج او في خصلته اي شيمته
وطبيعته كبخيل او غض اي نقص من مرتبته العلية او من
وفور اي كمال عليه او من وفور زهده اي اعراضه عن الدنيا
بان قال لم يكن على غاية من العلم او الزهد او اضاف اي نسب
له ما لا يجوز عليه كعدم التبليغ او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
اي مقامه الشريف كمداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين
الناس على طريق الذم له او قيل له بحق رسول الله لا تفعل
كذا او افعله فلعنه وقال اردت بلعنى العقرب لانها مرسلة لمن
تلدغه فلا يقبل قوله قتل ولم يستتب اي بلا طلب او بلا قبول
توبة منه حدا ان تاب او انكر ما شهدت به عليه البينة والا قتل
كفرا ولا يخفى ان ما قدمه المصنف يغني بعضه عن بعض ولكن
مراده التنصيص على اعيان المسائل التي نصوا عليها الا ان يسلم
الكافر فلا يقتل اي ان الساب يقتل مطلقا ما لم يكن كافرا فيسلم
لان الاسلام يجب ما قبله وبالغ في قتل الساب مسلما او كافرا
بقوله وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور في الكلام
وهو كثرته من غير ضبط اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهل
او السكر او التهور ولا بدعوى زلل اللسان وفيمن قال حين
غضبه لا صلى الله على من اي على شخص صلى عليه اي على النبيء
جوابا لصل على النبيء قولان بالقتل وعدمه ووجه الاول ان فيه

سبا للملائكة والانبياء الذين يصلون على النبيء ووجه الثاني انه
حين غضبه لم يكن قاصدا الا نفسه ولكن يودب ويطال سجنه
او قال مخاطبا لغيره الانبياء يتهمون جوابا لتتهمني اي لقوله له
اتتهمني فحذف همزة الاستفهام فيه قولان هل يقتل بلا قبول توبة
لبشاعة اللفظ وان لم يكن على طريق الذم اولا لان قصده
الاخبار عما وقع من الكفار لكنه يعاقب بالضرب وطول السجن
اوقال جميع البشر يلحقهم النقص حتى النبيء صلى الله عليه وسلم
هل يقتل بلا قبول توبة نظرا لظاهر اللفظ اولا لاحتمال انه اخبار
عما قاله الكفار ولكنه ينكل ويطال سجنه قولان في كل من
الفروع الثلاثة »

الفصل السابع

فان لج هو وشيعته في العناد بعد هذا كله راكنين الى
القدح فيه بانه كلام غير اهل مذهبهم القمناهم الحجر بكلام من كادوا
يدعون له اكثر من مرتبة العلم فقد قال في شرح التيل الطعن في
دين المسلمين هو القول بانه باطل او ان دين الله باطل او النبيء
غير محق او تنقيصه او تنقيص مسلم لدينه تصريحا وان القسطلاني
نقل عن عياض عن احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون الحكم
بقتل من قال ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان اسود ثم قال

وهذا يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر
يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص
في ذلك كما في مسئلتنا هذه فان الاسود لون مفضول الى
ان قال نقلا من اثر لبعض قومنا ومن سب الله تعالى اوالنبي
او ملكا او نبيئا وكان موحدا قتل بلا استتابة على المشهور
وقيل بها فان تاب لم يعاقب عند الشافعي وابي حنيفة وان كان كافرا
وسب بغير ما به كفر قتل وان سب به فلا واذا وجب القتل فسلم
فقيل يقتل وقيل لا ومن سب احدا ممن اختلف في نبوته
كذي القرنين او كونه ملكا ادب وجيبا واما من سب احدا
من أصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم أو أزواجه أو أهل
بيته فلا يقتل ولكن يوجع بالضرب ويكرر ضربه ويطال
سجنه ثم أردف هذا الاثر بقوله والامر كذلك الا ان
كان ممن هو امام في الدين شهير فيه كابي بكر وعمر فانه
يقتل به والا ان كان السب هو ذكره بما انتقم عليه غيره
من الصحابة المصيبين في أمر الفتن او تنقيصه بما نقصوه به فلا
شيء عليه لان ذلك ذب عن دين الله تعالى ويقتل من
عرض بسب النبيء صلى الله عليه وسلم او قيل له انه صلى الله
عليه وسلم حرم الظلم او حرم كذا فقال لا أبالي بنهيه أو ايجابه
او تحريمه او ان لم يكن الا نهيه او تحريمه او ايجابه فانا طيب

او نهيه أمر سهل او ما أشبه ذلك ومن سبه صلى الله عليه وسلم
فقيل يقتل حدا فلا تقبل توبته وقال الاوزاعي يقتل كفرا
فتقبل قبل القدرة عليه والعقوبة بقدر الهيئة وقدر المسبوب
وقيل لا يقتل من سب الله تعالى لانه لا يلحقه نقص ذلك والصحيح
ما مر لعظمته تعالى ووجوب حبه ثم نقل عبارة الشيخ خليل
التي تقدم لنا نقلها وقال بعد تمامها وهذا قد ذكره القاضي
عياض في الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع
أما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا . قال عياض
وانما يستوجب اللعن من هو كافر قلت بل هو ذو كبيرة
كما ورد في احاديث كثيرة وقوله تعالى لا تعتذروا قد
كفرتم بعد ايمانكم » اي لقولكم في رسول الله واما السنة
فروى أبو داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لنا بابن الاشرف وفي الاخرى من لكعب بن الاشرف
اي من ينتدب لقتله فقد استعان بعداوتنا وهجائنا وفي رواية أنه
يوذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة
بخلاف غيره من المشركين وعلل بايذاءه له فدل على ان قتله
للايذاء لا للاشراك وأمن صلى الله عليه وسلم الناس يوم الفتح
الا أربعة منهم ابن أبي سرح اختفى عند عثمان بن عفان فلما

دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به
حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبيء الله
بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه
بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال ما كان فيكم رجل رشيد
يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما
ندري يا رسول الله ما من نفسك ألا اومات الينا قال انه لا
ينبغي لنبيء أن تكون له خائنة الاعين وأمر بقتل عبدالله بن
خطل لانه كان يقول الشعر يهجو به النبيء صلى الله عليه
عليه وسلم ويامر جاريتيه ان تغنيا به ولذلك قتل جاريتيه
فثبت أنه مخير في قتل من أذاه وبعد موته لا ندري هل عفا
فوجب علينا أن نقتل مؤذيه بقاء على العموم قال عياض والخطابي
وابن سحنون اجتمعت الامة على قتل منتقصه صلى الله عليه
وسلم وسابه من الموحدين وقال ابن المنذر اجمع عوام اهل
العلم على أن من سبه صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال به
مالك والليث واحمد واسحاق والشافعي قالت الشافعية
ذلك ردة والا فمم وجوب استتابته لانه كان محترما بالاسلام
وربما عرضت له شبهة فتزول وقيل تستحب لانه غير
مضمون الدم والاستتابة في الحال وقيل ثلاثة أيام وعن
ابن عباس أيما مسلم سب الله أو سب احدا من الانبياء فقد كفر

.برسول الله وهو ردة يستتاب فان تاب والا قتل وأيما معاهد
سب الله تعالى أو سب أحدا من الانبياء فقد نقض العهد فاقتلوه
وأجيب عما مرّ من ادلة المالكية بانه لا دلالة في قوله
تعالى ان الذين يوذون الله الآية على قتله بعد التوبة والاسلام
بل فيه كفر مؤذيه صلى الله عليه وسلم وأما ابن خطل
فقتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالاذى واتخاذه دينا
وغير ذلك فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة كفر وتاب »
قلت ومن الدليل على قتل ساب الانبياء ومنقصهم ما روي ان
ابا بكر رضي الله عنه اوتي بفرس وعنده غلام من الانصار
فقال له احملني عليه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بل احمل عليه رجلا ركب الخيل بغرلته يعني به خالد بن
الوليد فقال له الغلام لم انا والله افرس منك ومن أبيك فركبه
المغيرة فابتدر منخراه كانهما عزلاوا مزادة فقام رجال من
الانصار يريدون القود من المغيرة فقال أبو بكر ما كنت
لاقيد من وزعة الله ذكره ابو عمرو رحمه الله في السؤلات
فاذا هدر دم منقص غير الانبياء فبالاحرى ان يهدر دم منقصهم
ومعنى ركبه ضربه بركبته والعزلاوان تثنية عزلا وهي مصب
المزادة والدلو والوزعة بالتحريك جمع وازع وهم الذين
يكفون الناس عن الاقدام على الشر . وقال الشماخي « فان

قلت لم لم يقتل النبيء صلى الله عليه وسلم قاذف عائشة رضي
الله عنها مع اذايته زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان من سب واحدة من
أزواجه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا توبة له عائشة أو غيرها
قلت قيل لان ذلك قبل نزول القرءان في ذلك وقول ابن عباس
انما ذلك بعد نزوله واخذ الحكم بقتل قاذفهن منه » فمن
تامل حق التامل فيما أوردناه من العبارات الجلية . وكان سالم
الصدر من مرض التقليد وداء الكبر والعصبية . اتضح لديه
ان المتفوه بهذه الكلمات قد انتكس في هوة البوار . وارتكس
في مهواة الخزى والعار . لانه ان جحد أن آدم هو الانسان
الاول وان خلقته هي النشأة الاولى للانسان اشرك بهذا
الانكار اجماعا . وان اعترف بما ذكر ونسب لآدم واولاده
السذاجة ومشاكلة العجماوات كفر بتنقيص نبيء الله وصفيه
قطعا . فلا محيص له من احدى هاتين الخطتين افلا يعرف هو
وشيعته الحق وينصرونه . ويقلعون عن العناد ويهجرونه .
ويتوبون الى الله ويستغفرونه . . . ؟ بلى قد عرفوا الحق واتضح
لديهم ، وما منعهم من اتباعه الا الكبر والانفة عن قبوله من
غيرهم ، والاقرار بالخطإ على أنفسهم

الفصل الثامن

وأما قوله ينتجع الكلا فكذب بين . واختلاق مبين لا دليل له عليه من نقل ولا عقل بل الادلة الواضحة ناطقة بخلافه منها قوله تعالى في معرض الامتنان على عباده وهو أصدق القائلين « ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » فان الهاء من قوله سبحانه ورزقناهم من الطيبات ضمير بني ءادم بلا ريب كما ان بني ءادم شامل لجميع نسله بدون شك وقد قال الالوسي في تفسير الاية « اى جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم اى شرف ومحاسن جمة لا يطيق بها نطاق الحصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرمهم سبحانه بالعقل وفي رواية بتناولهم الطعام بايديهم لا بافواههم كسائر الحيوانات . وعن الضحاك بالنطق وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها وعن زيد بن اسلم بالمطاعم واللذات وعن يمان بحسن الصورة وعن ابن جريج بالتسلط على غيرهم من الخلق وتسخيره لهم وعن محمد بن كعب بجعل محمد صلى الله عليه وسلم منهم وقيل بخلق الله تعالى أباهم ءادم بيده وقيل بتدبير المعاش والمعاد وقيل بالخط وقيل باللحية للرجل والذؤابة

للمرأة وقيل وقيل والكل في الحقيقة على سبيل التمثيل ومن ادعى الحصر في واحد كابن عطية حيث قال انما التكريم بالعقل لا غير فقد ادعى غلطا ورام شططا وخالف صريح العقل وصحيح النقل » قلت وقد أشار البيضاوي الى عدم التخصيص بجمعه لها في قوله « ولقد كرمنا بني ءادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه الخ» قال ابن القيم « فسبحان من البس الانسان خلع الكرامة كلها من العقل، والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقد المعتدل واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر واقتناص الاخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد » وقوله سبحانه « وحملناهم في البر والبحر » اما من الحمل على كذا بمعنى اعطاء ما يحمله فالمحمول عليه مقدر بقرينة المقام اي حملناهم في البر والبحر على اكباد رطبة واعواد يابسة من الدواب والسفن واما من الحمل بمعنى الاقرار عليهما بجعل الارض غير منهالة فينخسفوا والبحر غير متفسح الاجزاء فيغرقوا فكانه

قيل مكنا كم واقررنا كم في البر والبحر بقدر ما لا تتسفلون فيهما قالوا والوجه الاول انسب بالتكريم اذ لا يثبت لشيء من الحيوانات سواهم بخلاف الثاني والطيبات فسروها بالمستلذات الحاصلة بفعلهم وبغير فعلهم وقال الشيخ هود بن محكم الهواري رحمهما الله في تفسيره « عن بعضهم انها جميع ما رزق بنو ءادم من الخبز واللحم والعسل والسمن وغيره من طيبات الطعام » وقال ابن كثير في قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات « اي من زروع وثمار ولحوم والبان من سائر انواع الطعوم والالوان المشتهاة اللذيذة الخ » ايزعم هذا المجازف ان ماكول الاناسي الان من الحبوب المطعومة لهم كالبر والارز والثمار اللذيذة كالتين والعنب والفواكه المشتهاة لم تكن غذاء لاوائلهم وانما حدثت بعد انقراضهم ؟ فليت شعري في اي تاريخ يرى هذا الجاهل انهم انتقلوا فيه من رعي الكلا الى اكل هذه الطيبات ؟ وهل هذه الحبوب والثمار المستلذة موجودة في زمانهم فزهدوا فيها ورغبوا في رعي الكلا لسذاجتهم حتى لم يفرقوا بين المستلذ وغيره ؟ ام يزعم انها حدثت بعد زمانهم وفنائهم ؟ تالله ما هذا الا جنون ومنها قوله عز وجل « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج » فان الكاف من لكم عائدة الى ما تعود اليه كاف خلقكم ومن

ادعى تخصيصها بالبعض وهم من عدا اوائل بني ءادم فعليه الدليل واني بجده ؟ بل الدليل قائم بخلافه كما ستقف عليه ان شاء الله ومنها قوله تعالى « والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات » فان ضمير لكم راجع الى جميع بني ءادم فكذا الضمائر التي بعده ومن جملتها ضمير ورزقكم من الطيبات والطيبات هي اللذائذ وبها فسرت هنا قال ابو حيان « والطيبات عام في النبات والثمار والحبوب والاشربة » قال الالوسي « وجوز ان يراد بالطيب ما هو متعارف في لسان الشرع وهو الحلال وتعقبه ابو حيان بان المخاطبين بهذا الكفار وهم لاشرع لهم فتفسيره بذلك غير ظاهر واجيب بانهم مكلفون بالفروع كالاصول فيوجد في حقهم الحلال والحرام وايضا هم مرزوقون بكثير من الحلال الذي اكلوا بعضه ولا يلزم اعتقادهم للحل ونحوه »

الفصل التاسع

ومن الادلة الصريحة بكذبه ما رواه الثعلبي عن ابن عباس « قال لما اهبط ءادم الى الارض كان اول شيء اكله من الثمار التين » وفي الدر المنثور « اخرج ابن ابي الدنيا في كتاب البكاء عن علي ابن ابي طلحة قال اول شيء اكله ءادم حين اهبط الى الارض

الكمثري وانه لما اراد ان يتغوط اخذه من ذلك كما ياخذ المراة
عند الولادة فذهب شرقا وغربا لا يدري كيف يصنع حتى نزل
اليه جبريل فاقعى له فاقعى ءادم فخرج ذلك منه فلما وجد ريحه
مكث يبكي سبعين سنة » قلت وهذا دليل واضح على وجود الثمار
عند هبوط ءادم عليه السلام وانها ماكوله لا الكلا واما اول
ماكوله في الجنة فذكر ابن قتيبة في المعارف انه العنب والله اعلم
ومنها حديث ابي موسى في المنتخب من تخريج الطبراني في
الكبير وغيره « لما اهبط الله ءادم من الجنة علمه صنعة كل شيء
وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمرة الجنة غير ان ثمرتكم
تتغير وثمر الجنة لا يتغير » ولفظ الدر المنثور « واخرج البزار
وابن ابي حاتم والطبراني عن ابي موسى الاشعري عن النبي عليه
السلام قال ان الله لما اخرج ءادم من الجنة زوده من ثمار الجنة
وعلمه صنعة كل شيء فثماركم من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير
وتلك لا تتغير » واخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم
وصححه والبيهقي في البعث عن ابي موسى الاشعري موقوفا »
ومنها حديث ابي سعيد فيه من تخريج ابن عساكر « خلقت
النخلة والرمان والعنب من فضلة طينة ءادم » ووجه الاستدلال
به ان كونها مخلوقة من طينة ءادم يقتضي انها موجودة في زمانه
ومنها حديث ابن عباس في الدر المنثور موقوفا من تخريج ابن ابي

حاتم « قال اهبط ءادم بثلاثين صنفا من فاكهة الجنة منها ما يوكل
داخله وخارجه ومنها ما يوكل داخله ويطرح خارجه ومنها ما
يوكل خارجه ويطرح داخله قلت وهذا مما لا يقال بالراي وابن
عباس عدل ثقه صحابي جليل حبر الامة وفي عرايس المجالس
للثعلبي « وقيل ان الله تعالى زود ءادم حين اهبطه الى الارض من
الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة
لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق
والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان
والموز واما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب
والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل واما التي
لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثري والعنب والتوت
والتين والاترج والخرنوب والخيار والبطيخ » ولفظ المسعودي
« ان ءادم لما اهبط من الجنة اخرج منها معه صرة من الحنطة
وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة
مما له قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق
والخشخاش والشاه بلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها
عشرة ذات نوى وهي الخوخ والمشمش والاجاص والرطب
والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج وهذا اسم
فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا يزال دون

مطعمها والنوى داخلها وهي التفاح والسفرجل والعنب والكمثري
والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب » وروى
قريبا من هذا السيوطي في الكنز المدفون عن مقاتل ومنها ما في
الدر المنثور من تخريج ابن ابي حاتم وابي الشيخ في العظمة
عن السري بن يحي « قال اهبط ءادم من الجنة ومعه البذور
فوضع ابليس يده عليها فما اصاب يده ذهبت منفعته ومنها ما في
العرائس عن ابن عباس « قال هبط ءادم من الجنة بثلاثة اشياء
الآسة وهي سيدة رياحين الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام اهل
الدنيا وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا ومنها حديث عبد الله بن
عمر موقوفا من تخريج الطبراني « قال لما اهبط الله ءادم اهبطه
بارض الهند ومعه غرس من شجر الجنة فغرسه بها الحديث »
وفيه « واخرج ابن ابي حاتم عن الربيع بن انس قال اخرج
ءادم من الجنة للساعة التاسعة او العاشرة فاخرج معه
غصنا من شجر الجنة على راسه تاج من شجر الجنة »
واخرج سعيد بن منصور عن عطاء بن ابي رباح قل هبط ءادم
بالهند ومعه اعواد اربعة من اعواد الجنة وهي هذه التي تتطيب
بها الناس وانه حج هذا البيت على بقرة » قلت جاء من عدة
روايات انه حج على رجليه اللهم الا ان يقال وقع له كلا الامرين
ومنها ما روى البغوي عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس »

قال لما قتل قابيل هابيل وءادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت
الاطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الارض فقال ءادم
قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل
فانشأ يقول وهو اول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها ☆ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ☆ وقل بشاشة الوجه الصبيح

قال وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال من
قال ان ءادم عليه السلام قال شعرا فقد كذب على الله ورسوله
فان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم عليهم السلام في النهي
عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه ءادم وهو سرياني
فلما قال ءادم مرثيته قال لشيث يا بني انك وصيي احفظ هذا
الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى
يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول
من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم
الى الموخر والموخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها
ومالي لا اجود بسكب دمع ☆ وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غما ☆ فهل انا من حياتي مستريح

وفي تاريخ الخميس عن علي « لما قتل قابيل هابيل اغبرت
الارض وانتقصت الاشياء كلها يومئذ طعوم الثمار وضوء الشمس

ونور القمر وريح الرياحين والطيب وعذوبة الماء ونبت
النوسج الخ » فقد دل هذا الاثر على ان ماكول ءادم واولاده
هي الاطعمة المعهودة والفواكه والثمار المعتادة ومنها حديث ابن
عباس رضي الله عنه في الدر المنثور موقوفا من تخريج ابن
عساكر قال كان ءادم عليه السلام حراثا وكان ادريس خياطا
وكان نوح نجارا وكان هود تاجرا وكان ابراهيم راعيا وكان
داود زرادا وكان سليمان خواصا وكان موسى اجيرا وكان عيسى
سياحا وكان محمد صلى الله عليه وسلم شجاعا جعل رزقه تحت رمحه »
وفيه « واخرج الحاكم عن ابن عباس انه قال لرجل عنده ادن
مني احدثك عن الانبياء المذكورين في كتاب الله احدثك عن
ءادم كان حراثا وعن نوح كان نجارا وعن ادريس كان خياطا
وعن داود كان زرادا وعن موسى كان راعيا وعن ابراهيم كان
زراعا عظيم الضيافة وعن شعيب كان راعيا وعن لوط كان زراعا
وعن صالح كان تاجرا وعن سليمان كان ولي الملك ويصوم
من الشهر ستة ايام في اوله وثلاثة في وسطه وثلاثة في ءاخره
وكان له تسعمائة سرية وثلاثمائة مهرية واحدثك عن ابن
العذراء البتول عيسى انه كان لا يجبأ شيئا لغد ويقول الذي
غداني سوف يعشيني والذي عشاني سوف يغديني يعبد الله ليلته
كلها وهو بالنهار يسيح ويصوم الدهر ويقوم الليل كله » وقال

ابن الاثير في الكامل « ونزل على ءادم جبريل بصرة فيها حنطة
فقال ءادم ما هذا قال هذا الذي اخرجك من الجنة فقال ما اصنع
به فقال انثره في الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده
وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم
جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار
وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان
يحرث عليه قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى » قلت وفي الدر المنثور من تخريج
عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابي نعيم في
الحلية وابن عساكر عن سعيد بن جبير « قال ان
ءادم عليه السلام لما اهبط الى الارض استقبله ثور ابلق
فقيل له اعمل عليه فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول
هذا ما وعدني ربي فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » وقال
الدميري « روي عن كعب الاحبار قال لما اهبط الله تعالى
ءادم عليه الصلاة والسلام جاءه ميكاءيل بشيء من حب الحنطة
وقال هذا رزقك ورزق اولادك من بعدك قم فاحرث الارض
وابذر الحب قال ولم يزل الحب من عهد ءادم الى زمن ادريس
كبيضة النعامة فلما كفر الناس نقص الى بيضة الدجاجة
ثم الى بيضة الحمامة ثم الى قدر البندقة وكان في زمن العزير

على قدر الحصة » وفي عرائس المجالس « ان جبريل عليه السلام اتاه بالحنطة وثورين فحرث عليهما فلما بذرها نبتت من ساعته فقال ءادم عليه السلام ءاكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وافرك قال ءاكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال ءاكله قال لا وعلمه الدياس فلما دس قال ءاكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قل ءاكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال ءاكله قال لا وعلمه العجن ويقال ان ءادم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه امره جبريل ان يبث النخالة في الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال ءاكله قال لا فامره ان يحفر حفيرة ويضع الحطب ويوقد عليها نارا ففعل ذلك حتى جعله ملة ثم وضع عجينه عليه فخبز فهو اول من خبز فلما اخرجه قال ءاكله قال لا حتى يبرد فلما برد اكله فلما اكله دمعت عينا ءادم وقال ما هذا التعب والنصب فقال له هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ومنها ما في الدر المنثور من تخريج ابن المنذر عن ابن جريج « قال لما اهبط الله ءادم اهبطه باشياء ثمانية ازواج من الابل والبقر والضان والمعز واهبطه بياسنة فيها بذر وتعريشة عنبة وريحانة قال ابن الاثير الياسنة قيل هي ءالات الصناع وقيل

هي سكة الحرث وليس بعربي محض » ويؤيد هذا الاثر ظاهر قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج لكن الجمهور على تفسير الانزال في الاية بالقضاء والقسمة على سبيل المجاز الاستعاري بعلاقة الظهور بعد الخفاء في الكل وقيل الانزال لاسباب حياتها فيكون في الاية مجاز عقلي حيث اسند الى الشيء ما لملابسه ثم ان هذين التفسيرين ايضا لا ينافيان ما تقدم من الاستدلال بالاية على ان الازواج الثمانية كانت ماكول ءادم ومعاصريه من اولاده لما اسلفناه من ان الاصل في كاف لكم ان تعود الى ما تعود اليه كاف خلقكم وهم جميع اولاد ءادم عليه السلام ويؤيد التفسير الظاهري وهو انزال الازواج انفسها ما في بعض التواريخ الاسلامية ففي الكامل والعرايس « قال اهل الاخبار ان ءادم عليه السلام لما اهبط الى الارض واصاب جسده اذى الهوى واحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية ازواج المذكورة في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امره ان يذبح كبشا منها فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه ءادم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما

فاتهما من لباس الجنة فحواء اول من غزلت وءادم اول من نسج ولبس الصوف زاد ابن الاثير وقيل ارسل اليهما ملكا يلمهما ما يلبسانه من جلود الضان والانعام وقيل كان ذلك لباس اولاده واما هو وحواء فكان لباسهما ما كان خصفا من ورق الجنة»

قلت وقد روي في الدر المنثور عن ابن عباس من تخريج ابن سعد «ان الله تعالى أمر ءادم لما عري هو وحواء ان يذبح كبشا من الضان من الثمانية الازواج التي انزل الله من الجنة فاخذ ءادم كبشا فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه هو فنسج ءادم جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه» واما قوله ﴿ ويرد الغدران ﴾ فدعوى كاذبة يفصح بكذبها ما روي من ان ءادم عليه السلام لما أكل اشتكى من بطنه ولم يدر ما هو فشكى ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا ابرد من الثلج واحلى من العسل وقال يآدم اشرب منه شربة فشربها واطمان فمن الفت نظره الى هذه الادلة بانصاف علم منها حقيقة مبدا تاريخ الانسان واتضحت نشاته الاولى عنده اتضاحا يقرب من العيان وتحقق لديه

بالبرهان الجلي ان ما ذكره ذلك الغوي محض افتراء وهذيان يسمه بالكفر والعصيان ويستوجب به الخزي والخلود في النيران ان لم يتب منه الى الملك الديان

الفصل العاشر

ومن هذيانه القبيح وكذبه الصريح قوله (لما أنس من نفسه بعض القوة لمطاردة الكواسر ومنازلة السباع حين كراتها عليه الا انه كان يرتد عنها مقهورا وينقلب من بين يديها مهزوما مدحورا فتوالت بينهما الوقايع وتكررت الملاحم وادرك الانسان بعد كفاح عنيف شدة الحاجة الى قوة يصاول بها أعداءه العديدين تقوم لديه مقام ما أوتيته من قوة العضل والناب والمخلب والمنقار والحافر والذنب والعدو والطيران والسباحة وما شاكل ذلك اذ يستحيل ان ينال من باسها وهو أعزل وقد علمته التجربة سر تفوقها عليه الخ)

فاني لا أراها الا من ترهات منكرى الصانع وسخافات من لم يصدق بالقرءان . واما مؤرخو الاسلام ومن يقر بالرحمان فلا يعتقدون هذا الهذيان . وليت شعري من ذا الذي اعلمه بهذه الوقائع المتوالية . والملاحم المتكررة ، في الكرات المتعددة ؟ وفي اي تاريخ وجدها مسطرة ؟ وأي نوع من

أنواع السباع جرت بينه وبين الانسان هذه الحروب الهائلة ؟
أم جميع أنواعها حتى السنانير . . . ؟ على أن كلامه بعد يقتضي
أن جميع الحيوانات من ذوات الناب والذنب والحافر والمخلب
والجناح والمنقر . كانت أعداء لهذا الانسان محاربا لها لقوله
فنال من أكلة اللحوم ما جعلها تلوذ به بالانقياد وتركن الى
الطاعة والاستسلام وقوله وما زال به يروضه ويذلله الى أن
اتخذ لحمه طعاما ولبانه شرابا وأصوافه وأوباره كساء ودثارا
وجلوده أوعية وأحذية وأوتارا وعظامه قسيا ونبالا وظهوره
مراكب ومطايا فلله دره من علامة بالتاريخ ونرجو منه ان
يتفضل علينا ببيان عدة من قتل في هذه الوقائع من الاناسى
وهل فيهم بعض أجداده ؟ وهل يعد لهم هذا القتل شهادة ؟ أم لا ؟
فما أقبح الجهل والافتراء . وما أقل حياء من تجرأ على التفوه
بنحو هذا الهراء . ونحن اهل النحلة المرضية برءاء من هذه
العوراء ومن قائلها ومعتقدون ان الانسان الاول هو ءادم عليه
السلام وانه اول الرسل وان حاله منافية لما وصفها به من
النقص بشهادة نصوص القرءان والسنة وءاثار الايمة كما تقدم
وان اولاده حذوا على حذوه وحالهم مماثلة لحاله في مطاعمه
ومشاربه وملابسه وكسبه واقتنائه ومن الحجة على هذا
قوله عز وعلا واتل عليهم نبا ابني ءادم بالحق اذ قربا قربانا

فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر الاية فان جمهور المفسرين
على ان ابني ءادم هما ابناه لصلبه قابيل وهابيل قال ابو جعفر محمد
ابن جرير الطبري « انه الذي اجمع عليه اهل الاخبار والسير
والعلم بالتاويل وءاخر الاية يدل عليه وان قربانهما كبش
وزرع كما روي عن السلف والخلف وان صاحب الزرع كان
حراثا وصاحب الكبش كان ذا غنم فدل هذا على ان حالة
اولاد ءادم ليست على ما ذكرها هذا المختلق بل هي على حال
ابيهم وسيرته ثم في كلامه اضطراب وهو انه تارة يزعم ان
محاربة الانسان كانت مع الكواسر والسباع واخرى مع وحوش الفلاة
وأخرى مع جميع الحيوانات ولا غرو فان من علامات الكذاب
نسيانه ما تفوه به ثم من جهله بالنحو ان استعمل لما الرابطة
بدون جواب اللهم الا ان يعتذر عنه بان الرجل اشتغل بعلم
دبغ الجلود وجز الاوبار وكسح الكنف لما يرى انها اهم من
علم النحو ثم في وصفه لهذه الحيوانات بغلبة هذا الانسان
وقهرها له وانهزامه بين يديها ودحوره تشريف للمجاوات
وانتقاص وغض عظيم من مقام صفي الله ءادم عليه السلام وقد
قال في الشفاء « عن ابن المرابط من قال ان النبيء صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقيص اهـ.

وقد تقدم له ان حكم من سب سائر انبياء الله او استخف بهم حكم من سبّ نبينا صلى الله عليه وسلم

الفصل الحادي عشر

ومن اقبح ضلاله وافحش مقاله قوله (والحاجة كما قيل هي أمّ الاختراع والاستاذ الاول للانسان ومربيه الاكبر ومعلمه النصوح) فانه زندقة والعياذ بالله لما فيه من نسبة الاختراع والتعليم الاول والتربية الكبرى الى الحاجة وهي افعال لله سبحانه بلا ريب اما الاختراع فهو الانشاء بلا احتذاء كما في شرح المواقف وهو معنى الخلق اقول ابي عمار رحمه الله في الموجز كيفية الخلق الانشاء والاختراع ولا شك ان الخلق من افعال الله سبحانه وانه الخالق لجميع الاشياء جسمها وعرضها لايشذ شيء منها عن ايجاده واختراعه قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » والازواج شامل لاصناف المخلوقات باسرها فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف وماض ومستقبل وذات وصفات وارض وسماء وبر

وبحر وشمس وقمر وليل ونهار وصيف وشتاء وجنة ونار الى غير ذلك مما لا يحصى فاضافة الاختراع لغيره تعالى شرك قال تعالى « هل من خالق غير الله الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون » وقال الشيخ اسماعيل رحمه الله في القواعد عند ذكره أنواع الشرك « ومنها ان يقيم غير الله مقامه في الخلق والانشاء والاختراع كالمانية والديصانية الذين يزعمون ان الاشياء تكونت من اصلين قديمين وهما النور والظلمة وكالمجوس الزاعمة ان الاشياء القبيحة مخلوقة للشيطان وما اشبه ذلك من مذاهب الملحدة » فلو ان الرجل اعتنى بالقواعد والوضع ونحوهما من كتب اسلافه ولم يستشنع العكوف على قراءتها الاطلع على ما ذكرنا ولم ينكب على وجهه وفي الاحياء وشرحه « وليست للعبد قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وهو القادر المطلق الذي يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره واما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة اذ لا تتناول الا بعض الممكنات ولا تصلح للاختراع وقال السنوسي « وبالجملة فلتعلم ان الكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لاثر ما بل جميعها مخلوق لمولانا جل وعلا ومفتقر اليه اشد الافتقار ابتداء ودواما بلا واسطة فهذا شهد البرهان العقلي ودل عليه

الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع الخ»
وقال في السؤالات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اسمان محظوران على الخلق رب وخالق وروي عن
ابي يحيى زكريا بن ابي بكر رحمه الله انه قال كان هذان
الاسمان يسمى بهما قبل مجيء الشريعة فلما جاءت الشريعة حرمهما
الله على خلقه الى ان قال فان قال انا الاه لفعلي فقد اشرك فان قال رب
لفعلي ومالك لفعلي وخالق لفعلي فقد كفر وخالق لا يجوز على
الخالق بصلة ولا بغير صلة ورب يجوز بصلة ومالك يجوز بصلة
وبغير صلة » فان اراد هذا المجازف بقوله الحاجة ام الاختراع
انها المخترعة للاشياء فهو معتقد الطبيعيين وهو من اسناد الاشياء
الى غير الصانع الحكيم ولا شك انه شرك صريح وان اراد
انها علة الاختراع واراد بالاختراع ابداع الله الاشياء كان ذلك منه
قولا بتعليل افعاله تعالى بالاغراض ووصفا له بالاحتياج وهو
نقص تعالى الله عنه وعن كل نقص علوا كبيرا فانه سبحانه
خلق الخلق لا لحاجة ولا لاستفادة بل خلقهم اظهارا لكمال قدرته
وتحقيقا لما سبق من ارادته قال في المواقف وشرحه لو كان
فعله تعالى لغرض من تحصيل مصلحة او دفع مفسدة لكان
هو ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح
غرضا للفاعل الا ما هو اصلح له من عدمه وقال في المعالم يستحيل

ان تكون ارادة الله تعالى لغرض يبعثه على ايجاد الفعل اذ هو
محال في حقه تعالى سواء كان راجعا اليه او الى خلقه اما وجه
الاستحالة في الراجع اليه فلانه ان كان قديما وجب قدم العالم
ولزم الفعل بالايجاب وجاء مذهب الحكماء وان كان حادثا
يتصف به بعد الايجاد لزم نقصه وحاجته قبل ايجاده افعاله التي
حصلت له غرضه ولزم اتصافه بالحوادث لتجدد الكمالات له
حينئذ بواسطة خلقه وذلك مفض الى حدوثه ويتعالى عن ذلك
من لا اول لوجوده واما وجه الاستحالة في الراجع الى خلقه فلانه
لا يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح والاصلح كما سياتي » وان اراد
بالاختراع صنع الخلق لاعمالهم وابتكارها بالهام الله اياهم وان
الحاجة علة باعثة لهم على مزاولة الاعمال فان هذا وان صح في بعض
الافعال على سبيل التجوز فلا يناسب كلامه اولا وءاخرا التصريحه
بامتلاك الانسان ناصية الطبيعة واسناده اليه افعاله تعالى البديعة

الفصل الثاني عشر

واما كون التعليم الاول من افعال خالق البرية . فهو مما لاشك
فيه ولامرية . لقوله عز وجل « اقرأ وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقوله « الرحمان علم القرءان خلق
الانسان علمه البيان » وقوله « وعلمناه من لدنا علما » وقوله سبحانه

« وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » وقوله « وعلم ءادم الاسماء كلها » وقوله « يوت الحكمة من يشاء » وقوله « رب زدني علما » وقوله « وعلمناه صنعة لبوس لكم » الى غير ذلك من الايات الدالة على انه تعالى هو المعلم لعباده اولا فتسميته الحاجة بالاستاذ الاول للانسان مخالف للاي القرءانية ومصادم لها ونسبة لفعل الله الى غيره وهو شرك قال ابن القيم في قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم « انه تعالى ذكر تعليمه عموما وخصوصا بعد ان ذكر خلقه خصوصا وعموما فقوله الذي خلق هو خلقه العمومي وقوله خلق الانسان هو خلقه الخصوصي وقوله علم بالقلم يدخل فيه تعليم الملائكة والناس وقوله علم الانسان ما لم يعلم هو تعليمه الانسان خصوصا فاشتملت هذه الكلمات على انه معطي الموجودات كلها بجميع اقسامها فان الوجود له مراتب اربعة احداها مرتبتها الخارجية المدلول عليها بقوله خلق المرتبة الثانية الذهنية المدلول عليها بقوله علم الانسان ما لم يعلم المرتبة الثالثة والرابعة اللفظية والخطية فالخطية مصرح بها في قوله الذي علم بالقلم واللفظية من لوازم التعليم بالقلم فان الكتابة فرع النطق والنطق فرع التصور فاشتملت هذه الكلمات على مراتب الوجود كلها وانه سبحانه هو معطيها

بخلقه وتعليمه فهو الخالق المعلم وكل شيء في الخارج فبخلقه وجد وكل علم في الذهن فبتعليمه حصل وكل لفظ في اللسان او خط في البنان فباقداره وخلقه وتعليمه وهذا من آيات قدرته وبراهين حكمته لا الاه الا هو الرحمن الرحيم » وقال صاحب روح البيان عند تفسير قوله تعالى الرحمن علم القرآن « وفي الاية اشارة الى ان التعليم والتسهيل انما هو من الله تعالى لا من المعلمين والحافظين وقد علم ءادم الاسماء ووفقه لتعلمها وسهله باذنه وعلم داود صنعة الذرع كما قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم عيسى علم الطب كما قال ويعلمه الكتاب والحكمة وعلم الخضر العلم اللدني كما قال وعلمناه من لدنا علما وعلم نبينا عليه السلام القرءان واسرار الالوهية كما قال وعلمك ما لم تكن تعلم » واما التربية الكبرى فمما اختص به سبحانه باجماع مثبتي الصانع لان التربية تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا والكبرى هي الفرد الكامل منها ولا يليق الا به تعالى فالمربي الاكبر هو الله سبحانه فاطلاقه على الحاجة لا يتفوه به الا منكر الصانع فليت شعري هل يجوز هذا الجاهل تسمية الله تعالى سبحانه بالمربي الاكبر ؟ ام لا ؟ فان جوزه فهل يقول ان كلا من الله سبحانه والحاجة مشتركان في التربية الكبرى او مختصة باحدهما ؟ وان لم يجوزه فهل يقول ان الله سبحانه هو المربي الكبير والحاجة هي

المربي الاكبر ؟ تعالى الله عن كل نقص علوا كبيرا ام لا يصح عنده اطلاق المربي عليه سبحانه مطلقا ؟ فيلزمه مخالفة المفسرين في تفسيرهم الرب بالمربي واظن ان هذا الغبي لو اطلع على ما في اول القصيدة المسماة بجامع حرف ورش وهو قوله

☆ الحمد لله مربي العالمين ☆

لكفاه وقنع به اذ لا اظن انه يجترىء على تخطيته ولكن الرجل قد استحكم فيه الجهل لزهده في علوم النقل وقدحه فيها واي فرق بين من يسمي الحاجة بالمربي الاكبر وبين فرعون المسمي نفسه بالرب الاعلى ؟ فنعوذ بالله من الضلال ثم اني اظن ان قائل هذه المقالة احد مشاهير الطبيعيين كافلاطون واسقراط فاخفاه تدليسا وتمويها وغشا والا فذكر قائلها اقوي لحجته على زعمه

الفصل الثالث عشر

واما قوله «فالهمته الرجوع الى البصيرة» فمن قبيل ما قبله فان الالهام على ما قال الراغب «القاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملا الاعلى» وقال غيره «هو القاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه» فاضافته الى الحاجة ميل الى اعتقاد الطبيعيين كيف وقد اسنده تعالى

الى نفسه فقال عز من قائل «فالهمها فجورها وتقواها» وقال سبحانه «وهديناه النجدين» وقال حكاية عن موسى عليه السلام «الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى» قال صاحب روح البيان في تفسير الاية الاولى «والمعنى افهم النفس فجورها وتقواها وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت» وقال بعضهم لا يخفى أن محل الالهام هو النفس لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها فاعلمنا ان الفاعل في الالهام هو لا غيره لكن الهم النفس فجورها لتعلمه لا لتعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو في قسم الفجور الهام اعلام لا الهام عمل فهذه الاية مثل قوله وهديناه النجدين اي بينا له الطريقين» وقال «الرازي» المعنى المحصل في الاية وجهان الاول ان الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما فهو كقوله وهديناه النجدين وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من اكابر المفسرين والوجه الثاني انه تعالى الهم المومن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره قال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها بالفجور واختار الزجاج والواحدي ذلك قال الواحدي ان الالهام هو ان يوقع الله في قلب

العبد شيئا واذا اوقع في قلبه شيئا فقد الزمه اياه واصل معنى
الالهام من قولهم لهم الشيء والتهمه اي ابتلعه ثم استعمل ذلك
فيما يقذفه في قلب العبد لانه كالابتلاع فالتفسير الموافق لهذا
الاصل قول ابن زيد وهو صريح في ان الله تعالى خلق في
المومن تقواه وفي الكافر فجوره أقول وعلى كلا الوجهين
فالالهام فعله سبحانه واسناده للحاجة من اضافة فعله تعالى
الى غيره ثم قال الرازي « قد ذكرنا ان الايات الثلاثة ذكرت
للدلالة على كونه سبحانه مدبرا للاجسام العلوية والسفلية
البسيطة والمركبة فهاهنا لم يبق شيء مما في عالم المحسوسات
الا وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره
بقي شيء واحد يختلج في القلب انه هل هو بقضائه وقدره
وهو الافعال الحيوانية الاختيارية فنبه سبحانه بقوله فالهمها
فجورها وتقواها على ان ذلك ايضا منه وبه وبقضائه وقدره
وحينئذ ثبت ان كل ما سوى الله فهو واقع بقضائه وقدره
وداخل تحت ايجاده وتصرفه » وقال ابو حيان « قال ابن مسعود
وابن عباس والجمهور في النجدين هما طريقا الخير والشر وقال
علي وابن المسيب والضحاك هما الثديان لانهما كالطريقين لحياة
الولد ورزقه والاية على التفسير الاخير دليل قاطع على ان ملهم
المولود وهدايه الى التقام الثدي وامتصاصه هو الله وحده سبحانه

لا الحاجة وعلى ان تمكين مولود عاجز من رضاع امه عقيب الولادة
قدرة علية ونعمة جلية . لا ينكرها ولا يضيفها الى غير القادر الحكيم
الا فاسد العقيدة والطوية . اوما رءاقط هذا الغر مولودا ذا حاجة
شديدة الى الرضاع ولم يلهمه الله اليه فهو في شدة وبكاء . واهله
منه في عناء وبلاء . حتى الهمه الله اليه اوالى مثله . او مات من شدة
حاجته ؟ ام يزعم ان الهام الحاجة خاص باوايل الانس ؟ نعوذ
بالله من الوقوع في الحيرة واللبس ثم في اثبات البصيرة له مع وصفه
بالسذاجة تناقض ظاهر فان البصيرة على ما في كشاف اصطلاحات
الفنون قوة للقلب منورة بنور القدس ترى بها حقائق الاشياء
وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الاشياء وظواهرها
وهي القوة التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية وقال الراغب
« يقال لقوة القلب المدركة بصيرة » فانى تجتمع القوة النورانية
المدركة مع السذاجة التي هي الخلو من العلوم والمعرفة كلا ان هذا
لمن تكاذب القول وقوله (يلتجيء اليه في المقارعات) من زخارف
الهذيان وكذا قوله (فعمد اليها في منازلة وحوش الفلاة) لان من
كان اعزل لم يتسلح ولو بالحجارة لا تصدر منه المقارعة التي هي
تضارب الابطال بالسيوف ولا تمكن منه المنازلة التي هي نزول
كل من الفريقين عن ابلهم الى خيلهم فيتضاربوا فالكلمتان مستعملتان
في غير محليهما لفرط الجهل بمعاني الالفاظ ووحوش الفلات عام

لارانبها وظبائها وضبابها واسودها ونمورها وغير ذلك من جميع حيواناتها فهل اجتمع الكل لهذا الحرب ؟ اواختص به بعض دون بعض ؟ وهل المقاتل لهم من الانس فرد منهم وهو ابوهم ءادم ؟ او من امرءة ؟ ام جميعهم ؟ اولا يخبرنا هذا النبيغ في علم التاريخ برئيس هذا الجيش من هو ؟ وهل كان في زمن ءادم عليه السلام ؟ او بعد موته ؟ وقوله (وشفي منهم الغليل) يقتضي ان هذا الرجل يرى ان تلك الوحوش عقلاء حيث كنى عنها بضمير هم ولا غرو فان من يرى اعقل الناس وهو ءادم عليه السلام ساذجا مشا كلا للعجماوات والعياذ بالله من الكفر لا يستبعد منه ان يعد وحوش الفلاة عقلاء وقوله (في قهر مملكة الوحوش) ربما يدل على ان الحرب وقع مع جميع الوحوش فيا لها من حرب ما افظعها . ويا لها من الفتة بين الوحوش ما احكمها . فاجهل بمن يتفوه بمثل هذه الكلمات ويعتقد هذه الخرافات . التي لا تروج الا على مشاكل العجاوات .

الفصل الرابع عشر

ومن ضلاله وكذبه قوله (فاوحت اليه الحاجة مرة اخرى ان يتخذ من الحجارة سلاحا فتاكا يصاول به الاعداء فعمد الى الجنادل وتسلح بها في المقارعات فنال من اكلة اللحوم ما

جعلها تلوذ به بالانقياد وتركن الى الطاعة والاستسلام الخ) فان اسناد الايحاء الى الحاجة لا الى الرب سبحانه اعتقاد فاسد اذ معنى الايحاء هنا الالهام كما دل عليه بقوله مرة اخرى فان المرة الاولى هي الهامها اياه الرجوع الى البصيرة على زعمه الكاسد والثاني هو ايحاءها اليه اتخاذ السلاح من الحجارة وقد تقدم لك معنى الالهام وانه تعالى اخبر انه الفاعل له بقوله فالهمها فجورها وتقواها وكذا الايحاء فقد قال جل وعلا واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاسناده الى الحاجة دون الرب لا يصدر من المقر بالصانع لانه من اسناد الفعل الى الطبيعة وهو عين معتقد الدهرية وما الصارف له عن اسناد الايحاء الى الرب سبحانه ؟ وقوله (فنال من اكلة اللحوم ما جعلها تلوذ به بالانقياد) خطا بين فان انقياد الحيوان للانسان ليس الا بتسخيره تعالى اياه له لا بما ذكره من الهذيان والافتراء المخالف للنصوص القرءانية منها قوله تعالى « او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون » فان الاية منادية بان ملكنا للانعام وانقيادها لنا بتمليك الله وتذليله قال ابن كثير في تفسير الاية « يذكر تعالى ما انعم به على خلقه من هذه الانعام التي سخرها

لهم فهم لها مالكون قال قتادة مطيقون اي جعلهم يقهرونها
وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير الى بعير لانا خه
ولو شاء لاقامه وساقه وذاك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار
مائة بعيرا واكثر لسار الجميع بسير الصغير وقال الرازى «قوله
تعالى فهم لها مالكون اشارة الى اتمام الانعام في خلق الانعام
فانه تعالى لو خلقها ولم يملكها الانسان ما كان ينتفع بها
وقوله تعالى وذللناها لهم زيادة انعام فان المملوك اذا كان
ءابيا متمردا لا ينفع فلو كان الانسان يملك الانعام وهي نادة
صادة لما تم الانعام الذي في الركوب وان كان يحصل الاكل
كما في الحيوانات الوحشية بل ما كان يكمل نعمة الاكل ايضا الا
بالتعب الذي في الاصطياد ولعل ذلك لا يتهيا للبعض وفي البعض
وقوله تعالى فمنها ركوبهم ومنها ياكلون بيان لمنفعة التذليل
اذ لولا التذليل لما وجدت احدى المنفعتين وكانت الاخرى
قليلة الوجود» فمن زعم انه ذلل الحيوان بحيلته وملكه بقوته
فقد خالف القرءان وركب العدوان ومنها قوله سبحانه
«وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه ان في
ذلك ءايات لقوم يتفكرون» فان ما في الارض عام للحيوانات
وغيرها ومنها قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة»

ومنها قوله تعالى «الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون» فلو تامل هذا التائه فيما روي من تذليل
الله الخيل لاسماعيل لكفاه شاهدا على ان انقياد الحيوانات
للانسان ليس الا بتذليله تعالى اياها له ففي الدر المنثور من
تخريج ابن ابي حاتم عن ابن عباس «قال كانت الخيل وحشية
فذللها الله لاسماعيل بن ابراهيم عليه السلام» وقال في انسان
العيون «واسماعيل عليه السلام اول من ركب الخيل وكانت
وحوشا ومن ثم قيل لها العراب او لما سياتي وقد قال صلى الله
عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسماعيل عليه السلام
وفي رواية اوحى الله تعالى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد الموضع
المعروف سمي بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة
من جياد الرجال فادع ياتيك الكنز فخرج الى اجياد فالهمه
الله تعالى دعاء فدعا به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض
العرب الا جاءته وامكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له
فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث ابيكم اسماعيل»
ولا يخفى على من له المام بالنحو ما في قوله به بالانقياد من
اتحاد متعلق حرفي جر متحدين ثم وصفه العدو بالعتيد غير
ملائم عند كل مميز واما قوله (ولكن بصحة التمييز وسلامة
الادراك وقوة القياس والاستنتاج) فهو اعتقاد طبيعي واما

المسلم فاعتقاده ان انقياد الحيوان للانسان ليس الا بتسخير الله سبحانه وتذليله فلقد نرى صبيا صغيرا ليس له اكبر تمييز يسوق قطيعا من الحيوانات العظام الجثة كالجمل فتنقاد له ولا تنقاد العقرب والحية ونحوهما لاعقل العقلاء انقياد تلك الحيوانات التي هي اعظم منها لذلك الصبي فما ذلك الا فعل العزيز الحكيم فسبحانه من الاه قاهر قدير سخر ما اراد من مخلوقاته لعبيده ولم يسخر لهم ما شاء امع هذه الادلة القاطعة. والشواهد اللامعة. يتمادى هؤلاء الهوويون في الغي والعمى. ويحاولون اضلال الخلق عن الرشد والهدى. ويقطعون عليهم طريق المولى بالتمويهات والافتراء: ان الله لا يصلح عمل المفسدين. ولا يهدى كيد الخائنين. ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون. ويتم نوره ولو كره المبطلون.

الفصل الخامس عشر

واما قوله (كانت الغاية التي يطمح اليها الانسان في البداية الامن على النفس من غارات الحيوان حتى اذا اتيح له التغلب عليه قلب له ظهر المجن وما زال يبروضه ويذلله الى ان اتخذ لحمه طعاما ولبانه شرابا واصوافه واوباره كساء ودثارا وجلوده اوعية واحذية واوتارا وعظامه قسيا ونبالا وظهوره

مراكب ومطايا الخ) فافتراء قبيح، وضلال صريح. فان الانسان الاول الذي هو ءادم عليه السلام لم تكن غايته التي يطمح اليها ما ذكر من الامن على نفسه من غارات الحيوان وكذا اولاده وكيف يكون مطمح نظرهم ذلك وقد انعم عليهم تعالى بتسخيرها لهم واخافتها منهم وتسليطهم عليها بل الغاية التى يطمحون اليها الاشتغال بعبادة ربهم. وبطلب معيشتهم ورزقهم حسبما قضى الله لهم بحكمته ولا سيما ءادم عليه السلام فانه لم يكن مطمح نظره الا الاشتغال بما يوجب له الرجوع الى الكرامة والنعيم. التى اخرجه منها عدوه الرجيم. ومن الدليل الواضح على ما ذكرنا ءاثار مروية عن الاخيار منها ما روي في الدر المنثور من تخريج ابن سعد «عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان ءادم عليه السلام لما هبط الى الارض نفرت من طوله دواب البر فصارت وحشا من يومئذ» ابعد نفرتها عنه وتوحشها ترجع اليه وتغير عليه وتقع بينهما الملاحم والوقائع؟ كلا لا يرى هذا الاذو ضلال وخبال وقيل ان الوحوش استوحشت من الانسان عند قتل قابيل اخاه هابيل ذكره المسعودي في مروج الذهب بصيغة يقال وفي تاريخ الخميس «لما قتل قابيل اخاه هابيل هربت السباع الى الجبال وقالت زال الامن من الناس فقد قتل الاخ اخاه وعصي الولد ابـاه وعلى هذا فقد كان قبل ذلك بينها

وبين الانسان انس وبعد القتل استوحشت منه ونفرت عنه
فاي وقت كانت المحاربة بينهما ؟ افي وقت الاستيناس ؟ ام في
وقت خوفها منه وهروبها عنه ؟ وربما يستانس لما ذكر
المسعودي بقول السيوطي في الكنز المدفون « قيل لما نزل
ءادم من الجنة نزل معه اربع ورقات من ورق التين كان ستر بها
عورته فلما تاب الله عليه جاءه كل حيوان في الارض يهنونه
بقبول توبته ويتبركون به فسبق اليه منهم اربعة وهم الغزال
وبقر البحر والنحل والدود فاطعم ورقة للغزال فصار منه المسك
واطعم ورقة لبقر البحر فصار منه العنبر واطعم ورقة للنحل فصار
منه العسل واطعم ورقة للدود فصار منه الحرير فسبحان القادر
على كل شيء لا اله الا هو » ومنها ما روى في الدر المنثور ايضا
من تخريج ابن عساكر « عن الحسن قال لما اهبط الله ءادم من
الجنة الى الارض قال له يا ءادم اربع احفظهن واحدة لي عندك
واخرى لك عندي والاخرى بيني وبينك واخرى بينك وبين
الناس فاما التي لي عندك فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك
عندي فاوفيك عملك لا اظلمك شيئا واما التي بيني وبينك فتدعوني
فاستجيب لك واما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ان تاتى
اليهم بما ترضى ان يوتوا اليك بمثله » قال واخرج احمد في الزهد
والبيهقي في الاسماء والصفات « عن سلمان قال لما خلق الله ءادم

قال يا ءادم واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك فاما التي
لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فما عملت من شيء
جزيتك به وان اغفر فانا غفور رحيم واما التي بيني وبينك فمنك
المسئلة والدعاء وعلي الاجابة والعطاء « واخرجه البيهقي من
وجه ءاخر عن سلمان مرفوعا ومنها ما فيه ايضا من تخريج
ابن الصلاح في اماليه « عن محمد بن النظر قال قال ءادم يارب
شغلتني بكسب يدي فعلمني شيئا فيه مجامع الحمد والتسبيح فاوحى
الله اليه يا ءادم اذا اصبحت فقل ثلاثا واذا امسيت فقل ثلاثا الحمد
لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده فذلك مجامع الحمد
والتسبيح وفي العرائس « قال وهب بن منبه اوحى الله الى ءادم
بعد ما تاب عليه يا ءادم اني اجمع لك العلم كله في اربع كلمات
واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك
وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك
فاجازيك بعملك احوج ما تكون اليه واما التي بيني وبينك
فمنك الدعاء ومني الاجابة واما التي بينك وبين الناس فان
ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال ءادم يا رب شغلت بطلب
المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة واست اعرف ساعات
التسبيح في ايام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فاسمعه اصوات
الملائكة بالتسبيح فهو اول داجن اتخذه ءادم من الخلق فكان

الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح ءادم بتسبيحه » ومنها ما في العرائس « عن سالم ابن ابي الجعد لما مضى من عمر ءادم عليه السلام مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني انه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي ءادم وولي عهده وفي تاريخ الخميس « وقام بالامر بعد ءادم شيث ويقال شاث ومعناه هبة الله ويقال عطية الله كذا في سيرة مغلطاي وكانت ولادة شيث بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم بعد قتل هابيل بخمس سنين كذا في كامل التاريخ الى ان قال ولما حضرت ءادم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه العبادات في كل ساعة منها واعلمه بالطوفان وصارت الرئاسة بعد ءادم اليه وانزل الله تعالى عليه خمسين صحيفة واليه تنتهي انساب بني ءادم كلهم اليوم وقال المسعودي « ان ءادم عليه السلام وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده قرب وفاته وان شيثا حكم في الناس واستشرع صحف ابيه وما انزل عليه في خاصته من الاسفار والاشراع وانه واقع امراته فحملت بانوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة او عز

اليه شيث في شان الوديعة وعرفه شانها وانها شرفهم وكرمهم واوعز اليه ان ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا اولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة ما دام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان انوش قد لبث في الارض يعمرها وكانت وفاته لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه واخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تاموز بعد ما ولد له مهلاءيل فكانت مدة مهلاءيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي احدثت في ايامه احدثها ولد قائن قاتل اخيه ولولد قائن مع ولد لود حروب وقصص قد اتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قائن واكثر هذا النوع بارض ثمار من ارض الهند فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته في ادار وقام بعده ولده خنوخ وهو ادريس النبيء صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي

اخبر الله عز وجل في كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو اول من
درز الدروز وخاط بالابرة وانزل عليه ثلاثون صحيفة وكان
قد نزل قبل ذلك على ءادم احدى وعشرون صحيفة وانزل
على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده
متوشلخ بن خنوخ فعمر البلاد والنور في جبينه وولد له
اولاد الخ » وقال ابن الاثير في الكامل وكان ءادم مع ما
اعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيئا رسولا الى ولده وانزل
الله عليه لحدى وعشرين صحيفة كتبها ءادم بيده علمها
اياه جبريل وكان مما انزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم
الخنزير وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة ولما حضرت
ءادم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة
الخلوة في كل ساعة منها واعلمه بالطوفان وصارت الرئاسة بعد
ءادم اليه وانزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بنى ءادم
كلهم اليوم وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات
وانه كان جمع ما انزل عليه وعلى ابيه ءادم من الصحف وعمل بما
فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين واما السلف من علمائنا
فانهم قالوا لم تزل القبة التي جعل الله لآدم مكان البيت الى
ايام الطوفان فرفعها الله حين ارسل الطوفان وقيل ان شيثا
لما مرض اوصى الى ابنه انوش ومات فدفن مع ابويه بغار

ابي قبيس وقام انوش بن شيث بعد موت ابيه بسياسة الملك
وتدبير من تحت يديه من رعيته مقام ابيه لا يوقف منه
على تغيير ولا تبديل » وفي المعارف لابن قتيبة « قال وهب
كان شيث بن ءادم اجل ولد ءادم وافضلهم واشبههم بآدم
واحبهم اليه وكان وصي ابيه وولي عهده وهو الذي ولد
البشر كلهم واليه انتهى انساب الناس وهو الذي بنى الكعبة
بالطين والحجارة وكانت هناك خيمة لآدم وضعها الله له من
الجنة وانزل الله على شيث بن ءادم خمسين صحيفة الخ » فهذه
الآثار ناطقة بمبدا تاريخ الانسان وحال نشاته الاولى وشاهدة
بان ءادم وشيثا واولادهما ذووا عقل ومعرفة ، وعلم
وعبادة ولا سيما ءادم وشيث فانهما رسولان كما صح في
الاخبار كما انها قاطعة ببطلان ما افتراه عليهم هذا المختلق
من الوصف بالسذاجة ومشاكلة الحيوانات البهيمية ،
ومحاربتها والدحور والانهزام بين يديها الى غير ذلك من هذيانه
الذي لا يصدر الا عن رعونة وجهالة . ☆ تنبيه ☆ واما
قوله (قلب له ظهر المجن) فتخليط واستعمال للمثال في غير مضربه
فان الاستيلاء على المغلوب بالاذلال وغيره من لوازم التغلب
لا مما يضاده او يباينه حتى يستعمل فيه قلب المجن الذي
يضرب لنحو المحاربة بعد المسالمة كما في شرح المقامات

الحريرية للشريشي وقوله (وما زال به يروضه ويذلله الى
ان اتخذ لحمه طعاما ولبانه شرابا الخ) قد علم المنصف بطلانه
مما تقدم من الادلة النيرة والشواهد الجلية ومن اقوى
البراهين على بطلان زعمه الكاذب قوله تبارك وتعالى
« وهو الذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة
ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين » فان الآية منادية باختصاصه تعالى بتسخيره
لنا ما نركبه من الفلك والانعام وناطقة بانتفاء ضبطنا له واقتدارنا
عليه بدون اقداره ايانا وقد قال المفسرون في الآية اي وتقولوا
متعجبين من ذلك سبحان الذي سخر لنا هذا المركوب اي ذلله
وجعله منقادا لنا والاشارة لتصوير الحال لا للتحقير وفيها
مزيد تقرير لمعنى التعجب ثم الكلام وان كان اخبارا فهو مشعر
بالطلب وما كنا له مقرنين اي مطيقين لتذليلها من اقرن الشيء اذا
اطاقه قال ابن هرمة

واقرنت ما حملتني واقلها ★ يطاق احتمال الصيد اد عدو الهجر

وحاصل المعنى ليس لنا من القوة والطاقة ما نضبط به
الدابة والفلك وانما الله تعالى هو الذي سخر ذلك وضبطه لنا
فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته او ما يخشى من يزعم

ان الانسان هو المسخر للحيوانات والمذلل لها ان يصيبه من
عقوبة الله مثل ما اصاب من زعم انه مقرن لناقته ؟ فقد ذكر في
الدر المنثور من تخريج ابن المنذر وعبد بن حميد عن سليمان بن
يسار « ان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وكان فيهم رجل له ناقة رازم
فقال اما انا فلهذه مقرن فقمصت به فصرعته فاندقت عنقه »
والرازم التي لا تتحرك لهزال او عياء وقمصت به من القمص وهو
الوثب اي وثبت ونفرت ظن صاحبها انها لما كانت ضعيفة فقد
اطاقها فاراه الله انه لم يكن لها مقرنا وان كلا من القوي والضعيف
منقاد لنا بتسخير الله سبحانه وتذليله قال الرازي في تفسير الاية
« وتحقيق القول ان الدابة التي يركبها الانسان لا بد وان تكون
اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الى طاعة
الانسان ولكنه سبحانه خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة
في خلقها الظاهر وفي خلقها الباطن يحصل منها هذا الانتفاع اما
خلقها الظاهر فلانها تمشي على اربع قوائم فكان ظاهرها
كالموضوع الذي يحسن استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن
فلانها مع قوتها الشديدة قد خلقها الله سبحانه بحيث تصير منقادة
للانسان ومسخرة له فاذا تامل الانسان في هذه العجائب وغاص
بعقله في بحار هذه الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة القاهرة

والحكمة الغير المتناهية فلا بد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » ثم ليخبرنا هذا الاخ ـ اري المؤرخ بهذا اللحم الذي اتخذوه طعاما هل كان بتذكية ؟ ام بغيرها ؟ وهل هؤلاء الاناسي مكلفون ؟ ام غير مكلفين لما فيهم من السذاجة والعجمويية فان تكليف من انعرى من العقل والتمييز وصار من جنس العجماوات ليس من الحكمة ؟ وان زعم انهم مكلفون فليخبرنا بماذا وصل اليهم التكليف ابرسول من جنسهم ذا سذاجة وعجمويية لالغة له سوى الصفير والاشارة ؟ ام برسول من غير جنسهم ذا عقل وعلم ومعرفة ولغة ؟ ام بغير رسول ؟ فنعوذ بالله من العماية بعد الهدى واما قوله « يومئذ ادرك الانسان بعض الراحة من الغوائل والنكبات » فمن التخليط البين فهلا بين اي زمان هذا اليوم ؟ اقبل موت ءادم ؟ ام بعده ؟ اقبل تسخير الله له الثورين للحرث والشاة لاكل لحمها والاكتساء من صوفها ؟ ام بعده ؟ فما اقبح الجهل

الفصل السادس عشر

ومن افحش اضلاله واقبح جهالته قوله (ثم انقسم الى جماعات جماعات متقليا في ذلك نظام القطيع من الحيوان والسرب من الطير واستقطعت تلك الجماعات لنفسها بقاعا من الارض حول

المياه والاعشاب تطلبا لليسار والمنعة والجاه ولما انست الجماعات الاقامة والفت التوطن جعلت اماكنها حمى تذود عنه وتناضل دونه وسكن لبعضها الذكور والاناث وشكلا بتالفهما نظام العايلة واشتركا في حضانة الاولاد وكانوا قبل ذلك في كفالة الاناث دون الذكور اذ لم يكن وقتئذ شان للذكور في الاولاد غير الاخصاب) فانه قد وصف اوايل الناس وهم ءادم وشيث عليهما السلام واولادهما بان حالهم في غشيان ذكرانهم اناثهم كانت اولا كحال غشيان ذكران الحيوانات اناثها وعادتها فلا اختصاص لذكر منهم بانثى بل كل الذكور مشتركون في الاناث فلا سكن بين ذكرهم واناثهم ولا رابطة مودة بينهما ولا مشاركة في كفالة ولد ولا حضانته وانما الولد خاص بالانثى ارضاعا وحنوا عليه وليس بينهم الا مابين ذكران قطيع الحمر او الغنم واناثها من التسافد والنزوان وبعد ان تغلبوا على الحيوانات المحاربة لهم واقسموا الى جماعات واستقطعوا لانفسهم بقاعا من الارض حول المياه والاعشاب وانسوا الاقامة والفوا التوطن انتقلوا عن هذه العادة البهيمية الى الحالة الانسانية اليوم وهي سكن الذكر للانثى واختصاصه بها والتواد والاشتراك في القيام بالاولاد والتكفل بهم فان قوله وسكن لبعضهما الذكور والاناث معطوف على قوله جعلت اماكنها حمى وهو جواب لما في قوله ولما انست الجماعات الذي هو حرف

دال على وجود الجواب بعد وجود الشرط ولاشك ان الجماعات
التي انست الاقامة هي الجماعات المنقسمة لاستقطاع بقاع الارض
لوقوعها معرفة بعد وقوعها نكرة فافادانهم قبل ايناسهم الاقامة ليس
بين ذكرانهم واناثهم سكن ولا اختصاص وانما هم في ذلك على
نهج الحيوانات ونظامها مقتفون لسيرة البهائم التي بين ذكرانها
واناثها وهي نزو الذكر على الانثى التي وجد واشتهى قوله
(اذ لم يكن وقتئذ شان للذكور في الاولاد غير الاخصاب) زيادة
ايضاح لما تقدم من انهم في التناسل على نهج البهائم فيه وكانه
اراد بالاخصاب الاحبال لكنه لم يوجد في كتب اللغة بهذا
المعنى وانما الذي فيها ان الاخصاب مصدرا خصب القوم نالوا
الخصب وصاروا اليه ثم كلامه يقتضي ان لا اختصاص
لذكر بانثى ولا عقد نكاح بينهما وكيف يكون بينهما عقد
ولغتهم عنده ليست الا الصفير والاشارة كما سياتي له بعد .؟
فهم عنده حينئذ غير مكلفين ام يرى ان لا تكليف الى الان
كما هو اعتقاد الدهريين المنكرين للصانع ؟ فنعوذ بالله من الكفر
والفسوق ولا يخفى على كل منصف ان هذا منه لاقبح
الافتراء والطعن الشنيع في ءادم وشيث عليهما السلام واولادهما
والقدح الفظيع في نسب الانبياء ونسب افضلهم وخاتمهم محمد صلى
الله عليه وسلم والخرق للاجماع على تحريم الزنى في كل

شريعة وكل زمان وعلى كل قوم وما كنت اظن ان ذا
مسكة من عقل فضلا عن مسلم يتفوه بمثل هذا الافتراء
حتى تبجح به من عد نفسه من خطباء الامة . وانتدب
لايضاح فوائد العلم الجمة . وما استحيا من ابداء عواره .
وكشف عاره . الا لجهله بقدره . وتعديه لطوره . اذ لو
عرف قدره لعلم ان حقه ان يتلمذ لاصغر التلاميذ ليعلمه
توحيد خالقه ويرده عن فاسد اعتقاده . لا ان يتبرز للخطابة
والافادة . ولكن من جهل قدره اهلك نفسه وغيره . وما
احسن قول من قال

اذا انت لم تعرف لنفسك قدرها ☆ تحملها ما لا تطيق فتهلك

وقول الاخر

لا خير فيمن لم يكن عاقلا ☆ يبسط رجليه على قدره

وما ابتلي بهذا الخذلان . الا من تعسفه عن هدي ذوى
العرفان . وازدرائه بكتب صالحي السلف عليهم من الله
الرحمة والرضوان . وقد قال ابن بركة رحمه الله « قل من
تعسف مذاهب السلف الا حرم التوفيق » واظن ان الرجل اخذ
هذه الضلالة من كلام امامه محمد عبده . ذي الاعتقادات
الفاسدة . فقد نقل عنه تلميذه انه قال في تفسير ءاية فانكحوا
ما طاب لكم من النساء « واذا رجعت معي الى البحث في تاريخ

النشؤ البشري في الزواج والبيوت العائلات او في الازدواج
والانتاج تجد ان الرجل لم يكن في امة من الامم يكتفي بامراة
واحدة كما هو شان اكثر الحيوانات بل ثبت بالبحث ان
القبائل المتوحشة كان فيها النساء حقا مشاعا للرجال بحسب
التراضي وكانت الام هي رئيسة البيت اذ الاب غير متعين
في الغالب وكان كلما ارتقى الانسان يشعر بضرر هذا الشيوع
والاختلاط ويميل الى الاختصاص فكان اول اختصاص في
القبيلة ان يكون نساءها لرجالها دون رجال قبيلة اخرى وما
زالوا يرتقون حتى وصلوا الى اختصاص الرجل الواحد بعدة
نساء من غير تقييد بعدد معين بل حسبما يتيسر له فانتقل بهذا
تاريخ البيوت العائلات الى دور جديد صار فيه الاب عمود
النسب واساس البيت كما بين ذلك بعض علماء الالمان
والانقليز المتاخرين في كتب لهم في تاريخ البيوت العائلات»
فليتامل المنصف في امر المتفوه بمثل هذه الجهالة هل اعتقاده
اياها اعجب؟ ام احتجاجه عليها بعلماء الالمان والانقليز؟ ام
ادعاؤه مع ذلك انه مسلم؟ ام تقليده فيها وتصويبه فنعوذ
بالله من الخذلان

هذا وقد تغافل عن الانتقاد على هذه المقالة التي يقشعر
جلد المسلم عند سماعها. ويحكم بديهة بكفر واضعها.

كثير ممن زعم انه منتصب للذب عن الاسلام بل قد شايعه
بعضهم على ذلك الافتراء وذادعنه وحامى وما ذاك الا من استيلاء
الجهل. وانقراض اهل الفضل. اومن المداهنة والعصبية.
وضعف الغيرة الاسلامية. فوا غربة الاسلام واهله.

ولنا براهين دامغة لمفترياته. وشاهدة ببطلان مدعياته.
احدها قوله عز وعلا «هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها» قال صاحب روح البيان
وغيره في الاية هو اي الله تعالى العظيم الشان الذي خلقكم جميعا
وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من
من الوجوه من نفس واحدة هو ءادم عليه السلام وجعل انشا منها
اي من جنس تلك النفس الواحدة زوجها حواء اومن جسدها
لما روي ان الله تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع ءادم عليه
الصلاة والسلام والكيفية مجهولة لنا ولا يعجز الله تعالى شيء
ليسكن اليها علة غاية للجعل والضمير المستتر في الفعل
عائد الى النفس الواحدة وهي ءادم اي ليستانس بها ويطمئن
اليها اطمئنانا مصححا للازدواج» فقد اخبر تعالى بان حكمة
خلقه حواء من جنس ءادم او بعضه هي سكونه اليها ايزعم
احد بعد هذا ان سكون ذكر ان الانس لاناثهم انما حدث
لهم بعد مضي مدة مديدة غير مستانس بعضهم لبعض ولا

مطمئن اليه ؟ ثالله ان هذا لمن الضلال البعيد وقال القسطلاني في المواهب وخلق الله تعالى لادم حواء زوجته من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ وراها سكن اليها ومد يده اليها فقالت الملائكة له يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تودي مهرها قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى وخلق منها زوجها «هي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الايسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرءاها فاعجبته فانس اليها وانست اليه وفي العرائس قال المفسرون لما اسكن الله تعالى ءادم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فالقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير ان احس ءادم بذلك ولا وجد له الما ولو اولم ءادم من ذلك لما عطف رجل على امراة ثم البسها من لباس الجنة وزينها باانواع الزينة واجلسها عند راسه فلما هب ءادم من نومه رءاها قاعدة عند راسه فقالت الملايكة ياءادم يمتحنون عليه ما هذه ياءادم قال امراة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى قال

لتسكن الي واسكن اليها وذلك قوله تعالى « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » وفي تاريخ الخميس نقلا من تفسير الثعلبي « ان ءادم عليه السلام لما هب من نومه رءاها عند راسه اوقال عند راسه كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت انا زوجتك خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك الخ » ثانيها قوله تعالى « ومن ءايته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون » فان الاية دالة على ان استيناس الزوج بزوجه وميله اليها والتواد الواقع بينهما قد جعله الله لهما من اول النشاة الانسانية وفي اوائل الانس لاحادث كما يزعم هذا الغمر ووجه الاستدلال ان الذين خلقت لهم الازواج من انفسهم ليسكنوا اليها هم الذين خلقوا من تراب باعتبار خلق اصلهم منه وهم بنوا ءادم باسرهم فالخطاب لبني ءادم كلهم على تغليب الموجودين ولهذا قال بعض المفسرين في الايتين يقول تعالى ومن علاماته الدالة على البعث ان خلقكم يابني ءادم من تراب لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم في ضمن خلق ءادم منه لانه خلقه منطويا على خلق ذريته انطواء اجماليا ثم اذا انتم معشر ذرية من خلقناه من تراب بشر ءادميون من لحم ودم عقلاء ناطقون تنتشرون تتصرفون في الحاجات

والمعنى فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض
فدل بدء خلقكم على اعادتكم ومن ءاياته الدالة على البعث وما بعده
من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم اي من جنسكم في
البشرية والانسانية اناثا تكون لكم ازواجا لتسكنوا اليها اي لتميلوا
الى تلك الازواج وتالفوا بها فان المجانسة من دواعي التضام
والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم
وبين ازواجكم من غير ان يكون بينكم وبينها سابقة معرفة اورابطة
قرابة ورحم مودة محبة ورحمة شفقة ان في ذلك اي فيما ذكر من
خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة
بينهم ءايات عظيمة لقوم يتفكرون في صنعه وفعله فيعلمون ما في
ذلك من الحكم والمصالح

ثالثها قوله سبحانه « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » فان الاية نص على
بطلان ما ادعاه من عدم اشتراك الذكور والاناث في كفالة
الاولاد قبل انقسامهم الى جماعات مستقطعة لبقاع من الارض
والاستيناس بالاقامة والف التوطن لانه تعالى وصف الرجال
بالقيام على النساء والانفاق عليهن من غير تقييد بوقت ولا بجيل
وليست الكفالة الا هذا وقد عد في العرائس من الخصال التي
ابتليت بها حواء وبناتها جعلهن تحت ايدي الرجال مستدلا على

ذلك بهذه الآية قال الالوسي في تفسير الآية « الرجال قوامون
على النساء اي شانهم القيام عليهن قيام الولاة على الرعية بالامر
والنهي ونحو ذلك واختيار الجملة الاسمية مع صيغة المبالغة
للائذان بعراقتهم ورسوخهم في الاتصاف بما اسند اليهم وعلل
سبحانه الحكم بامرين وهبي وكسبي فقال عز شانه بما فضل
الله بعضهم على بعض اي قوامون عليهم بسبب تفضيل الله تعالى
اياهم عليهن وبما انفقوا من اموالهم وهو المهر عند مجاهد ويجوز
ان يراد بما انفقوه ما يعمه والنفقة عليهن رابعها ما في تاريخ
الخميس نقلا من بحر العلوم « لما تناثر عن ءادم وحواء الورق
الذي وريا به سوء اتهما في الدنيا وعريا شكى ءادم الى
جبريل فجاءه بشاة من الجنة عظيمة لها صوف كثير وقال لآدم
قل لحواء تغزل من هذا الصوف وتنسج فمنه لباسك ولباسها
فقالت حواء كيف وقع هذا العمل علي فاغتمت فجعلت نفقتها
على ءادم ولذلك لما كانت حواء سببا لاكل ءادم من القمح وعريه
جعل عليها ان تغزل وتكسوه ولما ثقل ذلك عليها جعلت نفقتها
عليه ولما ثقل ذلك عليه جعل حظ الزوج في الميراث ضعف
حظ الزوجة فيه فغزلت حواء ذلك الصوف ونسجته واتخذت
منه لنفسها درعا وخمارا ولآدم قميصا وازارا وكان ذلك اصل
اللباس ثم توسع فيه الناس حيث شاؤوا وزادوا ما ارادوا روي

ان ءادم اول ما هبط الى الدنيا قاس الجوع مدة ثم اكل الخبز
من عمل نفسه وقاس العرى مدة ثم لبس الصوف من عمل حواء
وقد تقدم عن ابن الاثير وغيره ان الغزل من حواء عليها السلام
واما الحياكة فكانت من ءادم عليه السلام ويؤيده ما في الدر
المنثور من تخريج ابن عساكر بسند ضعيف « عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط ءادم وحواء عريانين جميعا
عليهما ورق الجنة فاصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها ياحواء
قد اذاني الحر فجاءه جبريل بقطن وامرها ان تغزل وعلمها وامر
ءادم بالحياكة وعلمه الحديث » ويوافق ما في تاريخ الخميس
قول ابن قتيبة في المعارف « ولما هبط ءادم الى الارض حرث
وغزلت حواء الشعر وحاكته بيدها » وايا ما كان ففيه دلالة
على تشاركهما في مهماتهما او ما بعد هذا منهما تعاونا وتظاهرا
على المعيشة خامسها ما ورد من الاحاديث في طهارة نسبه صلى
الله عليه وسلم من السفاح ففي المواهب « قال ابن عباس فيما
رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام وعن
علي بن ابي طالب ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال خرجت من
نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ءادم الى ان ولدني ابي
وامي لم يصبني من نكاح اهل الجاهلية شيء رواه الطبراني

في الاوسط وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا
لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب
الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا
كنت في خيرهما » قلت وهذا الاخير بعض حديث طويل
رواه في الدر المنثور من تخريج ابن مردوية عن ابن عباس رضى
الله عنهما والاحاديث برهان قاطع على ان نكاح ءابائه صلى
الله عليه وسلم من لدن ءادم عليه السلام الى ابيه عبد الله كان
على منهاج الشرع لا على نهج تسافد الحيوانات فهي حجة دامغة
لافترائه على اوائل الناس بان نكاحهم كان اولا على نظام القطيع
من الحيوانات والسرب من الطير ليس بين الرجل والمراة سكن
ولا مودة ولا اشتراك في حضانة الاولاد وفي القيام بشؤونهم
تنبيه — لا يخفى على من له ذوق سليم ما في الفاظه من الخلل
والركاكة كتكرير جماعات ولفظة متقليا فان معنى التقلي
التبغض او التقلب على الفراش ونحوه من الشدة كانه على المقلى
ولعله اراد متقلدا بالدال اي متبعا فهو من التقليد فغيره الى متقليا
بقوة فصاحته وكقوله وسكن لبعضهما الذكور والاناث فانه فاسد
التركيب ولكن الرجل بعيد عما تعاطاه بمراحل لانه كان اول امره
فداداثم صار قراطيا الا انه كان في اثناء ذلك يتلقف من بعض الدروس
والكتب والمحافل الفاظا وعبارات ومسائل على ظاهرها لا خبرة

له بحقيقتها فظهر له بذلك انه قد حاز في العلم قصب السبق وعد نفسه ممن ترشح لاظهار الحق . وارشاد الخلق . فتكلف ما ليس من فعله . وحاول ما لم يكن من اهله . فتورط في عمياء وخبط خبط عشواء . وقد قالوا من تعاطى علم ما فوقه . بلي بجهل ما تحته

الفصل السابع عشر

ومن ضلاله الفظيع . وافكه الشنيع . قوله (بعد ان استطابت الاقامة للانسان والف القرار وانس الهناء والامن ضمن الجماعات واكتسب المتاع وبدت منه عاطفة الحب والولاء لم يعد الصفير والاشارة وهما لغة الفطرة الاولى كافيين للتعبير والايضاح عما يريده من الاحتياجات فاقتبس من الاصوات اعلاما عبر بها عما في نفسه من مختلف الاشياء والمسميات واستمر يتقلب في مطارف النعيم ويتمتع بما يبتكره من المخترعات فانسلخ عن الحيوانية المحضة واقلع عن الخشونة وافتراس ذوات الارواح وشعر بما في نفسه من القابلية للكمال فعكف على اقتناء ثمرات الارض وهجر معيشة اطراد واختار لاقامته ضفاف الانهار والشواطيء وهي اول ما عمر من الارض) فان الاناسي الاولين ليسوا الا ءادم وشيث عليهما السلام وذريتهما

لما تقدم من البراهين القطعية ، والحجج الجلية . التى لا ينكرها الا من فارق الملة الحنيفية . فادعاؤه ان لغتهم في اول امرهم لم تجاوز الصفير والاشارة . وانهم استمروا عليهما مدة مديدة وما انتقلوا عنهما الى لغة الاصوات والحروف الا بعد مدة. عقيب تغلبهم على السباع وانقسامهم الى جماعات مستقطعة للبقاع واياناسهم بالاقامة . والفهم للتوطن وسكون ذكورهم لاناثهم واشتراكهم في كفالة الاولاد واستطابة الاقامة والف القرار وانس الهناء والامن وتضمين الجماعات واكتساب المتاع وظهور عاطفة الحب والولاء منه انكار لشرع ءادم وشيث عليهما السلام ونبوتهما ورسالتهما والصحف المنزلة عليهما فان التبليغ والقراءة والعبادة لا تتاتى بالاشارة والصفير وهذه جهالة وضلالة .

لا تصدران الا ممن لا يبالي بمصادمة النصوص القرءانية . والاخبار النبوية . والاثار المرضية ، الناطقة بتعليم الله ءادم الاسماء واللغات . وانزاله عليه وعلى شيث الصحف وتحريم الميتات وتكليفهما بالعبادات . منها قوله تعالى « وعلم ءادم الاسماء كلها فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال علمه الصحفة والقدر والقصعة والقصيعة واسم كل شيء حتى الفسو والفسية » وفي رواية عنه قال علم الله ءادم الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودابة وارض

وبحر وسهل وجبل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها وعن
سعيد بن جبير قال «علمه اسم كل شيء حتى البعير والبقرة والشاة
وعن مجاهد قال علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شي
وعن قتادة في الاية قال علمه الله اسم كل شيء هذا جبل
وهذا بحر وهذا كذا وهذا كذا وعن الحسن وقتادة ايضا علمه
اسم كل شيء هذه الخيل وهذه البغال والابل والجن والوحش
وجعل يسمي كل شيء باسمه وقال ابو حيان في البحر
« وفيما علم الله ءادم اقوال اسماء جميع المخلوقات قاله ابن
عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة او اسم ما كان وما يكون الى
يوم القيامة وعزي الى ابن عباس وهو قريب من الاول او جميع
اللغات ثم كلم كل واحد من بنيه بلغة فتفرقوا في البلاد
واختص كل فرقة بلغة او كلمة واحدة تفرع منها جميع
اللغات او اسماء النجوم فقط قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة او
اسماء الملائكة فقط قاله الربيع بن خيثم او اسماء ذريته قاله
الربيع بن زيد او اسماء ذريته والملائكة قاله الطبري واختاره
او اسماء الاجناس التي خلقها علمه ان هذا اسمه فرس وهذا
اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية واختاره الزمخشري
او اسماء ما خلق في الارض قاله ابن قتيبة او الاسماء بلغة

ثم وقع الاصطلاح من ذريته في سواها او علمه كل شيء
حتى نحو سيبويه قاله ابو علي الفارسي او اسماء الله عز وجل
قاله الحكيم الترمذي او اسماء من اسمائه المخزونة فعلم
بها جميع الاسماء قاله الحريري او التسميات ومعنى هذا علمه
ان يسمي الاشياء وليس المعنى علمه الاسماء لان التسمية
غير الاسم قاله الجمهور وحالة تعليمه تعالى ءادم هل عرض عليه
المسميات او وصفها له ولم يعرضها عليه قولان قال بعض
من عاصرناه المختار اسماء ذريته وعرفه العاصي والمطيع
ليعرف الملائكة باسمائهم وافعالهم ردا عليهم قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها واقول لا يخفى ان الاسم غير التسمية لان
التسمية هي وضع اللفظ بازاء المعنى والاسم هو ذلك اللفظ
الموضوع ولا شك ان الموضوع غير الوضع فالقول بان الاسماء
هي التسميات والمعنى انه وضع الالفاظ للمعاني مرجوح لما
يلزم عليه من التجوز باطلاق الاسماء على متعلقها وهو الوضع
واما ما كان فالاية برهان قاطع على ان لغة ءادم لم تكن
صفيرا و اشارة فان التسمية هي كما تقدم وضع اللفظ للمعنى
والاسماء هي الالفاظ الموضوعة للمعاني سواء قلنا انها اسماء
المسميات كلها او اسماء بعضها فانها ليست الالفاظا مركبة
من حروف وقال الراغب في تفسير هذه الاية « اي الالفاظ

والمعاني مفرداتها ومركباتها وبيان ذلك ان الاسم يستعمل
على ضربين احدهما بحسب الوضع الاصطلاحي وذلك هو في
المخبر عنه نحو رجل وفرس والثاني بحسب الوضع الاولي
ويقال ذلك للانواع الثلاثة المخبر عنه والخبر والرابط بينهما
المسمى بالحرف وهذا هو المراد بالاية لان ءادم عليه السلام
كما علم الاسم علم الفعل والحرف ولا يعرف الانسان الاسم فيكون
عارفا لمسماه اذا عرض عليه المسمى الا اذا عرف ذاته الا ترى
انا لو علمنا اسامي اشياء بالهندية او بالرومية ولم نعرف صورة
ماله تلك الاسماء لم تعرف المسميات اذا شاهدناها بمعرفتنا
الاسماء المجردة بل كنا عارفين باصوات مجردة فثبت ان
معرفة الاسماء لا تحصل الا بمعرفة المسمى وحصول صورته
في الضمير فاذا المراد بقوله وعلم ءادم الاسماء كلها الانواع
الثلاثة من الكلام وصور المسميات في ذواتها وقال ابن كثير
في تفسير الاية « هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف ءادم
على الملائكة بما اختصه من علم اسماء كل شيء دونهم وهذا كان
بعد سجودهم له وانما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين
هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سالوا عن
ذلك فاخبرهم تعالى بانه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا
المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف ءادم بما فضل به عليهم في العلم

فقال تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها ثم ذكر غالب الاقوال المتقدمة
في تفسير الاسماء عازيا كلا منها الى قائله وقال عقيب ذكرها
والصحيح انه علمه اسماء الاشياء كلها ذواتها وصفاتها وافعالها
كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني اسماء الذوات
والافعال المكبر والمصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الاية
في كتاب التفسير من صحيحه حدثنا مسلم بن ابراهيم
حدثنا هشام عن قتادة عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا
سعيد عن قتادة عن انس عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال
يجتمع المومنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا
فياتون آدم فيقولون انت ابو الناس خلقك الله بيده واسجد لك
ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك فيريحنا
من مكاننا هذا وساق الحديث بطوله ثم قال هكذا ساق
البخاري هذا الحديث هاهنا ووجه ايراده ههنا والمقصود منه
قوله عليه الصلاة والسلام فياتون آدم فيقولون انت ابو الناس
خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
فدل هذا على انه علمه اسماء جميع المخلوقات » وقال الالوسي
بعد ذكره اقوال المفسرين في المراد بالاسماء « والحق عندي
ما عليه اهل الله تعالى وهو الذي يقتضيه منصب الخلافة الذي

علمت وهو انها اسماء الاشياء علوية او سفلية جوهرية او عرضية» وفي المحاضرة «اول خليفة في الارض ءادم الصفى كما قال تعالى انى جاعل في الارض خليفة فهو اول من جمع بين الخلافة والنبوة واول من علم الاسماء الالاهية وعلمها الملائكة كلها فهو اول معلم اظهر العلوم الالاهية المكنونة في خزانة حضرة الغيب ما اطلعت الملائكة ولا الجن عليها اختصه الله بها واجتباه من المخلوقات كلها فهو خاتم الخلائق شخصا وفاتح الكل كمالا وعرفانا وبه ظهرت المحبة وتمت المعرفة كما اشار في الخبر القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فكانت الحقيقة الانسانية مجلى المحبة ومركز العرفان» ومنها قوله تعالى «قال يآدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» فان الانباء بالشيء هو الاخبار به والاخبار بالاشياء انما يعقل بالتلفظ بالالفاظ الدالة عليها لا بالصفير والاشارة وقد روى ابن كثير «عن زيد بن اسلم انه قال في الاية قال ءادم انت جبراءيل انت ميكاءيل انت اسرافيل حتى عدد الاسماء كلها حتى بلغ الغراب وقال مجاهد في قول الله قال يآدم انبئهم باسمائهم قال اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء وروي عن

سعيد بن جبير والحسن وقتادة نحو ذلك فلما ظهر فضل ءادم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من اسماء الاشياء قال الله تعالى للملائكة «الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» وقال السيوطي في المزهر «اخرج اسحاق بن بشر في كتاب المبتدا وابن عساكر في تاريخ دمشق عن عطاء قال يا ءادم انبئهم باسمائهم فقال ءادم هذه ناقة جمل بقرة نعجة شاة فرس وهو من خلق ربي فكل شيء سمى ءادم فهو اسمه الى يوم القيامة وجعل يدعو كل شيء باسمه وهو يمر بين يديه فعلمت الملائكة انه اكرم على الله واعلم منهم» ومنها قوله تعالى «فتلقى ءادم من ربه كلمات» فان الكلمة تطلق على اللفظ المفرد الموضوع لمعنى وعلى الكلام لا على الصفير والاشارة وتلقيها تعلمها والعمل بها وقيل اصل تلقى في الاية تلقن فابدلت النون الفا ومنها قوله سبحانه «قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» فان القول هو التلفظ باللفظ الموضوع لمعنى بلا نزاع ولا ارى عاقلا يزعم انهما لم يتلفظا بتلك الكلمات ولم يقولاها وانما حصلت منهما اشارة اوصفيرا

الفصل الثامن عشر

واما الحجج النبوية فمنها حديث ابي هريرة في المنتخب من تخريج الترمذي والحاكم « لما خلق الله تبارك وتعالى ءادم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذنه فقال له ربه يرحمك الله يا ءادم اذهب الى اولئك الملائكة الى ملا منهم جلوس فقل السلام عليكم فقالوا وعليك السلام و رحمة الله ثم رجع الى ربه فقال ان هذا تحيتك وتحية بنيك بينهم الحديث » قلت معنى قال له ربه اي بواسطة ملك او بخلق الله له الكلام في بعض الاجسام من حجب او غيرها ومعنى رجع الى ربه اي الى ملك ربه وهو القائل له بامر الله يرحمك ربك او محل كلام ربه ويؤيد التاويل الاول التصريح بالملك في رواية ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم رحمه الله فقد قال في العدل والانصاف والدليل والبرهان « ان ابانا ءادم صلوات الله عليه ورضوانه نفخ فيه الروح وجبريل الامين قاعد عند راسه لما دار الروح في انفاسه عطس فقال له جبريل صلوات الله عليه قل الحمد لله يا ءادم او يا ابا محمد فقال ءادم الحمد لله فقال له جبريل عليه السلام يرحمك ربك يا ءادم وهي الرحمة التي سبقت اليه حين قال الله سبقت رحمتي غضبي يا ءادم فتاب عليه

حين عصى زاد في الدليل والبرهان ففهمه الله تعالى معنى هذا الكلام وهي ثلاث كلمات قل كلمة والحمد لله كلمة ويا ابا محمد كلمة فقال ءادم عليه السلام الحمد لله وعلم ءادم عليه السلام قل انه امر بالحمد وعلم ان الحمد لله هي الكلمة التي امره الله بها والهم له من قوله يا ابا محمد انها كلمة تدل على التسمية والتكنية وربما ينفهم له بها معنى الابوية والبنوة وهذا كله الهام من الله عز وجل حين قصد الى الحمد لله ولم يقصد الى قل فيقول قل ولم يقصد الى يا ابا محمد فيقول يا ابا محمد » قلت وهذا من اقوى الحجج على ان ءادم عليه السلام قد اوتي في اول امره قبل شمول الروح لبدنه من الفهم والعقل والعلم ما لا يعرف كنهه الا خالقه وان لغته ليست بصفير واشارة كما يزعم هذا التايه في اودية الحيرة والمراد من الكلمة هنا الجملة لا الكلمة النحوية ورواه في المنتخب ايضا من تخريج ابن حبان والحاكم بلفظ « لما نفخ في ءادم الروح مارت وطارت فصارت في راسه فعطس فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله يرحمك الله » وفي العرائس « اول ما نفخ في ءادم الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه والحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يري ءادم بدء خلقه واصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات

لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فعطس
فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه
الله تعالى ان قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك اول ما
جرى على لسانه فاجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا
ءادم للرحمة خلقتك الخ » وفي محاضرة الاوائل « اول حركة
صدرت من ءادم بعد نفخ الروح العطاس لما سرى الروح في
اعضائه بعد دخوله من الخيشوم وصل الى الدماغ فعطس وحمد
الله تعالى فصار التحميد اول سنة بشرية ظهرت على لسان ءادم
الخ » ومنها حديث ابي ذر في الدر المنثور من تخريج ابن حيان
في صحيحه والحاكم وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في
نوادر الاصول وابن عساكر « قال قلت يا رسول الله كم الانبياء
قال مائة الف نبيء واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله
كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير ثم قال يا ابا
ذر اربعة سريانيون ءادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس
الحديث » والسريانية لغة من لغات البشر وهي الفاظ مخصوصة
دالة على معان مخصوصة لا صفير واشارة ومنها حديثه ايضا
عند احمد « قلت يا رسول الله اي الانبياء كان اول قال ءادم
قلت يا رسول الله ونبي كان قال نعم نبيء مكلم الحديث » ومنها
حديث ابي هريرة « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

خلق الله ءادم طوله ستون ذراعا وانزل عليه تحريم الميتة والدم
وحروف المعجم في احدى وعشرين صحيفة وفيها الف لغة
وعلمه الف حرفة وخلق حواء من ضلع ءادم في آخر النهار من
يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض وانزل معه الحجر الاسود
وعصا موسى وكانت من ءاس الجنة وعاش الف عام ومرض
احد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه شيث وفي رواية
كان طوله ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع وانزل الله عليه
الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين الف باب من العلم
ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا » ذكره الاسحاقي
في كتابه لطائف اخبار الاول ومنها حديث ابي ذر رضي الله
عنه في الدر المنثور من تخريج عبد ابن حميد وابن مردوية وابن
عساكر « عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم
انزل الله من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث
خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر
صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وانزل التوراة
والانجيل والزبور والفرقان الحديث » ومنها ما في محاضرة
الاوائل نقلا من تفسير الفصول « اول ما نزل على ءادم عليه
السلام عشر صحف في اول ليلة من شهر رمضان وكان فيها
سورة مقطعة الحروف وهو اول كتاب نزل وفيه الف لغة

وفيه الفرائض والسنن وتفسير الحروف والوعد والوعيد واخبار
الدنيا والاخرة وقد بين في ذلك اهل كل زمان وصورتهم
وسيرتهم مع انبيائهم وملوكهم وما يحدث في الارض حتى
الماكل والمشرب فابصر ءادم ذلك كله وعرف ما يكون في
اولاده وكان في الصحف الحروف التسعة والعشرون » ومنها
نقلا عن بحر الوقوف في علم الحروف لاحمد البوني « اول
كتاب انزل على ءادم عليه السلام حروف المعجم وكانت الحروف
تتشكل له في قوالب نورانية عند ارادته مسماها وهي خاصية
اختصه الله تعالى بها وانزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير
وحروف الهجاء في احدى وعشرين صحيفة وفي المعارف لابن
قتيبة « قال ابو محمد وفي التوراة ان ءادم طاف على امراته حواء
فولدت له غلاما سماه شيثا من اجل انه خلف من عند الله مكان
هابيل وولد لآدم اربعون ولدا في عشرين بطنا وانزل عليه تحريم
الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احدى وعشرين
ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا » ومنها ما في الدر المنثور
من تخريج ابن عساكر «عن ابن عباس ان ءادم كانت لغته في الجنة
العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية فلما تاب
رد الله عليه العربية « وفي المزهر « قال عبد الملك ابن حبيب
كان اللسان الاول الذي نزل به ءادم من الجنة عربيا الى ان بعد

العهد وطال حرف وصار سريانيا وهو منسوب الى ارض سورى
او سوريانية وهي ارض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام
وقومه قبل الغرق وكان يشاكل اللسان العربي الا انه محرف
وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح الا رجلا واحدا
يقال له جرهم فكان لسانه لسان العربي الاول فلما خرجوا
من السفينة تزوج ارم بن سام بعض بناته فمنهم صار اللسان
العربي في ولده عوص ابي عاد وعبيل وجابر ابي ثمود
وجديس وسميت عاد باسم جدهم لانه كان جدهم من
الام وبقي اللسان السرياني في ولد ارفخشد بن سام
الى ان وصل الى يشجب بن قحطان من ذريته وكان باليمن
فنزل هناك بنو اسماعيل فتعلم منهم بنو قحطان اللسان
العربي » وفي معالم التنزيل « قال اهل التاويل ان الله
عز وجل علم ءادم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من اولاده
بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة » وفي محاضرة
الاوائل « اخرج الامام في المزهر نقلا عن ابي الحسن الاشعري
ان الله تعالى علم ءادم اسماء جميع اللغات واسماء جميع المخلوقات
بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية
والتركية والقبطية وغير ذلك فكان ءادم واولاده يتكلمون
بانواع الالسن ثم ان اولاده تفرقوا في الدنيا وعلق كل واحد منهم

بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها لبعد عهدهم » وفيه « اول من كتب العربية والسريانى والكتب كلها ءادم عليه السلام قيل كان ءادم يخط بالبنان ويرسم الخطوط على اللبن ويطبخها ويكنزها لاولاده وكانت اولاده تتلقاها بالوصية منهم وبعضهم بالقوة القدسية القابلية البشرية من معادن تعليم حضرات الاسماء الكلية وكان اقرب عهدا اليه ادريس عليه السلام ولذلك اشتهر عنه من الحرف ما لم يشتهر عن غيره كالخط والخياطة والسيف والسرج وءالات الحروب » وفي المزهر « قال ابن فارس في فقه اللغة يروى ان اول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها ءادم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسماعيل عليه السلام الكتاب العربي قلت هذا الاثر اخرجه ابن اشتة في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار الخ » قال في المحاضرة « وكان ذلك من معجزات ءادم عليه السلام وكان وجد ان اسماعيل الكتاب العربي معجزة باهرة له عليه السلام » وقال الرازي في تفسيره عند ذكر اقوال المفسرين في الاسماء من قوله تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها «القول الثاني وهو المشهور ان المراد اسماء كل ما خلق الله من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة

التي يتكلم بها ولد ءادم اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ءادم عليه السلام يتكلمون بهذه اللغات فلما مات ءادم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة معينة من تلك اللغات فغلب عليه ذلك اللسان فلما طالت المدة ومات منهم قرن بعد قرن نسوا سائر اللغات فهذا هو السبب في تغير الالسنة في ولد ءادم عليه السلام » وفي محاضرة الاوائل ايضا نقلا عن اوائل السيوطي « اول من تكلم بالعربية وغيرها من السريانية والعبرانية ابونا ءادم عليه السلام لان الله تعالى قال وعلم ءادم الاسماء كلها وذلك يقتضي انواع اللغات والاسماء فعلم معانيها وعلم حساب الازمنة والشهور والسنين » وفيه ايضا « اول من تكلم بفنون اللغات وانواعها ءادم الصفي عليه السلام وذلك انه لما خلق الله تعالى الاحرف جعل لها اسرارا فلما خلق ءادم بث تلك الاسرار فيه ولم يبثها في واحد من الملائكة فخرجت الاحرف على لسان ءادم بانواع اللغات فجعل لكل لغة صورا وقد ورد في الخبر ان الله تعالى علم ءادم سبعمائة الف لغة فلما وقع في الخطيئة سلب اللغات كلها الا العربية فلما قبلت توبته ردها الله عليه يعني جميع الالسن ذكره البوني وغيره » ومنها ما في محاضرة الاوائل ايضا نقلا من اصول التواريخ « اول موضع وضع فيه الكتب وانفجرت منه ينابيع الحكمة الهند على لسان

ءادم وفيه ان اصول الاوائل العلمية والبشرية صدرت من ءادم عليه السلام حين علمه الحق الاسماء كلها فعلم جميع الصنائع والحرف وما يليق من الاسامي والاعلام والاحكام والاطلاقات الى ءاخر الكون بكل لسان ولغة مما سيحدث بين اولاده » ومنها ما في الدر المنثور من تخريج الخطيب وابن عساكر » عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اهبط الله ءادم الى الارض مكث فيها ما شاء الله ان يمكث ثم قال له بنوه يا ابانا تكلم فقام خطيبا في اربعين الفا من ولده وولد ولده فقال ان الله امرني فقال يا ءادم قلل كلامك ترجع الى جواري » وفيه « اخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال لما اهبط الله آدم الى الارض اكثر ذريته فاجتمع اليه ذات يوم ولده وولد ولده فجعلوا يتحدثون حوله وآدم ساكت لا يتكلم فقالوا يا ابانا مالنا نحن نتكلم وانت ساكت لا تتكلم فقال يابني ان الله لما اهبطني من جواره الى الارض عهد الي فقال يا آدم اقلل الكلام حتى ترجع الى جواري » فهذه حجج واضحة . وادلة لائحة . على ان آدم وشيث واولادهما لم يكونوا على ما وصفهم به هذا الجاهل بامر دينه . وبحق انبياء الله واصفيائه . من السذاجة ومشاكلة العجماوات في احوالها ومالوفاتها بل هم متصفون برجاحة العقل ورزانة الراي والمعرفة بالعلوم والتكلم

باللغات والحرف والصناعات ولا سيما آدم عليه السلام ففي الدر المنثور « اخرج ابن عساكر عن الحسن قال كان عقل ءادم مثل عقل جميع ولده » ولا ينكر تلك الحجج . الا تائه ذوعوج .

الفصل التاسع عشر

وقوله « ولم يعد الصفير والاشارة وهما لغة الفطرة الاولى كافيين للتعبير والايضاح عما يريده من الاحتياجات فاقتبس من الاصوات اعلاما عبر بها عما في نفسه من مختلف الاشياء والمسميات) خطا فاحش تبع فيه منكري النبوة والرسالة من الطبيعيين ولم يقل به احد من المنتسبين الى الملة الاسلامية . ولا ممن ينتحل احد الكتب السماوية . اذ لا قائل منهم بان لغة ءادم عليه السلام واولاده كانت صفيرا واشارة بل الكل مجمعون على ان له لغة من من الفاظ وحروف يتكلم بها هو واولاده وانما اختلفوا في واضع اللغة هل هو الله سبحانه ؟ ام ءادم واولاده ؟ ام الكل محتمل ؟ فعلى الاول هي توقيفة بمعنى ان الله هو الذي علمها ءادم والهمه اياها وعلى الثاني اصطلاحية بمعنى ان آدم واولاده هم الواضعون لها والقول الاول هو الصحيح . المؤيد بصحيح النقول . كما بين ذلك في كتب الاصول . فادعاء هذا المفتري ان الصفير والاشارة هما لغة اوائل الانس وانهما كافيان في التعبير . عما في الضمير . بين

البطلان ، فان اللسان والعقل توءمان . وبهما تكمل حقيقة الانسان.
ويتميز بهما عن عجماوات الحيوان . كما قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ويقال ما الانسان بانسان . لولا اللسان . وفضل الانسان . على
الحيوان بالبيان . وعن بعض الحكماء اللسان . وزن الانسان .
وعن خالد ابن صفوان ما الانسان . لولا اللسان . الا صورة ممثلة
او بهيمة مرسلة . وقال سعد بن ضمرة للنعمان ابن المنذر انما المرء
باصغريه . قلبه ولسانه . ان نطق نطق ببيان ، وان صال صال بجنان .
قال ابن الهمام في التحرير وشارحه ابن الامير الحاج في التقرير
« لما خلق الله تعالى الانسان غير مستقل بمصالحه في معاشه من
ماكول ومشروب وملبس ومسكن وما يلحق بها من الامور
الحاجية وفي معاده من استفادة المعرفة والاحكام التكليفية التشريفية
عن ربه سبحانه الموجبة لخيري الدارين مفتقرا الى معاضدة غيره
من بني نوعه على ذلك وكانت المعاضدة لا تتاتى له الا بتعريف ما
في الضمير والواقع اما باللفظ او بالكتابة او بالاشارة كحركة
اليد والراس او بالمثال وهو الجرم الموضوع على شكل الشيء
ليكون علامة عليه وكان في المثال عسر في كثير من الاشياء مع
عدم عمومه اذ ليس كل شيء يتاتى له مثال وقد يبقى المثال ايضا

بعد انقضاء الحاجة فيقف عليه من لا يريد وقوفه عليه والاشارة لا
تفي بجميع الاشياء ايضا وكيف وهي لا تقع الا في المحسوسات او
ما اجري مجراها والكتابة فيها من الحرج ما لا يخفى وكانت الا
لفاظ ايسر على العباد فانها كيفيات تحدث من اخراج النفس
الضروري الحصول للانسان الممتد للطبيعة بلا مشقة ولا تكلف
مع انها مقدرة بقدر الحاجة توجد مع وجودها وتنقضي مع
انقضائها واعم فائدة لانها صالحة للتعبير بها عن كل مراد حاضر
او غائب معدوم او موجود معقول او محسوس قديم او حادث
كان الشان كما قال المصنف ومن لطفه الظاهر تعالى وقدرته الباهرة
الاقدار عليها والهداية للدلالة بها فخفت المؤنة بهذا الطريق من
التعريف ليسره وسهولته وعمت الفائدة لشموله واحاطته » ثم
في واضعها كما تقدم مذاهب المشهور منها اربعة احداها انه الله
سبحانه ونسبه السبكي لابن فورك والجمهور وعزي للاشعري
واختاره ابن الحاجب وفي التحرير وشرحه التقرير « والواضع
للاجناس اسماء واعلاما للاعيان والمعاني مقترنة بزمان وغير
مقترنة به اولا الله سبحانه هذا قول الاشعري ولا شك في
اوضاع اخر للخلق علمية شخصية حادثة باحداثهم اياها ومواضعتهم
عليها لما يالفون على اختلاف انواعه وكيف لا والوجدان
شاهد بذلك بل كما قال الشيخ ابو بكر الرازي ان هذه الاسماء

لا تتعلق باللغة ولا بمواضعات اهلها واصطلاحهم لان لكل احد
ان يبتدي فيسمي نفسه وفرسه وغلامه بما شاء منها غير محظور
عن ذلك » ثانيها ان واضعها البشر وهو قول ابي هاشم من
المعتزلة واتباعه وقال في التحرير والتقرير « وقال اصحاب ابي
هاشم المعتزلي المشهور ويعبر عنهم بالبهشمية الواضع البشر آدم
وغيره بان ابعثت داعيتهم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها
ثم عرف الباقون بتعريف الواضع او بتكرار تلك الالفاظ مرة
بعد اخرى مع قرينة الاشارة اليها او غيرها كما في تعليم الاطفال
ويسمى هذا بالمذهب الاصطلاحي » ثالثها تجويز ان تكون
توقيفا وان تكون مواضعة وان يكون بعضها توقيفا وبعضها
مواضعة قال الاسنوي « وهذا مذهب القاضي والامام واتباعه
ومنهم المصنف ونقله في المنتخب عن الجمهور وفي الحاصل عن
المحققين وفي المحصول والتحصيل عن جمهور المحققين » والى
هذا المذهب وهو الوقف جنح ابو يعقوب رحمه الله فانه قال
« واختلفوا في اللغة هل هي توقيف او مواضعة فالاشعرية تقول
توقيف وبعض القدرية وبعضهم يقول مواضعة والاصل ان
المعنيين سائغان يجوز ان تكون توقيفا وان تكون مواضعة
ويجوز ان تكون توقيفا ومواضعة عقلا فالله اعلم كيف كانت فعلا
رابعها لابي اسحاق الاسفرائيني وهو ان القدر المحتاج اليه في التنبيه

على الاصطلاح حصل بتوقيف من قبل الله سبحانه والباقي
محتمل للامرين وقد قيل عنه ايضا ان الباقي اصطلاحي ويسمى
بالمذهب التوزيعي قال الاسنوي نقلا عن الآمدي « ان كان
المطلوب هو اليقين فالحق ما قاله القاضي اي وهو الوقف وان
كان المطلوب هو الظن وهو الحق فالحق ما قاله الاشعري
لظهور ادلته » قلت ومن ادلته قوله تعالى « وعلم آدم الاسماء
كلها الاية » وقوله « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم والوانكم » وجه الاستدلال بالاولى ان تعليمه تعالى
آدم جميع الاسماء على سبيل الاحاطة بها ظاهر في القائها عليه
مبينا له معانيها اما بخلق علم ضروري بها فيه وهو ظاهر قول
القطب ابي يعقوب في الدليل « علم الله آدم الاسماء بالطبع واما
بالقاء في روعه » ووجه الاستدلال بالثانية على ما قرره الاسنوي
ان الله سبحانه وتعلى قد امتن علينا باختلاف الالسنة وجعله آية
وليس المراد باللسان هو الجارحة اتفاقا لان الاختلاف فيها
قليل ثم انه غير ظاهر بخلاف الوجه ونحوه فتعين ان يكون
المراد باللسان هو اللغة مجازا كما في قوله تعالى « وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه » وحينئذ فنقول لولا انها توقيفية لما
امتن علينا بها وما ورد على الدليلين اعتراضا وجوابا مبسوط في
كتب الاصول واحتج ابو هاشم واتباعه لمذهبهم بقوله تعالى

« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » ووجه الاستدلال بهذا النص انه افاد نسبة اللغة الى القوم المرسل اليهم سابقة على الارسال اليهم والنسبة الكاملة هي التي بالوضع فيحمل عليها اذ الاصل عند الاطلاق الحمل على الكامل وقيل وجهه ان التوقيف اما بالوحي فتتقدم البعثة على اللغات والاية تفيد تاخرها عنها واما بخلق علم ضروري في عاقل بان الله تعالى وضع هذه الالفاظ لهذه المعاني فيلزم منه معرفة الله تعالى بالضرورة لا بحصول العلم فيسقط التكليف بها لحصولها واذا سقط التكليف بها سقط مطلقا اذ لا قائل بالفرق او في غير عاقل وهو بعيد جدا فانه يبعد ان يصير غير العاقل عالما بهذه الكيفيات العجيبة وهذه التركيبات الناذرة اللطيفة فاذا انتفى التوقيف بانتفاء طرقه ثبت الاصطلاح والجواب باعتبار الوجه الاول ان الاضافة في قوله سبحانه بلسان قومه انما هي لاختصاصهم بها في التعبير عن مقاصدهم دائما او غالبا من بين سائر اللغات وهذا الاختصاص لا يستلزم وضعهم لها بل يثبت مع تعليم آدم بنيه اياها وتوارث الاقوام لها فاختص كل بلغة وتميز بها دون من سواه ولا ريب في ان هذا مما يسوغ الاضافة والكلام الفصيح طافح باضافة الشيء الى غيره بادنى ملابسة فما الظن بمثل هذا و باعتبار الوجه الثاني ان التوقيف بالوحي بها الى آدم قبل ارساله لانتفاء المرسل اليهم

وقتئذ وهم اولاده فلما وجدوا عليها لهم ونشؤا عليها فارسل اليهم بها

فقد اتضح بما ذكرنا ان جميع اصحاب المذاهب الاربعة المذكورة في شان وضع اللغات وهم القائلون بالتوقيف والذاهبون الى الاصطلاح والجانحون الى الوقف والمختارون للتوزيع معترفون بنبوة آدم ورسالته وبان له ولاولاده شرعا متعبدين به ولغة يتكلمون بها وهي الفاظ مركبة من حروف لا صفير واشارة فان الرسالة والشرع متوقفان على بيان اللسان . لا شتما لهما على الاقرار بتوحيد الرحمان . وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه والشكر له على جميل الاحسان . وتبليغ صحفه المنزلة باكمل البيان . وقراءتها باوضح التبيان . بل جميع المثبتين لنبوة آدم من الاسلاميين وغيرهم مجمعون على ان له ولاولاده لغة كلامية يعبرون بها عن مقاصدهم . ويعبدون بها خالقهم . ولا نرى احدا يخالف في هذا الا ان كان من البراهمة المنكرين للنبوة والرسالة او من الدهرية المنكرين للصانع على ان بعض البراهمة قد اثبتوا رسالة آدم عليه السلام دون غيره صرح بذلك الشيخ ابو عمار رحمه الله في الموجز فادعاء هذا الجاهل ان لا كلام لهم الا اشارة وصفيرا انكار لنبوة ادم

وشيث ورسالتهما وشرعهما ولتكليفهما وتكليف ذريتهما فهو منه كفر صريح والعياذ بالله

الفصل المتمم عشرين

وقوله (فانسلخ عن الحيوانية المحضة) كلمة كفر. اكتسب بها اعظم الوزر. لزعمه ان اوائل الناس كانوا في اول امرهم حيوانا محضا زمانا طويلا وهو المدة التي وقعت لهم فيها مع السباع والحيوانات وقائع عديدة وملاحم متعددة انهزموا فيها بين ايديها ثم حروب اخر تغلبوا فيها عليها ثم حصل لهم فيها بعد انقسام الى جماعات واستقطاع بقاع من الارض حول المياه والاعشاب ثم حصول الانس لهم بالاقامة والف التوطن ثم حماية اماكنهم والذود عنها والنضال دونها ثم وقوع السكن بين الاناث والذكران والاشتراك في حضانة الولدان ثم وضع اللغات باقتباس الاعلام من الاصوات فبعد انقضاء هذه المدة المتطاولة المتسعة لوقوع هذه الامور المذكورة انسلخوا عن الحيوانية الخالصة التى لم يشبها شيء من خواص الانسانية فهم في زعمه قبل انقضاء هذه المدة على نهج الحيوان اكلا وماكولا وشربا ومشروبا وتناكحا وتناسلا وفهما ونطقا فهو نظير ما تقدم له قبل وتقرير له في قوله كان الانسان في النشأة الاولى ساذجا

فطريا مشاكلا للعجماوات في الاحوال والاطوار والمالوفات الى اخر هذيانه وهذا كفر فظيع. وطعن شنيع. في ءادم وشيث وذريتهما اذ لاشك ان اول الناس ءادم عليه السلام ثم اولاده فادعاءه انهم في اول امرهم كانوا حيوانا محضا الابيان لهم باللسان. ولا معرفة لهم بالجنان. ولاصنعة لهم بالبنان. ولاعبادة لهم بالاركان. من صريح الكفر والعدوان. فنعوذ بالله من الجهل بعد العرفان. والكفر بعد الايمان. ثم انا نسئل هذا المؤرخ الماهر ان يخبرنا عن قرن انسلاخهم من هذه الحيوانية المحضة وعن الجيل المنسلخين منها وعن حالهم قبل الانسلاخ منها موتا وحياة فان وجود تلك الامور المتعددة الكثيرة يستدعي كما تقدم مدة طويلة من الزمان يموت فيها بعض منهم ويجيء اخرون ولاسيما الخائضون تلك الملاحم التي انهزموا فيها بين ايدي السباع فانه يستحيل عادة ان تتكرر الملاحم والانهزام ولا يموت من المنهزمين احد

الفصل الحادي والعشرون

وقوله (واقلع عن الخشونة وافتراس ذوات الارواح) سفه وافتراء فانه ان اراد بالافتراس مطلق القتل او دق العنق وهو اصل معناه لقول ابن منظور « الاصل في الفرس دق العنق ثم كثر حتى جعل كل قتل فرسا » وارد بذوات الارواح

جميع الحيوانات حتى الانسان والخنزير كما يدل على هذا سابق كلامه ولاحقه فهم على زعمه الفاسد كانوا على نهج السباع الضارية ياكلون كل حيوان افتراسا من غير ذبح ولا طبخ ثم اقلعوا عن هذه الطريقة بالاستقباح العقلي كان هذا منه طعنا شنيعا في ءادم وشيث عليهما السلام وانتقاصا لهما وحطا من مرتبتهما وانكارا لنبوتهما وشرعهما . بل ونفيا لتكليف الناس في اول امرهم او انكارا للتكليف مطلقا وان اراد بالافتراس الذبح الشرعي مجازا وبذوات الارواح محلل الاكل منها وان اقلاعهم كان لشرع ناسخ لما قبله وهو بعيد من كلامه لانتفاء الشرع بالصفير والاشارة واستحالة تكليف العجماوات الغفل كان هذا منه كذبا بحتا وهذيانا صرفا فان اكل لحوم الحيوانات المحلل اكلها مباح بالذبح في جميع الشرائع من لدن ءادم الى محمد صلى الله عليهما وسلم بل اكل الحيوانات امر مستمر في جميع الاعصار والامصار لايمتنع منه المسلمون ولا الكفار الا البراهمة الممتنعين من ذبح البهائم واكل لحومها زاعمين ان ايلام الحيوانات وتعذيبها من غير جريمة قبيح قبحهم الله وقبح من يحذو حذوهم

الفصل الثاني والعشرون

وقوله (وشعر بما في نفسه من القابلية للكمال) نظير قوله قبل فانسلخ عن الحيوانية المحضة لافادته انهم قبل غير عالمين بما فيهم من قابلية الكمال فضلا عن التلبس بشيء منه فهذه صفة البلد الحيوانات واين هذا من اثبات البصيرة له قبل والرجوع اليها بالهام الحاجة في قوله فالهمته الرجوع الى البصيرة نعوذ بالله من الحيرة التي ابتلاه الله بها (وقوله فعكف على اقتناء ثمرات الارض الخ) سخافة وهذيان تقدم له مثله في قوله ينتجع الكلا ويرود الغدران الخ فهم في زعمه قبل لا ياكلون ثمار الارض ولا يقتنونها وانما كان ماكولهم الكلا والعشب على حالة البهائم افلا يخبرنا هذا الذي عد نفسه من زمرة الخطباء والفلاسفة بوقت ابتدائهم في اكل ثمرات الارض واقتنائها وبمن كانت قبل ما كوله .؟ ام يرى انها كانت معدومة قبل ؟ فقبح الله من قل حياءه ويكذبه قول صاحب المحاضرة «اول من غرس اصناف الفواكه وعمر البساتين بالبزور والاشجار ءادم عليه السلام لانه نزل من الجنة ومعه ثلاثون قضيبا من الاصناف » وقد تقدم لنا رواية الاثار التي بين فيها تلك الاصناف الثلاثون ومن اين له ان اول ما

عمر من الارض ضفاف الانهار والشواطيء فلعل اول ما عمر منه محل هبوط ءادم بالهند ونواحيه ويؤيده ما في العرائس نقلا عن ابن اسحاق وغيره ان ءادم لما مات اجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحيم فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض الخ»

☆ تنبيه ☆ لا اظن انه يعزب عن صغار الطلبة فضلا عن كبارهم ما في عبارته هذه من التراكيب الفاسدة كالفصل في قوله بعد ان استطابت الاقامة للانسان وفي قوله لم يعد الصفير والاشارة وفي اسناد الاستطابة الى الاقامة واي شيء استطابته ؟ اليست هي مستطابة لا مستطيبة فهلا قال استطاب الانسان الاقامة وفي جمع الاحتياج مع انه مصدر وفي تعبيره بضمن الجماعات او تضمينها وما المعنى المناسب لهذا اللفظ في هذا الموضع ؟ وفي عطفه الانسلاخ عن الحيوانية المحضة بالفاء الموضوعة للتعقيب على ما قبله من الاستمرار في مطارف النعيم والتمتع بالمخترعات المبتكرة فاي ابتكار واختراع وتنعم لمن لم ينسلخ عن الحيوانية المحضة ؟ وكذا عطف العكوف على اقتناء ثمرات الارض على ما قبله ولكن لا ارى الرجل لبلادته يحوم حول فهم مثل هذا ومن هذيانه وتخليطه قوله (ولذلك راى العلماء الاثريون ارجاع اصول المدنيات الى الامم الناشئة

حول الانهار الكبرى الخ » فانك لو سالته عن معنى كلامه لم يهتد الى ايضاح حقيقته فهم يتلقفون الفاظا لا يعرفون معناها وانما يهولون بها على العامة والجهلة لغرابتها عندهم كالمدنية والحرية والاتحاد والسياسة

الفصل الثالث والعشرون

ومن خطله الفاحش قوله : لما استولى الانسان شواطيء الانهار والبحار وطلب اقواته من نتائج كده واستثمار خيرات الارض ولقي الرخاء واليسار عمد الى ادعاء الاختصاص والاستيثار واحس بدافع التوزع على الاعمال فتعلم من نحت الحجارة صناعة التعدين والسبك واتخذ من الاعشاب والثمار اطعمة صالحة وفلاحة رابحة وقطع من الاشجار اخشابا وصنع منها الالات والادوات واقتبس من احتكاك الاجسام الصلبة بعضها توليد النار ومن نصب الخصاص ووضع الاكواخ واقامة العمائر وتسوية الطوب والف من تقاليده ومالوفاته احكاما لابطال المنازعات فاتسع فهمه وقويت ذاكراته وكثرت اختباراته وتنوعت معارفه وتعلم من ممارسة الامور التجارب وهي اهم اصول العلم ثم قرن اليها قاعدة الاستقراء واستنبط بمقارنتهما قياس التنظير وعلى هذه القواعد اقيم بناء تمدن الامم) فانه زعم

ان الانسان لم يتعلم صناعة التعدين والسبك الا بعد مضى اعصار. وانما تعلمها من نحت الاحجار. لا بتعليم الواحد القهار وليت شعري ما المعلم له نحت الحجارة اخالقها؟ ام الحاجة؟ فانه قد زعم انها ام الاختراع والاستاذ الاول للانسان ومربيه الاكبر ومعلمه النصوح والملهمة له والموحية اليه فهلا علمت له صناعة التعدين والسبك ايضا وهذا منه صريح كذب وافتراء. وقبيح لدد ومراء. يكذبه فيه ما تقدم في حديث ابي هريرة من تعليم الله سبحانه ءادم عليه السلام الف حرفة وفي حديث ابي موسى من ان الله سبحانه لما اخرج ءادم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء وما تقدم من محاضرة الاوائل نقلا من اصول التواريخ ان اصول الاوائل العلمية البشرية صدرت من ءادم عليه السلام حين علمه الحق الاسماء كلها فعلم جميع الصنائع والحرف وما يليق من الاسامي والاعلام والاحكام والاطلاقات الى ءاخر الكون بكل لسان ولغة مما سيحدث بين اولاده وقد ورد ما يبطل دعواه في هذه الصنعة نفسها بخصوصها وشبهها ففي الدر المنثور من تخريج ابن ابي شيبة في المصنف « عن كعب قال اول من ضرب الدينار والدرهم ءادم عليه السلام » وفيه من تخريج ابن عساكر « عن معاوية بن يحيى قال اول من ضرب الدينار والدرهم ءادم ولا تصلح المعيشة الا بهما » وفيه من تخريج

ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن ابيه عن جده « قال قال النبيء صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الدنيا لم يخلق فيها ذهبا ولا فضة فلما ان اهبط ءادم وحواء انزل معهما ذهبا وفضة فسلكه ينابيع في الارض منفعة لاولادهما من بعدهما » وقال البغوي في تفسير قوله تعالى وانزلنا الحديد « قال اهل المعاني معنى قوله انزلنا الحديد انشانا واحدثنا اي اخرج لهم الحديد من اصل المعادن وعلمهم صنعته بوحيه » وفي تفسير ابن جرير « حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا الحسين عن علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة اشياء نزلت مع ءادم صلوات الله عليه السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة » ورواه في الدر المنثور من تخريج ابن ابي حاتم ايضا ثم قال « واخرج ابن عدي وابن عساكر في التاريخ بسند ضعيف عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ءادم اهبط الى الارض ومعه السندان والكلبتان والمطرقة واهبطت حواء بجدة » قال الفيومي « السندان بالفتح وزان سعدان زبرة الحداد » وقال الفيروز ابادي « الكلبتان ما ياخذ به الحداد الحديد المحمى » وتفسير الميقعة بالمطرقة في حديث ابن عباس عند ابن جرير احد معانيها قال في القاموس وشرحه « الميقعة بكسر الميم خشبة القصار التي يدق عليها صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والميقعة ايضا

المطرقة ومنه حديث ابن عباس انزل مع آدم الميقعة والسندان والكلبتان والجمع المواقع ويقال الميقعة المسن الطويل بكسر الميم » وفي الدر المنثور ايضا من تخريج عبد بن حميد وابن المنذر « عن عكرمة في قوله تعلى وانزلنا الحديد الاية ان اول ما انزل الله من الحديد الكلبتان والذي يضرب عليه الحديد » وفيه من تخريج ابن سعد « عن ابن عباس قال خرج آدم من الجنة بين الصلاتين صلاة الظهر وصلاة العصر فانزل الى الارض الى ان قال ثم انزل عليه بعد السندان والكلبة والمطرقتان فنظر آدم حين اهبط على الجبل الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر اشجارا قد عتقت ويبست بالمطرقة ثم اوقد على ذلك القضيب حتى ذاب فكان اول شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور وهو الذي ورثه نوح وهو الذي فار بالهند بالعذاب الخ » قلت كذا وجدته بافراد الكلبة وتثنية المطرقة وارى الامر بالعكس فليراجع نسخة صحيحة او الاصل وفي العرائس « قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذى اصابك فقال اجد في نفسي قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا واني اجد بين لحمي وجلدي دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك الى ذلك

فغاب عنه ثم جاءه بثورين احمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد ءادم فطارت منه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل اليها واتى بها فدفعها الى ءادم فطارت منه ايضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبيء صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت يا ءادم اني لا اطيعك واني منتقمة من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكني اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعلى « افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها الاية » ويروى ان ءادم لما اخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله واني لم اعصه ثم امره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو اول من عمل الحديد ثم اتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا ءادم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة الف درهم وثمانين الف درهم فقال ءادم ما اصنع بهذا كله فقال يآدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها اخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى

الفتنة انت واولادك الى ان تقوم الساعة ثم امره ان يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو اول من حرث الارض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحة الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس وبالا فنبت منه الحمص وراثا فنبت منه العدس الخ» وفي محاضرة الاوائل نقلا من حياة الحيوان «اول من زرع حب الحنطة ءادم عليه السلام ورد في الخبر ان الله تعلى انزل على ءادم عليه السلام ثورا احمر وبقرة حمراء فحرث بهما فاتاه جبريل بثلاث حبات من الحنطة فدقها حتى صرن قطعا ثم زرعها وقشر نخالتها فنبت الشعير فلما اتعب البقرتين بالحراثة راثا وبالا وعرقا وبكيا من التعب فانبت الله من روثها الباقلاء ومن بولها الحمص ومن عرقها العدس ومن دمعهما الجاورس ومن نخالة الجاورس الذرة» قلت صريح ظاهر كلامه ان الجاورس غير الذرة والذي في تذكرة الانطاكي تفسيره بها فليحرر وقال الرازي في تفسيره «وعن ابن عباس نزل ءادم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والمقمعة والمطرقة والابرة والمقمعة ما يجدد به ويدل على صحة هذا ما روي عن ابن عمر انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله تعلى انزل اربع بركات من السماء الى الاض انزل الحديد والنار والماء والملح» وقال في محاضرة

الاوائل «اول من اظهر وانشأ ءالات الصنائع والهم معرفة حقائق الاشياء وخواصها واسمائها بجميع اللغات واسماء اصول العلم وقوانين الصناعات البشرية التي يعول عليها عند اهاليها الى يوم القيامة ءادم عليه السلام لانه نزل من الجنة ومعه الابرة والمطرقة والسندان والكلبتان

الفصل الرابع والعشرون

وقوله واتخذ من الاعشاب والثمار اطعمة صالحة وفلاحة رابحة وقطع من الاشجار اخشابا صنع منها الالات والادوات) تخليط لا اصل له يعلم فساده بادنى تامل ولا يروج الا على فاسد التخيل وما تقدم من الادلة بل بعضها كاف في رده عند ذوي التعقل وكذا قوله (واقتبس من احتكاك الاجسام الصلبة ببعضها توليد النار ومن نصب الخصاص ووضع الاكواخ اقامة العمائر وتسوية الطوب) ثم يقال له اذا كان تعلمه اقامة العمائر وتسوية الطوب من نصب الخصاص ووضع الاكواخ فاخبرنا هم تعلم نصب الخصاص ووضع الاكواخ ؟ ام من الحاجة فانها عنده هي المعلم دون الله وهذا كله من غاية جهله وقلة اطلاعه فان البناء احد اصول الحرف الاربعة وقد علم ءادم جميع الحرف فضلا عن اصولها كما تقدم في غير ما اثر وقال الراغب في الذريعة اصول

الصناعات والمكاسب ماخوذة عن وحي وذلك ان نقص الانسان وحاجة بعضهم الى بعض ظاهر والناقص محتاج الى الكامل فلا يخلو ان يتصور اخذ واحد عن واحد بلا غاية وهو محال واما ان ينتهي الى واحد من البشر علم الصناعات اما بسماع من الملا الاعلى او بالهام او منام وهذا هو الحد فمعلوم لذي اللب ان قوى العقاقير وطبائع الحيوانات مما لا يمكن ادراك خواصها بافهام البشر وتجربتهم ورؤساء كل صناعة يقرون بذلك فاهل النجوم يقولون مبادئي النجوم من هرمس وهو قيل ادريس عليه الصلاة والسلام وكذلك اصحاب الطب يدعون مثل ذلك في معرفة الادوية » وقال علي السكتواري في المحاضرات « ولا شك ان كل كمال بشري من الحرف الادمية والصناعات البشرية التي تحتاج اليها ذريته من جهة المعاش كان ابونا ءادم اخذها وكشفها من حضرة تعليم الاسماء الكلية علمه الله تعلى حين علمه الاسماء الف حرفة » وفيه « اول من نقش الدراهم والدنانير ءادم عليه السلام لانه نزل من الجنة ومعه من اصول ءالات الصنائع كالسندان وغيره قال اهل التحقيق نقش الدراهم والدنانير وحفر معادنهما يليق بحضرة الخلافة لان الخليفة مامور بامور معاش اهل الكون واصلاحه فافهم سر الخلافة الادمية وما جرت على يد الخليفة من الصنائع لحكمة الخلافة المقتضية بتدبير الكون »

وفي العرائس « واما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يامن من رءاه فاخذ بيد اخته اقليما وذهب بها الى عدن من ارض اليمن فاتى اليه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان اخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب ايضا انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من نصب النار وعبدها الخ » فهذا يدل على ان صنعة البناء كانت معلومة من زمن ءادم عليه السلام »

الفصل الخامس والعشرون

واما قوله « والف من تقاليده وما لوفاته احكاما لابطال المنازعات الخ » فمنكر من القول وزور . ارتكس به على ام راسه في مهواة الثبور . اذ زعم ان احكامهم وضعية لا شرعية وانهم ما وضعوها الا بعد استيطانهم شواطيء الانهار والبحار فهم عنده قبل حيوانات غفل . وبهائم همل . لاسائس لهم ولا حاكم . ولا تكليف عليهم ولا احكام . وبعد مضي ازمنة طوال . تبدلت فيها لهم الاحوال . وضعوا من تلقاء انفسهم احكاما لفصل المنازعات وهذا مذهب بعض الفلاسفة القائلين ان الشرائع باتفاق من افاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل . وقد بسط ابن حزم في الفصل الرد عليهم بما لا مزيد عليه ثم

نقول هلا بين لنا هذا المفتري من الواضع لها منهم وتاريخ وضعهم لها ؟ وهذا منه انكار لرسالة ءادم وشيث عليهما السلام وشرعهما ونفي لتكليفهما وتكليف اولادهما او للتكليف مطلقا ايرى هذا السفيه انهم خلقوا عبثا وتركوا سدى بعد قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ذلك ظن الذين كفروا ؟ كلا ماخلقوا الا للعبادة وما عاقبتهم الا الشقاوة او السعادة اما كان هذا الرجل من المسلمين فيلفت نظره الى قول اصدق القائلين «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ؟» فقد روى ابن جرير وغيره «عن ابن عباس رضي الله عنه ترجمان القرءان وحبر الامة وابن عم صاحب النبوة صلوات الله عليه بسند صحيح انه قال كان بين نوح وءادم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين » وفي الدر المنثور من تخريج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابي يعلى والطبراني بسند صحيح « عن ابن عباس كان الناس امة واحدة قال على الاسلام كلهم » وقال ابن جرير « حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله كان الناس امة واحدة قال كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين فكان

اول نبيء بعث نوح » قلت يعني ان نوحا اول نبيء بعد الاختلاف فلا ينافي ان ءادم وشيثا كانا نبيئين وقال الالوسي « كان الناس امة واحدة متفقين على التوحيد مقرين بالعبودية حين اخذ الله تعالى عليهم العهد وهو المروي عن ابي ابن كعب او بين ءادم وادريس عليهما السلام بناء على ما في روضة الاحباب ان الناس في زمان ءادم كانوا موحدين متمسكين بدينه بحيث يصافحون الملائكة الا قليلا من قابيل ومتابعيه الى زمن رفع ادريس او بين ءادم ونوح عليهما السلام على ما روى البزار وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بينهما عشرة قرون على شريعة من الحق او بعد الطوفان اذ لم يبق بعده سوى ثمانين رجلا وامراة ثم ماتوا الا نوحا وبنيه حام وسام ويافث وازواجهم وكانوا كلهم على دين نوح عليه الصلاة والسلام فالاستغراق على الاول والاخير حقيقي وعلى الثاني والثالث ادعائي بجعل القليل في حكم العدم وقيل متفقين على الجهالة والكفر بناء على ما اخرجه ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا كفارا وذلك بعد رفع ادريس عليه الصلاة والسلام الى ان بعث نوح او بعد موت نوح عليه الصلاة والسلام الى ان بعث هود عليه الصلاة والسلام » وقال ابن كثير بعد ان ذكر بعض هذه الاقوال « والقول الاول عن ابن عباس اصح سندا ومعنى

لان الناس كانوا على ملة ءادم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام الخ » وقد رجح القول بان الاتفاق كان على الاسلام بوجوه منها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيئين ومنها التصريح بهذا المحذوف في قوله تعالى « وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا » والقرءان يفسر بعضه بعضا ومنها قوله سبحانه « فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين » لان البعث انما يكون بعد الاختلاف ومنها قوله تعالى « ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » فانه يدل على ان الاتفاق كان حاصلا قبل البعث والانزال وايا ما كان فقد اتضح ان ما ادعاه هذا المخذول من ان الناس كانوا في اول امرهم على نهج الحيوانات في جميع احوالهم ثم بعد ملاوة من دهرهم وتبدل اطوارهم وضعوا احكاما لانفسهم فلا شرع لهم من خالقهم ولا رسول اليهم بتوحيد ربهم كفر وضلال مخالف لهذه الاية الجليلة على جميع ما فسرت به من هذه الاقوال وقد تبع في هذه الضلالة امامه محمد عبدة المتعسف عن الجادة في مسائل عديدة فانه زعم « ان ما جاءه من انباء الامم وما رءاه من آثارهم وما عرفه من حال بعضهم اليوم يشهد شهادة لا يرتاب فيها من اديت اليه ان العناية الالاهية سارت بالانسان في جماعته كما سارت به في افراده يخلق الله الفرد من

البشر ضعيف القوة فاقد العلم لا يعرف شيئا من امره كما جاء في التنزيل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ثم ابواه او من يكفله سواهما يقوم عليه يقوي بنيته ويدفع عنه ما عساه يهدمها ويعلمه كيف يسمع وكيف ينظر وكيف يتقي بصره وسمعه ما تخشى عاقبته وقعه الى ان يبلغ من السن حدا معلوما يكون فيه الحس قد اعده لاستعمال قوة اخرى كانت لا تزال قاصرة فيه وهي قوة العقل ويسهل عليه ان يفكر فيما مضى وينظر فيما حضر ليعرف منها كيف يسلك في عمله لما يستقبل فكمال استعداد العقل للنظر في شؤن الشخص هو منتهى نمو القوى المدركة كما ان وصول البنية الى الحد المعروف في السن المعلومة هو منتهى نمو البدن على هذه السنة قادت العناية الالاهية جماعة البشر فكما ينشا الفرد قاصرا في جميع قواه ضعيفا في جميع اعضائه كذلك نشات الجمعية البشرية على ضرب من السذاجة لا تبلغ بها الى تناول الشؤن الرفيعة والمعاني العالية والمعارف السامية غير ان الذي يربي الفرد ويسوس قواه الى ان يبلغ رشده هو الابوان او من يقوم مقامهما والذي يكفل الجمعية ويربي قواها ويشد بناءها انما هو الكون وما يمسها من حوادثه والحاجات ووقعها

والضرورات ولذعها وكما يودب الصبي ابواه يودب الجماعة
شدة وقع الحوادث الكونية منها وهي في هذا الطور لاهمّ لها
الا المحافظة على بنيتها الجسمية وحاجتها البدنية وليس عندها
من الزمن ما تتفرغ فيه لادنى من ذلك كما هو شان الطفل في
صباه والآثار التي عثر عليها الباحثون في مباديء ظهور الصناعة
عند البشر وارتقاءها من ادنى الاعمال الى ما يظنه الناظر اعلاها
اليوم تشهد شهادة كافية بان البشر كانوا في بدء امرهم
من قصور القوى على حالة تشبه حالة الصبيان في الافراد فقد
كانوا في بعض اطواره لا يهتدون الى اصطناع المعادن القابلة
للطرق كالنحاس والحديد وان ءلاتهم للدفاع ونحوه كانت من
الحجارة ثم ارتقوا الى استعمال النحاس ثم ارتقوا بعد ذلك الى
استعمال الحديد وعلى هذا النحو كان رقي معارفهم في جميع
ابواب الصناعة وما عليك الان تنظر كيف ابتدأوا وضع
حروف الكتابة من الخط المسماري ثم لم يزالوا يرتقون فيه
الى ان وصلوا الى ما تعرف اليوم كل ذلك يدل على ان سنة الله
في الجماعة هي بعينها سنته في الفرد منها من التدرج به من
ضعف الى قوة ومن قصور الى كمال كانوا في طور القصور
منغمسين في الحس والمحسوس فاذا تخلصوا منه الى شيء تخلصوا الى وهم
يثيره الحس وانما هو ظل له يظن شيئا وليس بشيء ولم يزالوا كذلك

والتجارب تكشف لهم خطاهم فيما يتوهمون والحوادث تاتيهم بعلم
مالم يكونوا يعلمون حتى عقلوا كثيرا من اصول اجتماعهم
وكشفوا شيئا من عناصر بنيته المعنوية ووصلوا الى منزلة
الاستعداد لان يفهموا باطن ما عقلوا وسر ماء رفوا ولان يخلصوا
من هذا العلم الجسماني الذي كانوا فيه الى عالم روحاني كانوا
يسيرون في طلبه من حيث لا يشعرون هنالك تهيا لهم ان ينتقلوا
من طور قصور الصبي الى اول سن الرشد فجاءتهم النبوة تهديهم
الى ما يستقبلونه في ذلك الطور الجديد طور يكون واضع
النظام لاجتماعهم هو الله جل شانه ويكون المجدد لصلتهم
بربهم تعالت اسماءه هو الرحيم بهم العليم بمصالحهم وهو مع
ذلك مما لا تحدده عقولهم ولا تسموا الى اكتناه ذاته معارفهم
هذه هي الغاية التي لم يكن لهم ان يدركوها وهم في قصور
الطور الاول قد انتهوا اليها عند دخولهم في الطور الثاني لان
ظهور النبوة والاستعداد لقبولها طور من الاطوار البشرية لا
يصل اليها النوع الانساني الا بعد التدرج في طريق طويلة تنتهي
غايتها الى هذا النوع من الكمال الانساني الاستعداد لظهور النبوة
وقبول دعوتها مرحلة من المراحل التي تسير فيها الجمعية البشرية
عندما تبلغ العقول منزلة من القوة ومقاما من السلطة وتبلغ
النفوس من قوة التصرف في المنافع والمضار ما يخشى معه من

ضلالها ان يوقعها في خبالها عند ما تعظم مطامع العقول والشهوات وتتسع مجالاتها وتبعد مطامحها هناك يخشى على الجمعية البشرية من بعض افرادها اومن كل واحد منهم على بقية اركانها كما يخشى من قوى الشاب ان تهلكه عندما تبلغ البنية حد النمو وتبدو له الشهوات في اجلى صورها فكما كان من حكمة الله ان يهب الشاب قوة العقل عند باوغ السن الذي تعظم فيه الشهوة ويقوى فيها الاحساس بالحاجة الى توفير الرغائب حتي يقوده في تلك الغمار كذلك فعل الله بالجمعية البشرية عندما بلغت بمعارف افرادها ذلك الحد الذي ذكرنا وهبها تلك الهداية الجديدة وايدها بالدلائل التي بلغ من قوة العقول ان تدركها وان تصل من مقدماتها الى نتائجها اه كلامه » ويكفي المنصف ردا عليه ما تقدم لنا في الرد على المؤتم به من الادلة الساطعة . والحجج القاطعة . على ان لنا في الرد على مقالته هذه وبعض امثالها من جهالاته . رسالة مستقلة بينا فيها خطاه . واوضحنا شططه . وليت شعري ما هذه الانباء التي بلغته وعمن جاءته ؟ اعن الله سبحانه وتعالى في كتابه ؟ ام عن الرسول صلى الله عليه وسلم بواطة الثقات من امته ؟ ام عن علماء الالمان والانكليز والافرنج وباحثيهم ومجوس اهل الصين ودهريهم ؟ الابل ما جاءته الا عن جهلة امم الضلالة . على ما

صرح بذلك في نظير هذه الجهالة . فنعوذ بالله من العماية . واي مؤمن مصدق بالقرآن يتفوه بهذا ويعتقده بعد قوله تعالى « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » فان لفظة كل موضوعة لاستغراق افراد المنكر وهي في الآية داخلة على منكر فتفيد استغراق افراده وشمول جميعها وجعل الحكم شاملا لكل فرد فرد وقوله تبارك اسمه « وان من امة الا خلا فيها نذير » فعن قتادة في الآية يقول كل امة قد كان لها رسول جاءها من الله وقوله تعلى جده « انما انت منذر ولكل قوم هاد » فعن مجاهد قال في الآية المنذر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل قوم هاد نبيء يدعوهم الى الله ايصر بعد هذه الحجج القطعية على ان ءادم واولاده ليسوا بقوم ولا امة انسية حتى يتاهلوا ان يبعث فيهم رسول وانما هم امة حيوانية لا فهم لهم ولا عقول ؟ وكيف يدعي انهم بعد ما انسلخوا عن الحيوانية المحضة وبلغت عقولهم لوضع الاحكام لقطع المنازعة ما كانوا مكلفين بشريعة ؟ ام يرى ان عقولهم مع بلوغها الى درجة وضع الاحكام لم تصل الى حد التكليف مثل عقول الصبيان ؟ فما اقبح هذا التناقض والاضطراب ام يزعم ان لا تكليف ولا شرع كاعتقاد الدهرية او المزدقية اصحاب مزدق الموبذ وهم

القائلون بالمساواة في المكاسب والنساء ؟ ثم يدعي ان ءادم ليس باصل للنشاة الانسانية ؟ تالله ما هذا كله الا ضلال وفرية فان رسالة ءادم عليه السلام مما لا شك فيها ولا مرية . واصطفاءه مما صرح به القرءان وتواترت به السنة النبوية . والرسول لابد ان يكون متصفا بالصفات السنية ، داعيا الى عبادة خالق البرية . متعبدا بشريعة من الله سبحانه قال جل جلاله « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » فالاية الكريمة شاملة لجميع الرسل ءادم ومن بعده قال ابن كثير في تفسيرها « يقول تعلى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات الباهرة والدلائل القاطعة وانزلنا معهم الكتاب وهو النقل الصدق والميزان وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للاراء السقيمة الخ

(تتمة) قال ابواسحاق الثعلبي « قال الاستاذ خلق الله ءادم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في احسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه واسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل واباح له

جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وامر ملائكته بالسجود له وامرهم بالتلقين وجعله ابا البشر وجعله خليفة في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من اجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول تائب واول مجتبى واول مصطفى واول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم » فالعجب ممن يصف ءادم عليه السلام المخصوص بهذه المزايا السنية . والصفات العلية . بما لا يرضى اقل الناس ان يوصف به من الصفات الدنية . كالسذاجة والحيوانية المحضة . ثم يزعم مع ذلك انه من اجلة النقاد . ويعد نفسه فيمن ترشح لارتقاء منبر الارشاد . تالله ان هذا لهو العجب العجاب . وما ارتطم به في هذه الورطة الا الزهو بعقله والاعجاب . وحب العلو والترفع على الاقران . من غير فهم ولا عرفان ومخالطة لاقوام تحذلقوا في المعقولات . واستخفوا بالسمعيات فتاهوا في اودية الضلال فنعوذ بالله من الخذلان .

الفصل السادس و العشرون

واما قوله (فاتسع فهمه وقويت ذاكراته وكثرت اختياراته وتنوعت معارفه الخ) فكلام عي صادر عن جهل وغي لادعائه انهم لم يصلوا هذه المرتبة من المعرفة الا بعد مضي مدة عنهم في غباوة ولم ينالوها الا بفكر وتجربة وايجاء الحاجة وان اهم اصول العلم في وهمه الفاسد هو التجارب وقد علمت مما تقدم ان هذا كله من هذيانه الذي لا يرتاب في بطلانه فانه ان اراد بالعلوم ما يعم الدينية فكذب محض اذ لا دخل للعقل والتجارب في العلوم الشرعية وما اصولها الا الكتاب والسنة واجماع الامة وآثار الايمة . وان اراد بها علومه التي يختارها عليها كعلوم الحرف فقد تقدم في غير ما خبر واثر ان اصلها تعليم الله اياها لآدم عليه السلام ويكفي المنصف ما روى في الدر المنثور من تخريج وكيع في تاريخه وابن عساكر والديلمي عن عطية بن يسر مرفوعا في قوله وعلم آدم الاسماء كلها « قال علم الله في تلك الاسماء الف حرفة من الحرف وقال له قل لولدك وذريتك يا آدم ان لم تصبروا عن الدنيا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين فان الدين لي وحدي خالصا ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له » وما تقدم عن المحاضرات «من

ان اصول الاوائل العلمية البشرية صدرت من آدم عليه السلام حين علمه الحق الاسماء كلها فعلم جميع الصنائع والحرف وما يليق من الأسامي والاعلام والاحكام والاطلاقات الى اخر الكون بكل لسان ولغة مما سيحدث بين اولاده « وفيه ايضا « اخرج الامام عبد الرحمان السيوطي في اصول اللغة نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعلى وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه في تلك الاسماء الف حرفة مما يحتاج اولاده اليها كما علمه الالسن كلها من العربية والسريانية والعبرانية وغيرها ورد في الخبر علمه سبعين الف لسان وعين اسماء الاشياء بانواع الالسن فكل شيء سماه آدم فهو اسمه الى يوم القيامة وكان يدعو كل شيء باسمه وهو يمر بين يديه فعلمت الملائكة انه اكرم الخلق على الله تعلى فتفرقت الالسن والحرف في اولاده توفيقا منه فكل اخذ عن الاب الاكبر بحسب الاستعداد للكمالات الادمية الى يوم القيامة فبقيت الحرف قرنا بعد قرن وبطنا بعد بطن من اولاده فنسبت كل حرفة الى من بدت منه وتعينت على يده كالكتابة والخياطة على يد ادريس عليه السلام والقاعدة الكلية ان تنسب كل حرفة عند عدم الشعور باول واضعها الى ءادم الصفي عليه السلام ولا يجوز الانتساب بالحرفة الى خلاف الملة الاسلامية كجمشيد وغيره وان كان يجوز اخذ الحرفة من الكافر عند

الضرورة مما يحتاج اليه بنوءادم فمتى كانت الحرفة مباحة في امر المعاش ولم يعرف من التاريخ على التحقيق واضعها الاول فالانتساب بها الى ابي البشر ءادم الصفي عليه السلام لانه ثبت ان الحق علمه بتعليم الاسماء الف حرفة فهو المقتدى بهذا الاعتبار لانه اصل كل كمال ومعدن حقائق الكون والاحوال وهو اول خليفة ظهر بالكمالات الكلية في الاكوان فليحفظ ذلك والله الموفق

وفيه ايضا « اول من اجتهد في الصنائع المتعددة ءادم عليه السلام وقد كان علمه الله الف حرفة حين علمه الاسماء واول من خاط بالابرة واشتهر بالحرفة بعد ءادم ادريس عليهما السلام » فدل على ان ءادم اول من خاط على الاطلاق واول من خاط بعده ادريس فاوليته اضافية واشتهارية ثم ان التوسع في العلوم العقلية اذا لم يتقيد صاحبها بالقيود النقلية ولم يلازم القوانين الشرعية وبال عليه اي وبال . فانها تفضي به الى شنع الضلال .

الفصل السابع والعشرون

واما قوله (ابعد هذا يكون المرء عقبة كاداء في سبيل التعليم لحاجة في نفس يعقوب) فكذب واضلال وتلبيس على الضعفة والجهال بادعاء الباطل حقا والحق باطلا فننشد الله ذوي الالباب ان ينظروا من الذي كان عقبة في سبيل التعليم وقاطعا عن الخلق

طريق الرب الرحيم . ؟ اهو الذي يدعوهم الى تعلم القرءان وشرائع الاسلام . وسنة سيد الانام صلى الله عليه وسلم عدد الليالي والايام . ويحضهم على اتباع الايمة الاعلام . واقتفاء سير السلف الكرام . ؟ ام الذي يزهدهم في اقتناء العلوم الشرعية . والمعارف الدينية . ويغريهم على الاشتغال بالعلوم العقلية . والمعارف الفلسفية . كالعلوم الطبيعية والهندسية . والرياضية والفلاحية . واللغات الاجنبية . ويخيل لهم انها افضل واهم من علوم الشريعة الاسلامية . وان احتياجنا اليوم اليها لان المتغلبين علينا ما اتيحت لهم السيادة الا بها . وما امتلكوا ناصيتنا بعلوم دينها . فتعسا لمن يضل الناس عن دينهم ، ويقعد لهم على صراط ربهم . فيريهم المعروف منكرا والمنكر معروفا اللهم لا تجعلنا ضالين ولا مضلين واما قوله (ومن ذلك العهد صارت اعمال الانسان علوما دون فيها الكتب والمصنفات وانشا لها المكاتب للتعليم الخ) فهذر بين البطلان . مما تقدم عند ذوي العرفان . لا اصل له ولا جدوى للجواب عنه اذ هو محض تكرار وليت شعري هل يرى هذا التايه ان دين الاسلام من جملة تلك الاديان الفائضة التي كان فيضانها وتعمير المدن وانتظار الممالك وتكوين الامم وقيام الدول غاية لتلاحق العقول وتلقح الافكار وشروع الجمعيات في نقل بعضها عن بعض ما تحتاج اليه من الاراء والصنائع المترتبة

على صيرورة اعمال الانسان علوما مدونة فيها الكتب والمصنفات ومنشئة لها المكاتب للتعليم الخ فهو عنده مثل تلك الاديان في انه من نتائج تلاحق العقول وتلقح الافكار ونقل الاراء لا انه وضع الاهي وهذا هو الذي يدل عليه قوله قبل رالف من تقاليده ومالوفاته احكاما لابطال المنازعات لتضمنه انكار وجود شرع لهم قبل تاليفهم لتلك الاحكام اذ لو كان لاستغنوا به ؟ ام هل يراه خارجا عنها ؟ فهل هو متقدم عنها اومتاخر ؟ وهذا على كل احتمال من افحش الضلال اعاذنا الله من منكرات الاقوال وسيئات الاعمال

الفصل الثامن والعشرون

ومن الضلال البعيد والكفر الذي ما عليه من مزيد قوله (كان الانسان في بداية الامر قانعا كما اسلفنا في مغالبة الحيوان الى سلطانه واليوم نراه تحول لامتلاك ناصية الطبيعة واخضاعها لعناصره فقد سخر الرياح وسير السحاب وتحكم في المياه وتقلب في البحار واستخرج دفائن الارض واستنبتها ما شاء وسلب الباس على الصواعق والحديد واستخرج قوات الطبيعة الخفية مثل الكهرباء والبخار عوضا عن الدواب وقرب الابعاد وطوى المسافات وتفنن في اختراع المقذوفات وابتكار المدمرات لنسف

الاطواد وتحويل الاوتاد وانباط البحار والكشف عن المجاهيل والقفار الى غير ذلك من كل مغرب ومعجب) فان قوله كان الانسان في بداية الامر قانعا كما اسلفنا في مغالبة الحيوان الى سلطانه اشارة منه الى ما تقدم له من ان اوائل الناس كانوا خاليين من العلوم والمعارف مشاكاين في احوالهم ومالوفاتهم للحيوانات البهيمية متهارشين معها على البقاع المعشبة وضفاف الانهار المتدفقة لا تفكر لهم الا في الاحتيال على غلبتها والتسلط عليها ولا اهتمام لهم الا بتحصيل الامن من غاراتها وقد تقدم لنا الاستدلال على بطلانه بالحجج القطعية والدلائل السمعية وانه انكار لشرع آدم الصفي وولده شيث ورسالتهما عليهما السلام وطعن وانكار لآدم راسا والكل كفر اجماعا يوجب في الدنيا ردة وقتلا وفي الاخرة عذابا وخزيا واما قوله (واليوم نراه تحول لامتلاك ناصية الطبيعة واخضاعها لعناصره) فهو معتقد الطبعيين ايمة الكفر كسقراط وافلاطون وبقراط الزاعمين ان الاشياء تتكون عن الطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة وهما فاعلتان والرطوبة واليبوسة وهما منفعلتان قال الخوارزمي «فمن قائل تركيب هذه الاشياء الاربعة من غير صانع ومن قائل هذه الطبائع فاعلات تدبر العالم بطبعها» وفي الملل والنحل للشهرستاني «قال بقراط في الطبيعة انها القوة التي تدبر جسم الانسان

فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمة للنفس في اتمام
هيكلها ولا يزال هو المدبر له غذاء من الثدي وبعده مما به
قوامه من الاغدية ولها ثلاث قوى المولدة والمربية والحافظة
ويخدم الثلاث اربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة»
وقال الشيخ ابو عمار رحمه الله « يقال لهم اخبرونا عن هذه
الطبائع احيوان هي ام موات فيحيدون عند ذلك عن الجواب
فلا يقولون حيوان ولاموات ولا يجيبون الا بمثل هذيان وتخليط
ويقولون الطبائع اذا امتزجت بضرب من الامتزاج تكون عن
امتزاجها كذا واذا امتزجت بضرب آخر يخالف الامتزاج الاول تكون
عند ذلك الامتزاج شيء بخلاف الصفة الاولى قيل لهم نظرنا الى
هذه الصنائع التي تكون منا من الحياكة والصبغ والصياغة
والبنا وضرب النقش وما يشبه ذلك فوجدناه لا يقع ولا يكون
الا ممن به حياة وعلم وقدرة ولا تتكون عن طبيعة ما ابدا فلم
جعلتم ما هو اعجب من ذلك صنعا من تاليف الحيوان وتركيبه
وزيادته ونقصانه ونموه وتناسله وغير ذلك من صنوف عجائب
التدبير يكون بالطبائع من غير حياة ولا علم ولا قدرة وفي فساد
تكون ما هو دون ذلك من الصنائع ووقوعه عن الطبائع بطلان
تكون ما هو اعجب من ذلك صنعا والطف منه حكما عن الطبائع ثم
يقال لهم اخبرونا عن هذه الالوان التي توجد في الاشياء من ابيض

وسود او حمرة وصفرة وخضرة اعن طبائع تكونت فان قالوا نعم قيل لهم
فما بال الابيض منها نجده حارا تارة وتارة باردا فنجد الاسود
يابسا تارة وتارة لدنا ونجد الابيض حلوا تارة وتارة حامضا
والاسود حامضا وتارة حلوا ويختلف في اللون والطعم ويتفق
في الحرارة والبرودة وفي اليبس واللدونة فهلا كان الحامض
حيث وجدناه رطبا ويابسا والابيض حيث ما وجدناه حارا
او باردا وفي وجودنا اتفاق هذه الالوان وهذه الطعوم على
غير اتفاق الطبائع التي ذكرتم ووجدنا اختلاف هذه الالوان وهذه
الطعوم على غير اختلاف الطبائع التي بنيتم عليها تكون الاشياء
فساد القول بالطبائع» اه وقال ابن حزم « ثم تراكيب اعضاء
الانسان والحيوان من ادخال العظام المحدبة في المقعرة وتركيب
العضل على تلك المداخل والشد على ذلك بالعصب والعروق
صناعة ظاهرة لا شك فيها لا ينقصها الا روية الصانع فقط ومن
ذلك ما يظهر في الاصباغ الموضوعة في جلود كثير من الحيوان
وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع
واحد لا تخالف فيه كاصباغ الحجل والشفانين اليمام والسمان
والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسمك لا
يختلف تنقيطه البتة ولا تكون اصباغه موضوعة الا وضعا
واحدا كاذناب الطواويس وفي السمك والجراد والحشرات نوعا

واحدا كالذي يصوره المصورين ثم منها ما ياتي مختلفا كاصباغ
الدجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان فبالضرورة والحس
نعلم ان لذلك صانعا مختارا يفعل ذلك كله كما شاء ويحصيه
احصاء لا يضطرب ابدا عما شاء من ذلك وليس يمكن البتة في
حس العقل ان تكون هذه المختلفات المضبوطة ضبطا لا
تفاوت فيه من فعل طبيعة ولابد لها من صانع قاصد الى صنعة كل
ذلك ومن درى ما الطبيعة علم انها قوة موضوعة في الشيء
تجري بها صفاته على ما هي عليه فقط وبالضرورة يعلم ان لها
واضعا ومرتبا وصانعا لانها لا تقوم بنفسها وانما هي محمولة
على ذي الطبيعة ومنها ما نري في ليف النخل والدوم من
النسج المصنوع يقينا بنيرين وسدى كالذي يصنعه النساج ما
تنقصنا الا روية الصانع فقط وليس هذا البتة من فعل طبيعة
ولا بنسج ناسج ولا بناء ولا صانع اصباغ مرتبة بل هو صنعة
صانع مختار قاصد الى ذلك غير ذي طبيعة لكنه قادر على
ما يشاء هذا امر معلوم بضرورة العقل واوله يقينا كما نعلم ان
الثلاثة اكثر من الاثنين فصح انه خالق اول واحد
حق لا يشبه شيئا من خلقه البتة لا اله الا هو الواحد الاول
الخالق عز وجل » وقال ابن القيم « ثم تامل هذه الالوان
والاصباغ والوشي التي تراها في كثير من الطير كالطاوس

والدراج وغيرهما التي لو خطت بدقيق الاقلام ووشيت بالايدي
لم يكن هذا فمن اين في الطبيعة المجردة هذا التشكيل
والتخطيط والتلوين والصبغ العجيب البسيط والمركب الذي
لو اجتمعت الخليقة على ان يحاكوه لتعذر عليهم فتامل ريش
الطاوس كيف هو فانك تراه كنسج الثوب الرفيع من
خيوط رفاع جدا قد الف بعضها الى بعض كتاليف الخيط الى
الخيط بل الشعرة الى الشعرة ثم ترى النسج اذا مددته ينفتح
قليلا قليلا ولا ينشق ليتداخله الهواء فينقل الطائر اذا طار فترا
في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج على ذلك الثوب
التي كهيئة الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي تكون
في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف يشتمل على الهواء فيحمل
الطائر فاي طبيعة فيها هذه الحكمة والخبرة واللطف ثم لو كان
ذلك في الطبيعة كما يقولون لكانت من ادل الدلائل واعظم
البراهين على قدرة مبدعها ومنشئها وعلمه وحكمته فانه لم يكن
ذلك لها من نفسها بل انما هو لها ممن خلقها وابدعها فما كذبه
المعطل هو احد البراهين والايات التي على مثلها يزداد ايمان
المومنين وهكذا « ايات الله يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء »
ثم نقول لهذا الطبيعي هب ان الطبيعة هي الفاعلة على اعتقادك
الفاسد وان الانسان قد تحول من السذاجة والبهيمية الى

امتلاك ناصيتها واخضاعها للعناصر على زعمك الكاسد فمن
ذا الذي كان ممتلكا لها قبل تحوله لامتلاكها ؟ اتزعم انها
قبل مستقلة بامتلاك نفسها ؟ ام ترى ان ممتلكها هو الله سبحانه ثم
نازعه هذا الانسان في امتلاكها فغلبه عليه او شاركه فيه ؟
تعالى الله عن الاضداد والانداد والشركاء علوا كبيرا . أبعد
شهادة البراهين النقلية والعقلية بان لاموثر في الوجود ولا فاعل
على الحقيقة الا الله سبحانه يتجاسر ذو عقل فضلا عمن يعد
نفسه في اهل الارشاد والفضل عن اسناد التاثير الى الانسان
والطبيعة ويجدو طريق الفلاسفة الزاعمين ان الله تعالى ما انزل
على بشر كتابا ولا ارسل الى الناس رسولا فلا شرع يتبع
ولا دار بعد هذه الدار ولا مبدأ للعالم ولا معاد ولا بعث ولا
نشور ولا جنة ولا نار ان هي الا تسعة افلاك وعشرة عقول
واربعة طبائع وافلاك تدور ونجوم تسير وارحام تدفع وارض
تبلع وما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر
وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فنعوذ بالله من الخذلان
والعمه في الطغيان . واين هذا من مبالغة ابي الحسن الاشعري وجل
اشياعه في نفي الاسباب هربا من وصفه تعالى بالافتقار الى غيره
واستكماله في زعمهم حتى ذهبوا الى نفي تسبب الحوادث عن الاسباب
وراوا ان ليس لها الا اسباب عادية توجد عند وجود تلك الاسباب

فالاحراق عندهم ليس بالنار وانما يخلقه الله عند مماستها للمحترق
فقد قال ابن حزم « ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة
وقالوا ليس في النار حرق ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة
اصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة
قالوا ولا في الخمر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها ولكن
الله عز وجل يخلق منه ما يشاء وقد كان ممكنا ان يحدث من
مني الرجال جملا ومن مني الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا »
وقال الالوسي في تفسير قوله تعالى وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم « والمشهور عند الاشاعرة
ان الباء سببية عادية في امثال هذا الموضع فلا تاثير للماء عندهم
اصلا في الاخراج بل ولا في غيره وانما المؤثر هو الله تعالى عند
الاسباب لا بها لحديث الاستكمال بالغير قالوا ومن اعتقد ان الله
اودع قوة الري في الماء مثلا فهو فاسق وفي كفره قولان فيجب
عندهم ان يعتقد المكلف ان الري جاء من جانب المبدإ الفياض بلا
واسطة وصادف مجيئه شرب الماء من غير ان يكون للماء دخل في
ذلك بوجه من الوجوه سوى الموافقة الصورية ولكن قد
رد عليهم بقوله وانا الفقير لا اقول بذلك ولكني اقول ان الله
سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الاسباب
محل حكمته في امره الديني الشرعي وامره الكوني القدري

ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى جحد للضروريات
وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء
فقد جعل الله تعالى شانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب
والعقاب والحدود والكفارات والاوامر والنواهي والحل والحرمة
كل ذلك مرتبطا بالاسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته
وافعاله سبب لما يصدر عنه والقرءان مملوء من اثبات الاسباب
ولو تتبعنا ما يفيد ذلك من القرءان والسنة لزاد على عشرة ءالاف
موضع حقيقة لا مبالغة ويا لله تعالى العجب اذا كان الله خالق
السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات
طوع مشيئته وقدرته منقادة فاي قدح يوجب ذلك في التوحيد
واي شرك يترتب عليه نستغفر الله تعالى مما يقولون فالله عز
وجل يفعل بالاسباب التي اقتضتها الحكمة مع غناه عنها كما صح
ان يفعل عندها لا بها وحديث الاستكمال يرده ان الاستكمال
انما يلزم لو توقف الفعل على ذلك السبب حقيقة واللازم باطل
لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فالاسباب مؤثرة بقوى اودعها الله تعالى فيها ولكن باذنه واذا
لم ياذن وحال بينها وبين التاثير لم تؤثر كما يرشدك الى ذلك قوله
تعالى « وما هم بضارين به من احد الا باذن الله » ولو لم يكن في
هذه الاسباب قوى اودعها العزيز الحكيم لما قال سبحانه « يا

نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » اذ ما الفائدة في القول وهي
ليس فيها قوة الاحراق وانما الاحراق منه تعالى بلا واسطة ولو
كان الامر كما ذكروا لكان للنار ان تقول الاهي ما اودعتني شيئا
ولا منحتني قوة وما انا الا كيد شلاء صحبتها يد صحيحة تعمل
الاعمال وتصول وتجول في ميدان الافعال افيقال لليد الشلاء
لا تفعلي وفي ذلك الميدان لا تنزلي ولا يقال ذلك لليد الفعالة
وهي الحرية بتلك المقالة ولا اظن الاشاعرة يستطيعون
لذلك جوابا ولا اراهم يبدون فيه خطابا وهذا الذي ذكرناه
هو ما ذهب اليه السلف الصالح وتلقاه اهل الله تعالى بالقبول ولا
يوقعنك في شك منه نسبته المعتزلة فانهم يقولون ايضا لا الاه
الا الله افتشك فيها لانهم قالوها معاذ الله تعالى من التعصب
فالحكمة ضالة المؤمن والحق احق بالاتباع والله تعالى يقول
الحق وهو يهدي السبيل » قلت وهذا رد وجيه واعتراض
صحيح لا ينكره نبيه وفي كلام بعض اصحابنا ما يقتضي موافقة
قول الاشعرية في هذه المسئلة قال الشيخ عبد العزيز في المعالم
« اضافة الفعل الى غير الله سبحانه ثلاثة انواع احدها اضافته
الى الافلاك وانها هي المؤثرة في العالم السفلي كما مر وهذا
النوع يختص به الفلاسفة ومن تبعهم من عامتهم ولا خلاف في
اشراكهم بذلك الثاني ما اضيف من فعل بعض الحوادث الى

بعض كاضافة الاحراق الى النار والاشباع الى الطعام والارواء للماء والستر للثوب الى غير ذلك من ربط المعتادات حتى ظنوها واجبة فتلك كما قيل ضلالة تبع الحكماء فيها كثير من العامة بل ومن الفقهاء الغير الراسخين وهم في ذلك على اعتقادات فمن قال بطبعها تفعل ذلك فلا خلاف في اشراكه ايضا الثالث من قال بقوة اودعها الله فيها فبعض الاشاعرة شركه بذلك وهو اعتقاد المعتزلة في خلق افعالهم والصحيح انهم به منافقون ومن علم ان الله سبحانه وتعالى ربط بعض افعاله ببعض بجري عادته فكما جعل الطعام مثلا يشبع باختياره وقدرته ولو شاء لخرق تلك العادة ويجعله لا يشبع مثلا وكذا في الارواء بالماء والستر بالثوب والذبح بالسكين او يقول ان الله سبحانه اجرى عادته بحصول الشبع عند الاكل لا به وبحصول الري عند الماء لا به وزهوق الروح عند السكين لا به والستر عند الثوب لا به في امثالها ولو شاء ما حصل ذلك عندها كان من المؤمنين السالمين من تلك الافة بفضل الله سبحانه » اقول ولي توقف في الفرق بين ما منعه من القول بانها تفعل بقوة اودعها الله فيها وبين ما اجاز من القول بان الله تعالى جعل الطعام يشبع فان جعل الله الطعام مشبعا ان لم يكن عين ايداعه سبحانه فيه القوة المشبعة فلا اقل من ان يكون مثله فليتامل

الفصل التاسع والعشرون

واما قوله (فقد سخر الرياح وسير السحاب وتحكم في المياه وتقلب في البحار واستخرج دفائن الارض واستنبتها ما شاء الخ) فتقرير لما زعم من تحول الانسان من السذاجة والجهل الى امتلاك ناصية الطبيعة وايضاح له وهو كفرجلي . لا يصدر الا من جاهل غوي . فان فيه تصريحا باسناد ما هو من افعال الله القاهر القدير العالم الخبير الى الانسان المخلوق المفتقر الضعيف الحقير وهو محض ضلالة . وصريح جهالة . تورط به في ردغة الكفر . وضاهى به معتقد الفلاسفة واهل الدهر . فلو كان له ادنى التفات الى التصديق بالقرءان . لاستحيا من مثل هذا العدوان . الذي لم يقدر ان يتفوه به عباد الاوثان . على ما صرحت به اي من الفرقان

منها قوله تعالى «قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله » فان تدبير الامر شامل لجميع اقسام التصرف في العالم العلوي والسفلي ولاشك ان منها ما اضاف هذا الجاهل للانسان من تسخير الرياح وتسيير السحاب والتحكم في المياه واستنبات الارض ما شاء ورزقهم من

السماء انزال المطر منها ومن الارض اخراج اقواتهم منها قال
المفسرون في معنى هذه الآية لما بين سبحانه فضائح عبدة الاوثان
اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق
والموت والحياة والابداء والاعادة والارشاد والهداية فقال عز
شانه خطابا لسيد المخاطبين « قل من يرزقكم من السماء
والارض » اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين حكيت احوالهم
وبين ما يودي اليه افعالهم التي هي افعى لهم احتجاجا على حقيقة
التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من ذا الذي يرزقكم
من السماء بانزال الامطار النافعة والارض باخراج اصناف
الاقوات النباتية والحيوانية بها منها فان الارزاق تحصل باذن
الله وخلقه باسباب سماوية ومواد ارضية والاغذية اما نباتية او
حيوانية والحيوان متوقف على الاغذية النباتية ومن لابتداء
الغاية وقيل لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من ذا الذي
يرزقكم من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار
ام منقطعة بمعنى بل والاضراب انتقالي لا ابطالي وفيه تنبيه على
كفاية هذا الاستفهام فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما
وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة ومن وقف على تشريحهما
وقف على ما يبهر العقول او من يحفظهما في المدد الطوال من
الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها عن ادنى شيء يصيبهما او

من يتصرف فيهما بما شاء من ابقاء وحفظ واذهاب وعن
علي « سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم »
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي
ينشيء الحيوان من النطفة والبيضة وينشئهما من الحيوان
وهذا اخراج للضد من ضده وهو من باهر قدرته ولما كانت
اقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي
الغيب والشهادة امورا لا نهاية لها عمم بعد ما خصص
الاشياء الاربعة المذكورة فقال عز قائلا ومن يدبر الامر اي
ومن يلي تدبير امر جميع العالم علويا كان او سفليا روحانيا او
جسمانيا فسيقولون بلا تلعثم ولا تاخير الله يفعل ما ذكر من
الافاعيل لا غيره اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه فقل عند
ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون اي اتعلمون ذلك فلا تخافون عقوبة
الله في افترائكم وجعلكم الاصنام آلهة

ومنها قوله تعالى « ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله » فانه صريح في
اعتراف مشركي قريش ونحوهم بان المنزل للماء من السماء والمخرج
للنبات من الارض هو الله لا غيره من انسان او صنم او غيرهما
قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره في الاية يقول تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سالت هؤلاء المشركين من

قومك من نزل من السماء ماء وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب فاحيا بذلك الماء الارض من بعد موتها اي جدبها وقحطها واحياؤها اخراجه الزرع والنبات والاشجار منها ليقولن الذي فعل ذلك الانزال الله اي يعترفون بانه الموجد للمكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترؤ المبطلون على جحوده وعلى ان اظهر حجتك عليهم بل اكثرهم لا يعقلون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وهو الصنم وقيل المعنى قل الحمد لله على ظهور تناقضهم بل اكثرهم لا يعقلون هذا التناقض او فساده

ومنها قوله تعالى « ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون » فقد اخبر الله تعالى عن المشركين وهو اصدق القائلين انهم معترفون بانه المستقل بخلق السماوات والارض وتسخير الشمس والقمر واحتج عليهم بذلك في فساد اشراكهم به غيره في العبادة وانكره عليهم بقوله فانى يوفكون اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالاهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير قال ابن كثير « وكثيرا ما يقرر تعالى مقام

الالاهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » وقال الجرجاني في شرح المواقف ان الوثنية لا يقولون بوجود الاهين واجبي الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالاهية وان اطلقوا عليها اسم الالهة بل اتخذوها على انها تماثيل الانبياء او الزهاد او الملائكة او الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلا بها الى ما هو الله حقيقة » وقال ابن تيمية في احدى رسائله « ولم يكن المشركون يسوون بين الهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يومنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك »

الفصل المتمم ثلاثين

ثم لا يخفى ان جل مطالب القرءان الدعاء الى توحيد الرحمان . وتفنيد راي من يجعل معه ثان . ويعكف على عبادة الاوثان . ويعتقد انها شفعاء عند الملك الديان . وقد احتج الله على ذلك عز شانه في غير ما اية من القرآن . بافعاله العجيبة

الشان من خلق الارض والسماوات وتصريف الرياح وتسخير السحاب وانزال المياه واحداث انواع النبات واخراج الثمرات وابداع اصناف الحيوانات لما ركز في العقول والفطر من تفرد القادر المختار بها

فمن الآيات التي نسب فيها الى نفسه سبحانه تسخير الرياح وتسيير السحاب وانبات النبات والتصرف في جميع العلويات والسفليات قوله عز من قائل « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » ولتضمن هذه الاية الشريفة الدلائل القاطعة والحجج اللامعة على وجود الصانع الحكيم ووحدانيته قال رسول صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية ويل لمن قراها ولم يتدبر فيها ذكره الخفاجي من تخريج ابن مردوية وابن ابي الدنيا عن عائشة ورواه البيضاوي بلفظ ويل لمن قرا هذه الآية ومج بها ومعنى مج بها رمى بها من فيه ولم يتفكر فيها لان من تفكر فيها فكانه حفظها ولم يلقها من فيه قال الالوسي في وجه الاستدلال بالآية الكريمة « ان من تامل في تلك الايات وجد كلا منها مشتملا على وجوه كثيرة

من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى عن سائرها ومجمل القول في ذلك ان كل واحد من هذه الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على النمط الكذائي فاذا لابد له من موجد لامتناع وجود الممكن بلا موجد قادر ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل حكيم عالم بحقائق الاشياء وما فيها من المفاسد والمصالح يوجده حسبما يستدعيه علمه بما فيه من المصلحة وتقتضيه مشيئته متعال عن مقابلة غيره اذ لوكان معه واجب يقدر على ما يقدر الحق تعالى عليه فان وافقت ارادة كل منهما ايجاده على وجه مخصوص اراده الاخر فالتاثير ان كان لكل منهما لزم اجتماع فاعلين على اثر واحد وهو يستلزم اجتماع العلتين التامتين وان كان الفعل لاحدهما لزم ترجيح الفاعل من غير مرجح لاستوائهما في ارادة ايجاده على الاستقلال وعجز الاخر لما ان الفاعل سد عليه ايقاع ما اراده وان اختلفت الارادتان بان اراد احدهما وجوده على نحو واراد الآخر وجوده على نحو اخر لزم التمانع والتطارد لعدم المرجح فيلزم عجزهما والعجز مناف للالوهية بديهة »

ومنها قوله تعالى اقامة للدليل ببعض احوال العالم السفلي على

الاهيته وكمال علمه وقدرته وصحة الحشر والبعث والقيامة «وهو
الذي يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا
سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك
نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذى خبث لايخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم
يشكرون» فقد اسند سبحانه ارسال الرياح اليه على وجه الحصر
بتعريف الطرفين اي وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدي
رحمته لاغيره وارسال الرياح قريب من معنى تسخيرها لان
التسخير جعل الشيء منقادا للاخر وسوقه الى الغرض المختص
به قهرا كما اسند اليه سبحانه ايضا سوق السحاب وهو تسييره في
الجو واخراج الثمرات بالماء وهو انبات الارض بانواع النبات
واصناف الاشجار فاسناد هذه الافعال للانسان الممتلك ناصية
الطبيعة تكذيب لله سبحانه

ومنها قوله عز وعلا اقامة للدليل على صحة البعث ببيان
كمال قدرته وحكمته في افعاله العجيبة من ارسال الرياح
وكيفية احداثه السحاب وانزال الماء منها واصابته به من شاء
واحياء الارض به « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا

من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله
كيف يحي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل
شيء قدير » ولا ينكر تفرده تعالى بهذه الافعال الا جاهل
مكذب بالقرءان . ونظير هذه الاية قوله تعالى تاكيدا لكونه
فاعلا مختارا قادرا قهارا مبدأ معيدا «والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك
النشور » قال الرازي في تفسير الاية هبوب الرياح دليل ظاهر
على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند
حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركته
المختلفة قد ينشيء السحاب وقد لا ينشيء فهذه الاختلافات
دليل على مسخر مدبر وموثر مقدر ثم انه سبحانه اسند ارسل
الى الغائب وساق واحيى الى المتكلم لانه في الاول عرف
سبحانه نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال
تعالى انا الذي عرفتني سقت السحاب واحييت الارض ففي الاول
كان تعريفا بالفصل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة
فان كمال نعمتي الرياح والسحب بالسوق والاحياء » وسوق
السحاب تسييره واحياء الارض انبات الشجر والكلا فيها
فاسنادهما لغير ذي العظمة والجلال لا يصدر الا من تائه في
اودية الضلال والخبال . جاحد لايات الملك المتعال كما قال

ابن القيم « تامل حكمة ربك في ان سخر للعالم الرياح فاذا تصاعد الى الجو احالته سحابا او ضبابا فاذهبت عن العالم شره واذاه فسل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وهل يقدر العالم كله لو اجتمعوا ان يحيلوا ذلك ويقلبوه سحابا او ضبابا او يذهبوه عن الناس ويكشفوه عنهم ولو شاء ربه تعالى لحبس عنه الرياح فاختنق على وجه الارض فاهلك ما عليها من الحيوان والناس »

ومنها قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » وقوله سبحانه «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر» وقوله عز وجل « فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب » فان قوله لسليمان في الايتين الاوليتين متعلق بسخرنا مقدرا دل عليه في الاولى وسخرنا مع داود الجبال وفي الثانية والنا له الحديد وقد قيل انه متعلق به على ان الانسة الريح هو تسخيرها بل يكفي دلالة على التقدير فيهما ذكره في الاية الثالثة ولا يخفى على ان الايات الثلاث منادية بان ما اعطي سليمان عليه السلام من جري الرياح بامره وملكه الذي لم يعطه غيره من بعده لم ينله الا بتسخير الله سبحانه وتمكينه لا بحوله وقوته ايزعم هذا السفيه ان هذا الانسان الذي يراه اليوم في زعمه

تحول لامتلاك ناصية الطبيعة لاتساع فهمه وقوة ذاكرته وكثرة تجاربه وتنوع معارفه ففعل على زعمه افعال القادر المختار الواحد القهار من تسخير الرياح وتسيير السحاب واستنبات الارض ما شاء والتحكم في المياه ونحو ذلك اغزر علما واقوى فهما واكثر تجربة ومعرفة من نبيء الله عليه السلام الذي قال الله في حقه ولقد ءاتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وقال سبحانه « وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا ءاتينا حكما وعلما » وقال تعالى «وقال الذي عنده علم من الكتاب انا ءاتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك » فان المراد بالموصول عند بعض المفسرين سليمان عليه السلام ورجحه الرازي بوجوه وقيل هو ءاصف بن برخيا وقيل جبريل وقيل وقيل على ان هذا الانسان الذى يصفه هذا المجازف على زعمه بغزارة العلم وبالقدرة على الافعال الالاهية ليس الا غضبي او ثلاثي او ثنوي او طبيعى دهرى فسحقا لاصحاب السعير .

ومنها قوله تبارك وتعالى « الم تر ان الله يزجي سحابا

ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » فان ازجاء الله السحاب سوقه الى حيث يريد وسوق بعضه الى بعض ليتصلا ويتراكما وهو مرادف لتسييره او نوع منه لان الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة وقيل سوق الثقيل برفق وقال ابو حيان « معنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل » وفي الحواشي الخفاجية نقلا عن الدرر والغرر الرضوية «هو السوق الضعيف الرفيق» وقال المفسرون في معنى الاية الشريفة لما ذكر سبحانه انقياد من في السماوات والارض والطير اليه تعالى وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم اليه اكد ذلك بذكر شيء عجيب من افعاله مشعر بانتقال من حال الى حال فقال عز شانه لنبيه صلى الله عليه وسلم الم تر يا محمد ان الله يسوق السحاب بقدرته الى حيث يريد او يسوق سحابة الى اخرى اول ما ينشؤها ثم يولف بينه اى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متكاثفا يركب بعضه بعضا فترى اى تبصر الودق يخرج من خلاله اى من فتوقه والجملة حال من الودق.

ومنها قوله عز وعلا بيانا للطفه بخلقه واحسانه اليهم « اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون » فان سوق الماء هو تسيير السحاب في الجو الى حيث اراد الله ان يمطر فيه واخراج الزرع به هو انبات الارض على وفق مشيئته وقد نسبهما تعالى الى نفسه واضافهما هذا الجاهل . الى الانسان الممتلك ناصية الطبيعة في زعمه العاطل . ومعنى الاية على ما ذكره المفسرون اعموا فلم يشاهدوا انا بقدرتنا نسوق الماء بسوق السحاب الحامل له الى الارض اليابسة التي جز رنباتها اي قطع بالكلية لعدم المطر او للرعي فنخرج به اي بسبب ذلك الماء من تلك الارض على يبسها وطول عهدها بالماء زرعا اي نباتا تاكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وانفسهم كالبقول والحبوب التي يقتاتها الانسان افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على وحدته وكمال قدرته تعالى وفضله عز وجل وانه الحقيق بالعبادة والقادر على الاحياء والاعادة

ومنها قوله تعالى احتجاجا على وحدانيته تعالى وردا على عبدة الاوثان « ءالله خير ام ما تشركون ام من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان

لكم ان تنبتوا شجرها أالاه مع الله بل هم قوم يعدلون » فان
قوله سبحانه فانبتنا به حدايق ذات بهجة صريح في اختصاص
الانبات به تعالى وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تنصيص على
انتفائه عن غيره تاكيدا للاختصاص اي فانبتنا بالماء بمقتضى الحكمة
لان الانبات موقوف عليه عقلا وقيل انبتنا عنده حدائق جمع
حديقة وهو البستان وبه فسرها ابن عباس رضي الله عنه ذات
بهجة رونق وحسن قالوا وفائدة الالتفات من الغيبة الى التكلم
بنون العظمة تاكيد اختصاص الفعل بذاته وهو الانبات والايذان
بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان
والطعوم والروائح والاشكال مع ماها من الحسن البارع والبهاء
الرائع بماء واحد امر عظيم لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده عز
وجل ورشح ذلك بقوله سبحانه ماكان لكم ان تنبتوا شجرها
اي ماصح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن خلق ثمرها
وسائر صفاتها البديعة وقال الرازي نكتة الالتفات في الاية دفع توهم
ان مزاولة الغرس وما يتوقف عليه انبات للمغروس اذ لا شبهة
لعاقل في ان خالق السماوات والارض ومنزل الماء من السماء
ليس الا الله تعالى واما انبات الشجر فربما عرضت الشبهة في ان
منبته هو الانسان بكربه الارض والقائه فيها البذر وتعهده بالسقي
فدفع هذا التوهم المحتمل بالالتفات من الغيبة الى التكلم وبقوله

ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وكيف يتوهم انه المنبت له مع انه
كثيرا ما يجتهد في مزاولة الاسباب ولا يحصل على وفق مراده
وماحصل منه على وفقه لا يكون عالما بمقداره ولا بكيفيته ولا بطبعه
واي فعل له حينئذ اه بالمعنى وفي البحر « ان نفي مثل هذه
الكينونة قد يكون للاستحالة كما هنا والمعنى ان انبات ذلك منكم
محال لانه ابراز شيء من العدم الى الوجود وهذا ليس بمقدور
الا الله تعالى والاستفهام في قوله أالاه مع الله للانكار اي أالاه
اخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر
عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة بل هم قوم
يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان
سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هؤلاء المشركون قوم ضلال
عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة
في كل امر من الامور فلذلك يعدلون عن الحق الواضح الذي
هو التوحيد ويعكفون على الباطل البين الذي هو الاشراك

ومنها قوله تعالى في تقريع منكري البعث بالحجج الدالة على
صحته « افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون »
فانه تعالى اثبت لهم الحرث الذى هو كراب الارض والقاء
البذر وسقي المبذور ونفى عنهم الزرع الذي هو اخراج النبات

وتنميته واثماره وتبليغه منتهاه وهو عين الانبات الذي اسنده
هذا الجاهل الى الانسان المتحول لامتلاك ناصية الطبيعة في
زعمه الفاسد قال ابن كثير يقول تعالى افرأيتم ما تحرثون
وهو شق الارض واثارتها والبذر فيها أأنتم تزرعونه اي تنبتونه في
الارض ام نحن الزارعون اي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الارض
قال ابن جرير « وقد حدثني احمد بن الوليد القرشي حدثنا
مسلم بن ابي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام
عن محمد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت قال ابو هريرة الم تسمع الى
قوله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به
وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا
حماد عن عطاء عن ابي عبد الرحمان لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا
حرثنا » قال الرازي « وقوله لو نشاء لجعلناه حطاما الاية تدريج
في الاثبات وبيانه هو انه لما قال ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
لم يبعد من معاند ان يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا
لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فقال تعالى ولو سلم لكم هذا الباطل فما
تقولون في سلامته عن الافات التي تصيبه فيفسد قبل اشتداد
الحب وقبل انعقاده او قبل اشتداد الحب وقبل ظهور الحب فيه فهل

تحفظونه منها او تدفعونها عنه او هذا الزرع بنفسه يدفع عن
نفسه تلك الافات كما تقولون انه بنفسه ينبت ولا يشك
احد ان دفع الافات باذن الله تعالى وحفظه عنها بفضل الله الخ »
وان اعتذر عنه متعصب له بان مراده بالانبات الحرث
الذي هو القاء البذر ونحوه مما يزاوله الانسان من الاسباب على
سبيل التجوز كما تجوز بالزرع عن الحرث في قوله تعالى يعجب
الزراع فهو اعتذار كاسد . لا يخلصه من تعجرفه الفاسد . لان
القاء البذر وتعهده بالسقي ونحوهما لا يترتب على امتلاك ناصية
الطبيعة الذي يزعم ولا يختص بالانسان الذي وصفه بصفات
من الكمال حتى بامتلاك ناصية الطبيعة بل يوجد ويتهيا
لكل ذي تمييز حتى الصبيان

❀ وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ❀

ومنها قوله تعالى « وسخر لكم ما في السماوات وما في
الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون » فان ما
في السماوات وما في الارض يشمل الشمس والقمر والنجوم
والرياح والسحاب والنبات والمياه وغيرها مما جعل الله لنا فيه
منفعة وجميعا حال من ما في السموات وما في الارض لو توكيد
ومنه حال من ذلك ايضا والمعنى هذه الاشياء جميعا كائنة منه

وحاصلة من عنده بمعني انه سبحانه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه

ومنها قوله تعالى « الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » وقد فسر الخلق بالمعنى المصدري وبمعنى اسم المفعول فعلى الاول هو الايجاد المطلق فيعم ايجاد جميع الاشياء باسرها من الذوات والصفات والاعراض المتعاقبة عليها وعلى الثاني يشمل جميع المخلوقات من الاجسام والاعراض والامر هو التصرف في الكائنات وتقديم الظرف يفيد الاختصاص والمعنى ان له سبحانه خاصة لا لغيره ايجاد جميع الاشياء او المخلوقات كلها والتصرف فيها على حسب ارادته فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق ولا شك ان من جملتها تسخير الرياح وتسيير السحاب وانبات النبات فاسنادها للانسان من رد الامور لغير الله قال الرازي في الاية « احتج اصحابنا بهذه الاية على ان لا موجد ولا موثر الا الله سبحانه والدليل عليه ان كل من اوجد شيئا واثر في حدوث شيء فقد قدر على تخصيص ذلك الفعل بذلك الوقت فكان خالقا ثم الاية دلت على انه لا خالق الا الله لانه قال الا له الخلق والامر وهذا يفيد الحصر بمعنى انه لا خالق الا الله وذلك يدل على ان كل امر يصدر عن فلك او ملك او جني او انسي فخالق ذلك الامر في الحقيقة

هو الله سبحانه لا غير واذا ثبت هذا الاصل تفرعت عليه مسائل احداها انه لا إله إلا الله اذ لو حصل الاهان لكان الاله الثاني خالقا ومدبرا وذلك يناقض مدلول هذه الآية في تخصيص الخلق بهذا الواحد وثانيها انه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم والا لحصل خالق سوى الله وذلك ضد مدلول هذه الاية وثالثها ان القول باثبات الطبائع واثبات العقول والنفوس على ما يقوله الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل والا لحصل خالق غير الله ورابعها خالق اعمال العباد هو الله والا لحصل خالق غير الله » ومن الفت نظره الى القرءان العزيز رءا ان جل سوره لا يخلو من ذكره تعالى فيه تفرده بافعاله العجيبة وءاثار قدرته البديعة من خلق الاجرام العلوية والسفلية وانزال المياه وتصريف الرياح وابداع اصناف الحيوانات واحداث انواع النبات واخراج ضروب الثمرات مع استواء الكل في الطبائع وتاثيرات الافلاك اما احتجاجا على وجوده ووحدانيته وكمال قدرته وبالغ حكمته او استدلالا على صحة البعث والمعاد والثواب والعقاب واما تذكيرا لعباده بامتنانه عليهم بما فيها من جزيل انعامه وجميل احسانه .

الفصل الحادي والثلاثون

فكل من اسند فعلا من افعاله تعالى كتسخير الرياح وتسيير السحاب وانزال المطر وانبات النبات ورزق الخلق وايجادهم وافنائهم وغير ذلك من شؤنه سبحانه الى غيره او اشركه معه فيه فهو مشرك اما من خصه بغيره تعالى فباقامة غير الله مقامه في فعله وقد تقدم عن القواعد ان من انواع الشرك ان يقيم غير الله مقامه في الخلق والانشاء والاختراع كالمنانية والديصانية الذين يزعمون ان الاشياء تكونت من اصلين قديمين وهما النور والظلمة وكالمجوس الزاعمة ان الاشياء القبيحة مخلوقة للشيطان وما اشبه ذلك من مذاهب الملحدة واما الثاني فلجعله مع الله شريكا في فعله وهو نفي لوجه من وجوه الوحدانية الثابتة له تعالى وهو توحيد الافعال وقد قال سبحانه « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون » وقال عز قائلا « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون » وقال جل ثناؤه « ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » وقال ابو عمرو رحمه الله في السوالات عند تفسير اسماء الله « معنى الواحد انه واحد

في ذاته واحد في صفاته واحد في عبادته واحد في فعله » وقال الشيخ ابو سهل يحي ابن ابراهيم الورجلاني رحمه الله في عقيدته « عن الشيخ ابي زكرياء يحي ابن ابي بكر رحمه الله ان الواحد في صفة الله تعالى على اربعة اقسام واحد ليس بمتجز ولا ذي ابعاض نفي لمشابهة الاجسام والثاني واحد لا ثاني له نفي للاعداد والاعراض والثالث واحد على معنى المدحة في صفته وعلمه وقدرته والرابع واحد في افعاله من الخلق والانزال والارسال » وقال في الوضع « والواحد على الحقيقة هو الله سبحانه وهو الواحد في ذاته والواحد في صفته والواحد في فعله اى لا ذات كذاته ولا احد يفعل كفعله » قال الرازي « وقال اصحابنا انه سبحانه وتعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفته لاشبيه له وواحد في افعاله لاشريك له » وقال السنوسي في شرح ام البراهين « ان الوحدانية في حقه تعالى تشتمل على ثلاثة اوجه احدها نفي الكثرة في ذاته تعالى ويسمى الكم المتصل والثاني نفي النظير له جل وعز في ذاته وفي صفة من صفاته ويسمى الكم المنفصل الثالث انفراده تعالى بالايجاد والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة فلا مؤثر سواه تعالى في اثر ما عموما قال جل من قائل انا كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وقال جل وعز

له ملك السماوات والارض وقال تبارك وتعالى والله خلقكم وما تعملون اه . »

الفصل الثاني والثلاثون

لا خلاف بين الامة حتى المعتزلة في تفرده بافعاله تعالى وانما الخلاف بين المعتزلة وغيرهم في افعال العباد الاختيارية فذهبوا الى انها خلق لهم وذهب اصحابنا ومن وافقهم الى انها خلق من الله وكسب من العبد فنسبة نحو تسخير الرياح الى الانسان مما لم يقل به احد من امة الاجابة فضلا عن اهل الاستقامة قال قطب المذهب ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم رحمه الله في الدليل والبرهان عند بيان المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد « وحاصله ان يكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خالق ورزق واعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر وغير ذلك مما يطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه فاذا انكشف هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك ورجاءك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر لا استقلال له بتحريك ذرة في ملكوت السماوات والارض فاذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لهذا اتضاح اتم من المشاهدة بالبصر وانما يغرك الشيطان

عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي بهما ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيارات الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في التوحيد وجهل في حقائق الامور ولذلك قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم قالوا لولا استواء الريح ما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك فالتفات العبد الى النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ ليحز رقبته فيكتب الملك توقيعا عنه بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بحبره والكاغد والقلم الذي يكتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فالنجاة من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو محرك في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخير القلم في يد الكاتب بل هو يتمثل في حقك ان الملك هو كاتب التوقيع

والحق ان الله هو الكاتب كما قال الله عز وجل « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واذا انكشف لك ان جميع ما في السماوات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس من مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك في المهلكة الثانية وهو الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله عز وجل وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء منعك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب وهو المسخر وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة القلم لضيق حدقتها وكذلك من لم يشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته

عن ملاحظة جبار السماوات والارض مشاهدة كونه قهارا وراء الكل ووقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض وقال ابن خلدون « وتامل حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يهيم فيه الفكر ولا يحلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها لتحرزنا منها فلنتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تاثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة لاقتران الشاهد بالاسناد الى الظاهر وحقيقة التاثير وكيفيته مجهولة وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلذلك امرنا بقطع النظر عنها والغائها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاعلها وموجدها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن

اسبابها وتاثيراتها واحدا بعد واحد فانا الضامن له ان لا يعود
الا بالخيبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا
بالتوحيد المطلق « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوًا احد » ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من انه مقتدر
على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود
كله وسفه رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك
في بادء رايه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه
بخلاف ذلك والحق من ورائه فاذا علمت هذا فلعل هناك ضربا
من الادراك غير مدركاتنا لان ادراكاتنا مخلوقة محدثة فاتهم
ادراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما امرك الشارع به من
اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما ينفعك واذا
تبين ذلك فلعل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا
ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة فيضل العقل في بيداء
الاوهام ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب
وكيفيات تاثيرها وتفويض ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل
غيره وكلها ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من
حيث صدورها عنه » وقال صاحب روح البيان « قال بعض
المشائخ لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا
شرك في توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور » وفي النيل

وشرحه « ولا يحل نسبة قضاء حاجة لغير الله تعالى بان ينسب
قضاءها الى غير الله تعالى تحقيقا مع قطع النظر عن كون الله
هو القاضي لها والخالق لها ولكسب الساعي فيها فهذا لا يجوز
فاما ان ينسب ذلك غافلا فليستغفر واما ان يعتقد ان مخلوقا
استقل بقضائها عن الله فقد اشرك ولزم العلم باضافته اي باضافة القضاء
اليه اي الى الله سبحانه وتعالى على يد مخلوق فيما كان على يد
مخلوق فيقول قضاها فلان ويعتقد ان الله خلقها واجراها على يده
ولا يقول ذلك مهملا ومعتقدا ان فلانا قضاها مستقلا عن الله
عز وجل فالاولى ان يقول قضاها الله سبحانه وتعالى على يد فلان
وان لم تكن على يد مخلوق لم يقل على يد احد وكذا منعها »
فاضافة فعل الخالق من نحو تسخير الرياح الى المخلوق ان لم
يكن اعظم من اضافة قضاء الحاجة التي لا تجري على يد مخلوق
اليه فلا اقل من ان يساويه

ثم يقال لهذا الذى يسند تسخير الرياح وتسيير السحاب وانبات
النبات الى الانسان الممتلك لناصية الطبيعة اخبرنا عن حالها حين
كان ذلك الانسان ساذجا من المعارف والعلم مماثلا للحيوانات
التي لا نطق لها ولا فهم غير ممتلك لناصية الطبيعة اهي مملوكة
للطبيعة متصرفة فيها الى ان تحول هذا الانسان الى امتلاك ناصيتها
فملك وتصرف فيها ام هو الله الى ان اتسع فهم هذا وقويت ذاكراته فتحول

لامتلاك ناصية الطبيعة فاستقل بالتصرف في تلك الرياح والسحاب
والنبات دون الله ؟ اواشترك معه؟ كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا فسبحان الله وتعالى عما يقول
المبطلون علوا كبيرا ام يزعم هذا الضال ان الرياح التي سخرها
الانسان في زعمه والسحاب الذي يسيره والنبات الذي ينبته
غير الرياح والسحاب والنبات التي يسخرها الله ويسوقها وينبتها ؟
تعالى الله وتقدس عن الشريك والند ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من الاه اذا لذهب كل الاه بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة
فتعالى عما يشركون

الفصل الثالث والثلاثون

ومن الاخبار النبوية الناطقة بشرك من اسند الحوادث
الى غير خالق البرية الحديث الصحيح الذى رواه الربيع رحمه
الله وغيره « قال حدثني ابو عبيدة عن جابر ابن زيد قال بلغني
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى صلاة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف من صلاته اقبل على
الناس قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
قال اصبح من عبادي مومن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله

ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا
بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومومن بالكوكب » ولفظ مسلم
« حدثنا يحي بن يحي قال قرات على مالك عن صالح بن كيسان
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن زيد بن خالد الجهني قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فاما انصرف اقبل على الناس فقال
هل تدرون ما ذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال
اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا
بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب » وقال البخاري
في صحيحه حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال
حدثني صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد
ابن خالد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فاصابنا مطر ذات ليلة فصلى لنا رسول الله عليه وسلم الصبح
ثم اقبل علينا بوجهه فقال اتدرون ما ذا قال ربكم قلنا الله
ورسوله اعلم فقال قال الله اصبح من عبادى مومن بي وكافر بي
فاما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مومن
بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنجم كذا فهو مومن
بالكوكب كافر بي » ورواه في الصلاة عن القعنبي وفي الاستسقاء

عن اسماعيل بن ابي اويس كلاهما عن مالك عن صالح به
ورواه في التوحيد مختصرا عن مسدد عن سفيان عن صالح به
وهذا الحديث حجة واضحة على كفر من اسند الاشياء الي غير الله
سبحانه لتصريحه بكفر من اضاف المطر الي النوء بفتح النون
وسكون الواو بعدها همزة وهو سقوط نجم من الثمانية والعشرين
المسماة بالمنازل وقيل طلوعه والمراد من الكفر في الحديث الشرك
قال ابن حجر « وعليه حمله كثير من اهل العلم بقرينة مقابلته
بالايمان وللتصريح بلفظ الشرك في حديث اخر سياتي ان
شاء الله قال واعلى ما وقفت عليه من ذلك كلام الشافعي
قال في الام من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض اهل
الشرك يعنون من اضافة المطر الي انه مطر نوء كذا فذلك
كفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النوء وقت
والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ومن قال مطرنا
بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذ افلا يكون كفرا وغيره
من الكلام احب الي منه يعني حسما للمادة وعلى ذلك يحمل
اطلاق الحديث الي ان قال نقلا عن ابن قتيبة وكانوا في الجاهلية
يظنون ان نزول الغيث بواسطة النوء اما بصنعه على زعمهم واما
بعلامته فابطل الشرع قولهم وجعله كفرا فان اعتقد قائل ذلك
ان للنوء صنعا في ذلك فكفره كفر شرك وان اعتقد ان ذلك

من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز اطلاق الكفر عليه
وارادة كفر النعمة لانه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين
الكفر والشرك واسطة فيحمل الكفر فيه على المعنيين لتناول
الامرين الخ » قال البدر المحشي رحمه الله بعد نقله عنه ما
نقلناه « وهو كلام مناسب لما عليه الاصحاب رحمهم الله »
وقال النووي « اختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا
على قولين احدهما هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لاصل
الايمان مخرج من ملة الاسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقدا
ان الكوكب فاعل مدبر منشيء المطر كما كان بعض اهل الجاهلية
يزعم ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي
ذهب اليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث
قالوا وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقدا انه من الله تعالى
وبرحمته وان النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكانه قال
مطرنا في وقت كذا فهذا لا يكفر واختلفوا في كراهته والاظهر
كراهته لا كنها كراهة تنزيه لا اثم فيها وسبب الكراهة انها
كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولانها شعار
الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في اصل تاويل
الحديث ان المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث
الى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا

التاويل الرواية الاخيرة في الباب اصبح من الناس شاكر وكافر
وفي الرواية الاخرى ما انعمت على عبدي من نعمة الا اصبح
فريق منهم بها كافرين وفي الرواية الاخرى ما انزل الله تعالى من
السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها
يدل على انه كفر بالنعمة » وفي عمدة القاري « قال القرطبي معناه
الكفر الحقيقي لانه قابله بالايمان حقيقة وذاك في حق من اعتقد
ان المطر من فعل الكواكب ويحتمل ان يكون المراد به كفر
النعمة اذا اعتقد ان الله تعالى هو الذي خلق المطر واخترعه ثم
تكلم بهذا القول فهو مخطء لا كافر وخطأه من وجهين الاول
مخالفة الشرع والثاني تشبهه باهل الكفر في قولهم وذلك لا
يجوز لانا امرنا بمخالفتهم فقال خالفوا المشركين وخالفوا اليهود
ونهينا عن التشبه بهم وذلك يقتضي الامر بمخالفتهم في الافعال
والاقوال » وقال ابن خلدون « ان تاثير الكواكب فيما تحتها
باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق
استدلالي كما رايته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن
البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل
متهم على ما يقضى به فيما يظهر بادء الراي من التاثير فلعل
استنادها على غير صورة التاثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة

بينها كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع يرد
الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك »

ومنها حديث ابي سعيد الخدري عند احمد « حدثنا سفيان
سمع عمر بن عتاب بن حنين يحدثه عن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو امسك الله القطر عن الناس سبع
سنين ثم ارسله الا اصبحت طائفة به كافرين يقولون مطرنا بنوء
المجدح قلت المجدح بكسر الميم وضمها وسكون الجيم وفتح
الدال وبعدها حاء مهملة نجم تدعي العرب انها تمطر به وقيل
هو الدبر ان بفتح الدال والباء »

ومنها حديث معاوية الليثي عند احمد ايضا « قال حدثنا
سليمان بن داود الطيالسي حدثنا عمران يعني القطان عن قتادة
عن نصر بن عاصم الليثي عن معاوية الليثي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكون الناس مجدبين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم
رزقا من رزقه فيصبحون مشركين فقيل له وكيف ذاك يارسول
الله قال يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » وهذا هو الحديث الذي وعدنا
الاتيان به ثم انه لا يرتاب عاقل في ان لا فرق بين اسناد المطر الى
الانواء واسناد تسيير السحاب وانبات النبات وتسخير الرياح
الى الانسان في ان كلا منهما اسناد لفعله تعالى الى غيره كما لا يشك

ان الكل شرك لاستوائهما في العلة التي هي اسناد فعل الخالق الى المخلوق

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما « قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول ما شاء الله وشئت قال لا بل ما شاء الله وحده » ذكره صاحب الضياء رحمه الله فهذا الرد منه صلى الله عليه وسلم على القائل مشعر بان هذا القول منه شرك فانظر ايها المنصف وتامل وعادل بين هذا القول والقول بتسخير الانسان الرياح وتسييره السحاب وانباته من الارض ما شاء يظهر لك اي الكلامين اشنع وقال ابن القيم في الجواب الكافي « ومن الشرك بالله في اللفظ قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده وهذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف من يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وانت لي في الارض ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشيئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعله ندا لله فهذا قد جعل

من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء بل لعله ان يكون من اعدائه ندا لرب العالمين » وفي الضياء ايضا « ولا يجوز لاحد ان يقول لولا الله ولولا فلان اوانا بالله وبفلان ولولا الله وفلان »

الفصل الرابع والثلاثون

واما ادعاءه التحكم في المياه والتقلب في البحار فان اراد بهما مجرد ما يسر الله له من استنباطه واستخراجه بالالات التي الهمه الله الى اتخاذه والسير فيه بالمراكب التي لا تتوقف على الرياح لاعتمادها على الالات والنار فليس هذا خاصا بهذا الانسان ولعل ما نال من قبله من ذلك اعظم مما اوتي فقد قال تعالى « اتبنون بكل ريع ءاية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه » لان ان نافية عند جل المفسرين اي ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه فمن عاين ءاثار بناء الاقدمين في قنواتهم واساطينهم واسوارهم وايوانهم واهرامهم وغير ذلك تحقق لديه ما هم عليه من القوة التي لم ينلها من بعدهم وان اراد بهما تحكما وتقلبا صادرين عن حوله وقوته متر تبتين على امتلاكه ناصية الطبيعة بحيث يتصرف في المياه والبحار بحسب ارادته ومشيئته

فهو من قبيل اضافة فعل الخالق المخلوق ايضا ولا يصدر هذا
الا ممن لم يصدق بقوله تعالى « وانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين » وقوله جل شانه « وانزلنا من
السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون »
وقوله سبحانه « قل ارايتم ان اصبح ماءكم غورا فمن ياتيكم
بماء معين » وقوله عز وعلا « هو الذى يسيركم في البر والبحر
وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بامره الم تر ان الله سخر
لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره الم تر ان
الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته الله
الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون » قال الرازي في تفسير
الاية » وجه الاستدلال بالاية على توحيده تعالى ان
جري الفلك على وجه البحر لا يحصل الا بتسخير ثلاثة اشياء
احدها الرياح التي تجري على وفق المراد وثانيها خلق وجه الماء
على الملاسة التي تجري عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه
تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه وهذه الاحوال الثلاثة
لا يقدر عليها واحد من البشر فلابد من موجد قادر عليها وهو
الله سبحانه وتعالى » وقال في البحر « ان في تسخير هذا المخلوق
العظيم والسفن الجارية فيه بهذا المخلوق الحقير اية اعتبار »

ومعنى بامره بقدرته اناب الامر مناب القدرة كانه يامر السفن
ان تجري وقيل بتسخيره وتسييره واي تحكم في المياه عند من
لا قدرة له على انزال الماء ولا على خزنه ولا على الاتيان به بعد
غوره ولا على امساكه عند ذهاب الله به وما لمن لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا ولا له حول ولا قوة من التقلب في البحار امع هذه
الحجج البالغة والادلة الدامغة يرتاب مسلم في خطا من يسند
الى الانسان افعال الرحمان من نحو تسخير الرياح وتسيير السحاب
بل وفي كفره فضلا عن ان يلتمس له وجها لعذره ؟ فان اعتذر
له متعصب من شيعته بان تلك المقالة صدرت منه عن جهل
بمعناها وغفلة عن فحواها لا عن روية وقصد وتثبت وعمد
فعذر بارد ليس بنافع ودواء عاطل غير ناجع لقوله تعالى في
المنافقين « ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم » قال الرازي في تفسير الاية « بين تعالى ان ذلك
الاستهزاء كان كفرا والعقل يقتضي ان الاقدام على الكفر لاجل
اللعب غير جائز فثبت ان قولهم انما كنا نخوض ونلعب ما كان
عذرا حقيقيا في الاقدام على ذلك الاستهزاء فلما لم يكن ذلك عذرا
في نفسه نهاهم الله عن ان يعتذروا به لان المنع عن الكلام الباطل
واجب فقال لا تعتذروا اي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم

منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شيء فقل اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف لعنه الله فيا ليت شيعة هذا الرجل عتبوا عليه في مقالته التي اشتملت على تنقيص صفي الله آدم عليه السلام واولاده وعلى اضافة افعال الخالق الى المخلوق كما فعلت شيعة مالك بن الصيف معه ولعظم غائلة الكبر والحمية والغضب عدها اصحابنا رحمهم الله من قواعد الكفر واركانه

الفصل الخامس و الثلاثون

ونحن معشر الموحدين عموما والاباضيين خصوصا نشهد الله ونشهد جميع خلقه اننا برءاء من هذه المقالة الشوهاء ومن قائلها المستحب للعمى على الهدى ومن الراضي بها والمصوب لها ومبرزها في صحيفته موثرا افعام جيبه على نصرة دينه. والانتصار لمذهبه. فتعسا لعبد الدينار والدرهم. وسحقا لمن يستنزله عن دينه شهوة مريقة او لقم وشقحا لمن يرضى بدنس عرضه في تحصيل العرض. ويبيع جوهر مروءته باخس عوض واننا معتقدون ان الله سبحانه هو الخالق لجميع الاشياء والمسخر

ودلت الاية على بطلان قول من يقول الكفر لا يدخل الا في افعال القلوب ولقوله صلى الله عليه وسلم لا جهل ولا تجاهل في الاسلام » وقال ابو بكر الخوارزمي في مفيد العلوم بعد ان ذكر بعض الكلمات الموجبة للكفر « ومثل هذه الكلمات اذا تلفظ بها احد قصد بها الكفر او لم يقصد يكون كفرا » على انه كيف ينسب من ابرز نفسه على زعمه لارشاد الخلق وعدها في زمرة الخطباء المنتدبين لايضاح الحق الى انه جاهل بمعنى مقاله. غير عالم بفحوى كلامه. معربد في مخاطبته. هاذ في منطقه. كلا ان هذا الا تناقض بين وانا لا ارى الا انها فلتت منه عن غضب واستكبار وانفة وشدة انتصار لنفسه عند ما بلغه قولي في رسالة كشف اللثام فقد قيل لي مشافهة على وجه الازدراء لما تزالوا مشتغلين بالوضع والقواعد اذ حكي لي انه لما بلغه راى انه المراد بالقائل فاستشاط غضبا وامتلا غيظا وحنقا فوثب هذه الوثبة العمياء التي تردى بها في هوة الردى. واشترى الضلالة بالهدى. ولقد اذكرتني حاله قصة مالك بن الصيف حين جاء الى النبيء صلى الله عليه وسلم مخاصما له وكان حبرا سمينا فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فلما سمعت اليهود

لما في الارض والسماء . لا شريك له ولا وزير . ولا شبيه له ولا ظهير . واحد في الذات والصفات والافعال والالوهية لا مؤثر على الحقيقة الا هو ليس بوالد ولا مولود ولا بعلة ولا معلول وان صفوته من خلقه هم الانبياء معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والفحشاء . واولهم آدم الصفي المجتبي ابو البشر بلا مراء . علمه تعالى كل الاسماء . واسجد له ملائكته تكريما واصطفاء . فيا حبذا الاصطفاء . وارسله الى ذريته بالامر بعبادته جل وعلا والنهي عن الشرك والخنا وقال له عز قائلا « اهبطا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » واخرهم افضلهم على الاطلاق محمد بن عبد الله المبعوث الى جميع العالمين بتوحيد الملك الخلاق وبطاعته في جميع ما شرع لهم من العبادات ومكارم الاخلاق صلى الله عليه وعليهم وسلم وشرف وكرم ما تعاقب العشي والاشراق

تنبيه استعماله استنبت في انبت مما لم نره لغيره ولم نعثر عليه في كتب اللغة التي بايدينا فلعل هذا من فصاحته التي تزري بفصاحة حسان كما ان تعديته سلب بعلى من بلاغته التي بذت بلاغة سحبان على ان ذكرنا لهذا اللحن منه ليس الا مجاراة معه في تعديه لطوره وجهله بقدره . والا فهذا اللحن منه هين اذ لا يترتب عليه كفر ولا عصيان

الفصل السادس والثلاثون

واما قوله (هل تم ذلك بمجرد الاتكال والصدفة العميا ام بالكد والعمل واجهاد العقول وتمرين النفوس والايدي على مختلف الفنون والاعمال) فكلام صادر عن مخيلة عمياء وفكرة عشواء فان دعواه ثبوت امتلاك الانسان ناصية الطبيعة وتسخير الرياح وتسيير السحاب وانبات الغبراء بما شاء افتراء وخبال واعتقاد ذلك والتصديق به كفر وضلال كما تقدم الاحتجاج عليه بالايات القرءانية والاخبار النبوية والبراهين العقلية واما ما بهر لامن استنباط المعاصرين بالهام الله للالات العجيبة والاسلحة الغريبة والتبحر في المعارف الدنيوية فمع انه مما لم يختصوا به اذ قد الهم الله من قبلهم الى مثل ما الهمهم الله اليه او اكثر منه فهو امر دنيوي لا يرغب فيه عاقل ولا يلهج به فاضل ولا يفني فيه عمره الذي هو راس ماله الا جاهل اذ ليس تحته نفع طائل فانه مضمحل زائل واما المصدق بالآجلة وبقائها . العالم بان الوسيلة الى الفوز بثوابها ، والنجاة من عذابها هي معرفة المولى وطاعته عز وعلا فلا يكون عبدا للدنيا ولا يضيع وقته الذي هو اعز الاشياء الا فيما ينال به الفوز في العقبى . من تعلم العلوم الشرعية والمحافظة على التقوى . فقد قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وسلم « لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى » وقال الفضيل « لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى فتحريض الناس على الاشتغال بمعارفها والتهالك على اقتناصها . والتزهيد في طلب الاخرة وتعلم علومها . غش للمسلمين كافة او ما تراه لم يذكر في مقالته هذه الا التنويه بالمعارف الدنيوية وعلومها الصناعية . ثم لم يقنع بذلك حتى لوح الى تهجين العلوم الدينية فسحقا له وبعدا ثم انه لا يخفى ما في كلامه من الركاكة . حيث استعمل التمام مكان الحصول والوقوع بلا نكتة واقتصاره على الاتكال دون المتكل عليه فهل هو الله سبحانه ؟ ام غيره ؟ والتعبير بالصدفة المشعرة بالمرة الواحدة من الاعراض

الفصل السابع والثلاثون

ومن شططه في المقال وتيهه في اودية الخبال قوله (لا يستطيع احد ان ينكر ان لنا معاشر المسلمين بقية مما كان لاسلافنا من مدنية وعلم ولكن اي شان لهما امام مدنية وعلم متغلبين وشتان ما بين المدنيتين والفرق بينهما واضح وضوح

الفرق بين الغالب والمغلوب فان مدنيتنا وعلمنا ليسا هما في الحقيقة الا قسمين صغيرين من تاريخ مدنية وعلوم المعاصرين الخ) فانه ازدراء بالمسلمين وتنقيص لمدنية سلفهم وعلمهم لان الضمير في قوله ولكن اي شان لهما راجع الى مدنية اسلافهم وعلمهم لا للبقية لكون الضمير مثنى لا مفردا مونثا وهذا تنقيص شنيع . وازدراء فضيع . اذ لم يكن عنده لمدنيتهم وعلمهم شان امام مدنية وعلم غيرهم من ذوي الالحاد والكفر فاي تنقيص اعظم من هذا التنقيص وازدراء اشد من هذا الازدراء ؟ الا لا يصدر مثل هذا الا ممن عدم الغيرة الاسلامية . ومال الى تعظيم الامم الشيطانية . وهل سلف المسلمين الا النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والعلماء المهتدون . وقوله (ان مدنيتنا وعلمنا ليسا هما في الحقيقة الا قسمين صغيرين من تاريخ مدنية وعلوم المعاصرين) تصريح ايضا بحط مدنية المسلمين وعلمهم . ورفعة سياسة الملحدين وفهمهم . وكيف يعد نفسه في معاشر المسلمين من يصرح في حقهم بمثل هذا التنقيص والقدح . وفي حق غيرهم بتلك الرفعة والتفضيل والمدح . ومن ذا الذي يساوي الملحدين باسلاف المسلمين فضلا عن ان يفضلهم عليهم ويراهم فوقهم سوى من اختل عقله واستحكم جهله واغتر بدعاوى المبطلين وانخدع بنفاقهم وحيلهم ؟ واي مدنية وعلم عند من عدم السياسة الشرعية

والقوانين الاسلامية والاحكام العدلية ؟ كلا لا سياسة ولا علم ولا مدنية ولا صلاح ولا شهامة ولا مروءة عند من جهل رب العالمين . وما جاء به سيد المرسلين . صلوات الله عليهم اجمعين قال في التحفة الحليمية « يدعي الاروبيون ان روح التمدن الحقيقي وجميع مكارم الاخلاق حلت فيهم دون غيرهم حتى صاروا كانهم المنزهون عن كل عيب فيغتر بذلك البسطاء ويستسلمون لهم » .

الفصل الثامن والثلاثون

واما قوله (فان المدنية التي شمخت بها انوف اسلافنا الى السماء ليست في الحقيقة الا بدايات صغرى لنهايات علوم وفنون هذا العصر) فطعن فادح في السلف بتنقيص علومهم في السياسة والمدنية التي هي عبارة عند الفلاسفة عن الاجتماع والعمران وبوصفه لهم بشموخ الانف المكنى به عن الكبر والعجب المذمومين قال الجوهري والفيروز ابادي « شمخ الرجل بانفه تكبر » فقال ابن منظور « الشامخ الرافع انفه عزا وتكبرا وقد شمخ انفه وبانفه يشمخ شموخا تكبر وتعظم » وليت شعري من مراده بسلفه الذي وصفهم بالجهل والكبر ؟ اهو النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم الذين

هم اساس المسلمين قاطبة وائمتهم ومقتداهم ؟ ام المقتفون لهم من ائمتنا العمانيين والرستميين ؟ ام القائمون بعدهم بتاسيس قوانين الجماعة وسير الطلبة كابي عبد الله محمد بن بكر وابي عمار وابي الربيع وغيرهم رحمهم الله ؟ ام عام لجميع سلاطين اهل الاسلام وعلمائهم فسحقا لمن ينبز السلف . ويفضل عليهم اهل الشرك والسخف ان هذا لهو الضلال المبين . وما ابتلاه الله وشيعته بما ابتلاهم به من الخذلان والمروق من الدين . الا بازدرائهم بالماضين من المسلمين . ومن ذا الذي لا يعتقد ان ما اعطاه الله نبيئه من وفور العلم وسياسة الخلق والتالف بينهم وتيسيره سبحانه اياهم مع شدة شكيمتهم وعظم تنافرهم وتعاديهم امر بالغ الى الدرجة القصوى لم يتيسر لغيره ولن يتيسر له ولا يجحد ذلك الا جاهل او متجاهل ؟ واي مومن يزعم ان فوق سياسة الاسلام وعدله سياسة ؟ او يرى سبيلا اهدى من سبيل القرءان ؟ او هديا اقوم من هدي سيد الانام صلى الله عليه وسلم عدد الليالي والايام ؟ او مدنية افضل من مدنية صالحي ايمة الاسلام ؟ كلا لا يزعم ذلك ولا يراه الا جاهل بشرف الشرع وقدر اهله قال الانطاكي في تذكرته « ولا تعتقد ان علم الاخلاق هو المنفرد بحفظ النظام دائما بل الى ورود شرعنا فقد كفى عنه وتضمنته مطاويه » ولقد صدق المنفلوطي المصري في قوله « لا حاجة لنا بتاريخ

حياة فلاسفة اليونان وحكماء الرومان وعلماء الافرنج فلدينا في تاريخنا حياة شريفة مملوءة بالجد والعمل والصبر والثبات والحب والرحمة والحكمة والسياسة والشرف الحقيقي والانسانية الكاملة وهي حياة نبينا صلى الله عليه وسلم وحسبنا بها وكفى » ومن تصفح كتب تواريخ المسلمين وسيرهم اطلع على ما كانوا عليه من وفور العلم وتمام السياسة وتحقق لديه ان غض هذا الرجل من حقهم وتنقيصه لعلومهم ومدنيتهم وتبجحه بمعارف معاصريه من المشركين ونحوهم محض سفه وجهالة . لا يصدر الا من ذي عمه عديم الغيرة . فان ذا الغيرة الاسلامية تابى نفسه سماع ما هو حط من قدر المسلمين وتنقصيهم . وتشمئز منه فضلا عن ان ترتكبه . وقد اعترف ابن خلدون وغيره من مورخي المسلمين وغيرهم بانه قد كان للاسلام الظهور الذى لا كفاء له وقد ابتز اهله جميع الامم ونالوا من التفنن في العلوم والصنائع ومن الحضارة الحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم ومن تامل ايضا حالهم في التواضع وهضم انفسهم بنسبة القصور اليها في العلم وفي القيام بحقوق ربهم تاسيا في ذلك بنبيئهم صلى الله عليه وسلم في قوله «انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة » وقوله « لن يدخل احدا عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا

انا الا ان يتغمدني الله برحمته الحديث » استبان له ان وصفه اياهم بشموخ الانف الى السماء تحامل عليهم وبهت لهم بماهم منه براء

الفصل التاسع والثلاثون

لا يرتاب في حيازة سلف الامة الكمال في العلم والمدنية والاخلاق المرضية وسموهم فيها على غيرهم الا خبيث الطوية فاقد للغيرة الاسلامية . وقد بين ذلك ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح بيانا شافيا اتضح به الحق الصريح بقوله «اعلم ان الامم نوعان نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى ونوع لا كتاب لهم كالهند واليونان والعرب قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما من امة من الامم الا ولابد لها من علم وعمل بحسبهم يقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل انسان بل لكل حيوان ثم الامم متفاضلة في معرفة الخالق تعالى وفي الاقرار بمعاد بعد الموت ومتفاضلون فيما يحمدونه ويستحسنونه من الافعال والصفات وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بني آدم على ان العدل خير من الظلم والصدق خير من الكذب والعلم خير من الجهل فان المحسن الى الناس خير من الذي لا يحسن اليهم واما المعاد فهو

اما الى الارواح او للابدان وان الناس بعد الموت يكونون
سعداء واشقياء فيقربه كثير من الامم غير اهل الكتاب وان كان
على وجه قاصر كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم وبقوله
وان كل ما عند اهل الكتاب بل وسائر اهل الارض من علم
نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين وعند المسلمين ما ليس عند
غيرهم في جميع المطالب التي تنال به السعادة والنجاة وعقلاء
جميع الامم تامر بالعدل ومكارم الاخلاق وتنهى عن الظلم
والفواحش ولهم علوم الاهية وعبادات بحسبهم ويعظمون اهل
العلم والدين منهم والهند والفرس واليونان في ذلك اكمل من كفار
الترك والبربر ونحوهم مع ان هؤلاء فيهم ايضا قسط من ذلك
بحسبهم ومعلوم عند الاعتبار ان الامم الذين لهم كتاب كاليهود
والنصارى اكمل من الامم الذين لا كتاب لهم في الفضائل
العلمية والعملية فان ما لم ياخذه الناس عن الانبياء يعلم بالعقل
والاعتبار وبالمنام والالهام واخبار الجن ونحو ذلك من طرق الامم
وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والالهامية وغيرها يشارك
اهل الكتاب فيه من لا كتاب له ويمتاز اهل الكتاب بعلوم
واعمال اخذوها عن الانبياء ليس في قوة من ليس بنبيء ان
يعلمها وهذا ظاهر في الاخلاق والسياسات الملكية والمدنية
فان جنس اهل الكتاب ولو كان منسوخا مبدلا هم احسن

حالا ممن لا كتاب له اما في العبادات والايمان بالله واليوم الاخر
فرجحانهم فيه ظاهر واما علوم واعمال يكون ضررها راجحا
كالسحر والطلسمات وما يتوسل به من الشرك الى استخدام
الشياطين ونحو ذلك وان كان غير اهل الكتاب اقوم به فانما
ذلك لاستغناء اهل الكتاب بما هو انفع لهم في الدنيا
والاخرة واذا كان جنس اهل الكتاب اكمل في العلوم النافعة
والاعمال الصالحة ممن لا كتاب له فمعلوم ان امته اكمل من طائفتي
اهل الكتاب اليهود والنصارى واعدل وقد جمع لهم محاسن ما
في التوراة وما في الانجيل فليس عند اهل الكتاب فضيلة علمية
وعملية الا وامة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل منه فيها فاما
العلوم فهم احذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم
التي ليست بنبوية ولا اخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو
ذلك هم احذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها اكمل من مصنفات
الامتين بل احسن علما وبيانا لها من الاوائل التي كانت هي غاية
علمهم وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق
والحاد ولا قدر له عندهم لكن يحصل له بما يعلمه من المسلمين من
العقل والبيان ما اعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حذاقة
المسلمين احسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من اولائك المتقدمين
واما العلوم الالاهية والمعارف الربانية وما اخبرت به الانبياء

من الغيب كالعرش والملائكة والجن والجنة والنار وتفاصيل المعاد
فكل من نظر في كلام المسلمين فيها وكلام علماء اليهود والنصارى
وجد كلام المسلمين فيها الكمل واتم ومعلوم ان علم اهل الكتاب
والملل بذلك اتم من علم غيرهم واما العبادة والزهد و الاخلاق
والسياسة الملكية والمدنية فالكلام فيها مبني على اصل وهو
معرفة المقصود بها وما به يحصل المقصود فنقول للناس في مقصود
العبادات مذاهب منهم من يقول المقصود بها تهذيب اخلاق
النفوس وتعديلها ليستعد بذلك للعلم وليست هي مقصودة في
نفسها ويجعلونها من قسم الاخلاق وهذا قول متفلسفة اليونان
وقول من اتبعهم من الملاحدة والاسماعلية وغيرهم من متفلسفة
الاسلاميين كالفارابي وابن سينا وغيرهما وهؤلاء غاية ما عندهم
في العبادات والاخلاق والحكمة العملية انهم راوا النفس
فيها شهوة وغضب من حيث القوة العملية ولها نظر من جهة القوة
العلمية فقالوا كمال الشهوة في العفة وكمال الغضب في الحلم
والشجاعة وكمال القوة النظرية في العلم والتوسط في جميع
ذلك بين الافراط والتفريط هو العدل وما ذكروه من العمل
متعلق بالندب لم يثبتوا خاصية النفس الذي هو محبة الله وتوحيده
بل ولا عرفوا كمال ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله الا
قليل مشتمل على كثير من الباطل كما قد بسط الكلام عليهم في

موضع اخر ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس
وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال
لها الا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها كما قد
بسط الكلام على ذلك في موضع اخر ولهذا كان هو دين
الاسلام الذي اتفقت عليه الرسل وهو جماع دعوة المرسلين قال
الله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه وقال واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من
دون الرحمان اله يعبدون وقال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني ادم وسعادتهم
ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا اله الا الله
وبهذا بعث الله جميع الرسل وانزل جميع الكتب فلا تصلح
جميع النفوس وتزكو وتكمل الا بهذا كما قال تعالى وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة اي ما تزكو به نفوسهم من
التوحيد والايمان فكل من لم يحصل له هذا الاخلاص لم
يكن من اهل النجاة والسعادة فمن اقر بان الله رب كل شيء وخالقه
ولم يعبد اله وحده بل سواه ببعض مخلوقاته في الحب والاجلال
والخشية والطاعة والرجاء والدعاء فهو مشرك ولو كان مع

ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه. كان حليما شجاعا فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من الاعمال ما تسعد به النفوس وتنجو من العذاب كما ان ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس ولا من الاخلاق ما هو دين حق ولهذا لم يكونوا داخلين في اهل السعادة في الاخرة المذكورين في قوله تعالى ان الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من ءامن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فدين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء فضلا عما تسعد به ثم ذكر بقية الاقوال الاربعة في مقصود العبادات واختلاف الناس في صفاتها وبين فضل عبادة المسلمين على كل قول واطال في ذلك ثم قال فليتدبر الانسان عقول المسلمين واخلاقهم وعدلهم يظهر له الفرق بينهم وبين غيرهم واما حكم المسلمين في الحدود والحقوق فلا يخفى على عاقل فضله حتى ان النصارى في طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين اذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به بين الناس » وقال ابن القيم في الرد على المنجمين « ان

هذه الامة خير امة اخرجت للناس وهم اعلم الامم واعرفها واكثر كتبا وتصانيف واعلاها شانا واكملها في كل خير ورشد وصلاح وقد اعطوا من التاييد والنصر والظفر بعدوهم والاستيلاء على ممالك العالم ما لم يظفر به احد من المعولين على احكام النجوم الخ »

الفصل المتمم اربعين

واما قوله (ان كل شيء في العالم هو داخل تحت تاثير ناموس التطور والارتقاء فمتى تمخضت الحقائق عن شيء كان الاخذ به عزما على الباحثين والحاق ما سلف بالتاريخ) فكلام لا معنى له سوى التخليط واللجاج. لا يصدر الا من ذي اعوجاج. لانه جار فيه على اعتقاد الطبيعيين لاسناده كل شيء في العالم الى تاثير ناموس التطور. لا الى تاثير قدرة خالق القوى والقدر. ولا غرو فان الرجل يرى ان الانسان اليوم قد تحول الى امتلاك ناصية الطبيعة وان بيده الرياح والسحاب يسخرها كيف شاء ويسيرها الى حيث اراد فنعوذ بالله من الكفر بعد الهدى ولو تحرى هذا الالد اعتقاد المسلمين لقال ان كل شيء في العالم هو داخل تحت تاثير قدرة الواحد القهار. اذ المؤثر في الحقيقة ليس الا الله الفاعل المختار. قال الشيخ عبد العزيز في المعالم « انا نعتقد

ان الله تعالى منفرد بخلق كل شيء لا تاثير لغيره في شيء اصلا وان الافعال التي تتصف بها العقلاء وغيرهم كلها مضافة الى الله سبحانه خلقا واختراعا وان كان بعضها ينسب الى بعض من يتصف بها كسبا من غير تاثير البتة فليس في الوجود عندنا الا الله سبحانه وافعاله « ومن مغالطته وبرقشته على الجهال تلبيسه عليهم بايراد الكلمات التي يراها غريبة جاهلا بحقيقة معناها موهما عليهم بما لم يالفوا استماعه من نحو الناموس والتطور والارتقاء والتمخض فيوهمهم ان تحتها اسرارا غامضة ومعاني لطيفة ، وهي الفاظ غير لائقة بموقعها على ان هذا الجاهل الابله لو سئل عن معانيها لما اهتدى الى حقيقتها ثم الالحاق للتاريخ انما يلائم ما حضر لا ما سلف لان السالف قد الحقه بالتاريخ غيره

الفصل الحادي والاربعون

ومن سفهه وازدهافه قدحه في اراء السلف ايضا بقوله (وهل يحسن بنا اليوم ان نقتصر في مزاحمة الامم المتكالبة علينا على ما ورثناه من الفكر والاراء عن اسلافنا ونقف مندهشين حائرين امام هذه القوات والمخترعات وفي مستطاعنا ان نقلدها ونردفها غارات الصائلين ولا يقبل هذا الاعدو لنفسه ولدينه

وللاسلام والمسلمين) فانه يقتضي ان افكار السلف ضعيفة وءاراءهم سخيفة وان اتباعهم فيها قصور ، والاقتصار على ما ورثنا عنهم منها غرور ، مفض بصاحبه الى الثبور . عائق له عن بلوغ السعادة والسرور . وهذا والله عين الجنون ونفس البور . ومن اسلافه الذي يرى ان اتباعهم فيما ورث من افكارهم وءاراءهم والاقتصار عليها عداوة للنفس وللاسلام والمسلمين ؟ اهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ؟ ام من بعدهم من علماء اهل التوحيد ؟ ام علماء مذهبه ؟ وما افكارهم وءارائهم التي يرى اتباعهم فيها والاقتصار عليها ضررا على نفس متبعهم فيها وعلى الاسلام والمسلمين اليست افكارهم الاسيرهم الحميدة . واقوالهم السديدة . واعمالهم الرشيدة . وحكمهم المزهدة في الاغترار بالدنيا ولذاتها المرغبة في اقتناء ما ينال به سعادة الاخرة ودرجاتها واي فكر اثقب من فكرهم وراى اسد من رائهم ونفع المرء وللاسلام والمسلمين اعظم من نفع اتباعهم فيما حضوا عليه من الاشتغال بالعلوم الدينية . والاجتناب للعلوم الفلسفية . والتعمق في العلوم العقلية .

فكل خير في اتباع من سلف ✯ وكل شر في ابتداع من خلف
وكل هدي للنبيء قد رجح ✯ فما ابيح افعل ودع ما لم يبح
فتابع الصالح ممن سلفا ✯ وجانب البدعة ممن خالفا

فلو تامل هذا المعجب بمعاصريه وافكارهم المزدري بسلفه وءارائهم بعين الانصاف . وتجنب التعصب واللجاج والاعتساف ، لتحقق لديه ان امره بتعلم ءاراء المعاصرين ، وعلوم افكارهم والحث على اشغال الصبيان ، والاحداث بها وتحقير افكار اسلاف المسلمين وءارائهم ، وتقبيح الاقتصار عليها واتباعهم فيها غش لنفسه ولدينه وللاسلام وللمسلمين كما تحقق ذلك صاحب النظرات حين اجاد السبر . واحسن الفكر ، فقال « كنت لا اسئل الله تعالى الا تقدم هذه الامة وارتقاءها ، وبلوغها في المدنية مبلغا يؤهلها لمجاراة الامم الغربية في عظمتها وسلطانها ، فاصبحت اسئله الا يستجيب دعائي ولا ينيلها من تلك المدنية فوق ما اناالها اصبحت اعتقدان مفاسد الاخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان . واخوان متحابان ، لا افتراق لاحدهما عن صاحبه الا اذا افترقت نشوة الخمر عن مرارتها فكيف اتمناها لامة هي اعز علي من نفسي التي بين جنبي » ولكن الرجل لفرط جهله ، وانطماس نور بصيرته ، لم ير الا فكار النافعة الا افكار المتفكر في المنافع الدنيوية وسيظهر له حين ينكشف الغطا من العدو لنفسه ولدينه . وللاسلام والمسلمين وما الفكر النافع ومن المصيب في مقاله ولقد اجاد ابن القيم وابان الحقيقة بقوله « فان قيل قد ذكرتم الفكر ومنفعته وعظم تاثيره في الخير والشر

فما متعلقه الذي ينبغي ان يوقع عليه ويجري فيه فانه لا يتم المقصود منه الا بذكر متعلقه الذي يقع الفكر فيه والا ففكر بغير متفكر فيه محال قيل مجرى الفكر ومتعلقه اربعة امور احدها غاية محبوبة مرادة الحصول الثاني طريق موصل الى تلك الغاية الثالث مضرة مطلوبة الاعدام مكروهة الحصول الرابع الطريق المفضي اليها الموقع عليها فلا تتجاوز افكار العقلاء هذه الامور الاربعة واي فكر تخطاها فهو من الافكار الرديئة والخيالات والاماني الباطلة واذا كان الفكر النافع لا يخرج عن الاقسام الاربعة التي ذكرناها فله ايضا محلان ومنزلان احدهما هذه الدار والاخر دار القرار فابناء الدنيا الذين ليس لهم في الاخرة من خلاق عمروا بيوت افكارهم بتلك الاقسام الاربعة في هذه الدار فاثمرت لهم افكارهم فيها ما اثمرت ولكن اذا حقت الحقائق وبطلت الدنيا وقامت الاخرة تبين الرابح من المغبون وخسر هنالك المبطلون وابناء الاخرة الذين خلقوا لها عمروا بيوت افكارهم بتلك الاقسام الاربعة فيها »

الفصل الثاني والاربعون

واما قوله (ان الامم المتمدنة لا ترضى ان نعد في مصاف الامم الراقية بالانكماش والانزواء والقناعة والصبر والاعراض

عن الامور والجهل بشؤن الكون بل بالكد والعزم والطموح
الى المعالي والعناية باحوال العالم والاطلاع على العلوم) فكلام
احمق معجب بزهرة الدنيا راض بها ، مطمئن اليها . مجد في حض
الناس على الاقبال عليها . غافل عن الاخرة معرض عنها مزهد
فيها ، يعيب على المسلمين فعل ما امرهم الله به ورسوله من
الاعراض عن الدنيا وشهواتها . والتباعد عن الاغترار بزينتها
وزخارفها والقناعة بما قسم لهم منها . والصبر على مضض العيش
فيها ، ومكابدة مشاق التكليف وغيرها ، ويحضهم على الطموح
الى المراتب الدنيوية زاعماً انها المعالي التي تجب الرغبة فيها
ويحثهم على الاشتغال بتعلم صناعاتها ، وحيل اكتساب مراتبها
مدعيا لفرط جهله وغباوته انها العلوم التي ينال الانسان الشرف
والسعادة بها . خلافا لما اطبق عليه العقلاء من اهل الاديان قال في
مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر « والعلوم عند جميع
اهل الديانة ثلاثة علم اعلى وعلم اسفل وعلم اوسط فالعلم الاعلى
عندهم علم الدين الذي لا يجوز لاحد الكلام فيه بغير ما انزله
الله في كتابه وعلى السنة انبيائه صلوات الله عليهم نصا والعلم
الاوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها
بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة
والعلم الاسفل هو احكام الصناعات وضروب الاعمال مثل

السباحة والفروسية والرمي والتزويق والخط وما اشبه ذلك
من الاعمال التي هي اكثر من ان يجمعها كتاب او ياتي عليها
وصف وانما تحصل بتدريب الجوارح فيها » فانظر الى حال
من يرغب الناس في العلم الاسفل والاوسط ويزهدهم في العلم
الاعلى . الذي ينال به المرء السيادة القعسا . اليست هذه حال من
يتهاون بالدين ويستخف بشرع سيد المرسلين ؟ بلى انها لهي كما قال
الماوردي « وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية
ورأى انها احق بالفضيلة واولى بالتقدمة استثقالا لما تضمنه الدين
من التكليف واستذالا لما جاء به الشرع من التعبد والتوقيف »
وليت شعري من الامم المتمدنة الراقية التي يلتمس منها ان
ترضى عنه وان تعده واحدا منها ؟ وهل هي الا الامم الغضبية
والصليبية ؟ واي رقي وتمدن واخلاق وعلم عند من
ينكر خالق البرية . المدبر للامور العلوية والسفلية ،
ويعبد النيران والاحناش والبقر ، والصلبان والتماثيل والصور . وما
احسن قول ابن القيم « واي شيء عرف من لم يعرف الله
ورسله واي حقيقة ادرك من فاتته هذه الحقيقة واي علم او
عمل حصل لمن فاته العلم بالله والعمل بمرضاته ومعرفة الطريق
الموصلة اليه ومثاله بعد الوصول اليه » وفي الذريعة « وروي
انه رئي صورة حكيمين من الحكماء في بعض مساجدهم وفي يد

عن الامور والجهل بشؤن الكون بل بالكد والعزم والطموح
الى المعالي والعناية باحوال العالم والاطلاع على العلوم) فكلام
احمق معجب بزهرة الدنيا راض بها ، مطمئن اليها . مجد في حض
الناس على الاقبال عليها . غافل عن الاخرة معرض عنها مزهد
فيها ، يعيب على المسلمين فعل ما امرهم الله به ورسوله من
الاعراض عن الدنيا وشهواتها . والتباعد عن الاغترار بزينتها
وزخارفها والقناعة بما قسم لهم منها . والصبر على مضض العيش
فيها ، ومكابدة مشاق التكليف وغيرها ، ويحضهم على الطموح
الى المراتب الدنيوية زاعماً انها المعالي التي تجب الرغبة فيها
ويحثهم على الاشتغال بتعلم صناعاتها ، وحيل اكتساب مراتبها
مدعيا لفرط جهله وغباوته انها العلوم التي ينال الانسان الشرف
والسعادة بها . خلافا لما اطبق عليه العقلاء من اهل الاديان قال في
مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر « والعلوم عند جميع
اهل الديانة ثلاثة علم اعلى وعلم اسفل وعلم اوسط فالعلم الاعلى
عندهم علم الدين الذي لا يجوز لاحد الكلام فيه بغير ما انزله
الله في كتابه وعلى السنة انبيائه صلوات الله عليهم نصا والعلم
الاوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها
بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة
والعلم الاسفل هو احكام الصناعات وضروب الاعمال مثل

السباحة والفروسية والرمي والتزويق والخط وما اشبه ذلك
من الاعمال التي هي اكثر من ان يجمعها كتاب او ياتي عليها
وصف وانما تحصل بتدريب الجوارح فيها » فانظر الى حال
من يرغب الناس في العلم الاسفل والاوسط ويزهدهم في العلم
الاعلى . الذي ينال به المرء السيادة القعسا . اليست هذه حال من
يتهاون بالدين ويستخف بشرع سيد المرسلين ؟ بلى انها لهي كما قال
الماوردي « وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية
وراى انها احق بالفضيلة واولى بالتقدمة استثقالا لما تضمنه الدين
من التكليف واستذالا لما جاء به الشرع من التعبد والتوقيف »
وليت شعري من الامم المتمدنة الراقية التي يلتمس منها ان
ترضى عنه وان تعده واحدا منها ؟ وهل هي الا الامم الغضبية
والصليبية ؟ واي رقي وتمدن واخلاق وعلم عند من
ينكر خالق البرية . المدبر للامور العلوية والسفلية ،
ويعبد النيران والاحناش والبقر ، والصلبان والتماثيل والصور . وما
احسن قول ابن القيم « واي شيء عرف من لم يعرف الله
ورسله واي حقيقة ادرك من فاتته هذه الحقيقة واي علم او
عمل حصل لمن فاته العلم بالله والعمل بمرضاته ومعرفة الطريق
الموصلة اليه ومثاله بعد الوصول اليه » وفي الذريعة « وروي
انه رئي صورة حكيمين من الحكماء في بعض مساجدهم وفي يد

احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء » ولقد صدق المصري في قوله واصفا امراة عصرية « انها امراة متعلمة تعرف كل شيء الا واجباتها وواجبات منزلها وزوجها واولادها وليتها جهلت كل شيء غير هذا فتكون قد علمت كل شيء » فاعجب بمن يلتمس رضى تلك الامم عنه ويرى عدهم له في مصافهم من انفس ما يرغب فيه ويشراب اليه ولا يرى المعالي الا المنازل الجاهية والمالية . ولا العلوم الا المعارف الصناعية والفلسفية . ولا العالم الا الماهر المتبحر فيها كانه لم يطرق سمعه قط قوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقوله عز وعلا « قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى » وقوله تبارك وتعالى « ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين » وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه « اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة » وليت شعري ما الفائدة التي يرجوها في رضاهم عنه وعدهم له في مصافهم ؟ ام يرى انه ينال بذلك النصفة منهم ؟ كلا ما هذا الا تخيل فاسد او ما يرى ما بينها من التنافس

والبغضاء وسعي كل واحدة في اسباب الاستيلاء على الاخرى ولو باعترافها بالسيادة لها عليها ؟ واي نصفة وعدل ومساواة ترتجى ممن لا يومن بالبعث والجزاء ؟ كلا لا يطمع في ذلك الا من يعد في النوكى فلو كان لهذا الاحمق شيء من العقل الوازع ما اهتم بغير ما ينال به رضى الله سبحانه وكرمه الواسع والنجاة من عذابه الذي ليس له من دافع وما حض ورغب الا في الاشتغال بتعلم العلم النافع وبالعمل الرافع وهو امتثال امر الشارع وما منعه لو تحرى الصدق كما يدعي . وتبرز لارشاد الخلق الى ما ينبغي ، ان يقول اننا لا نعد في زمر المتقين والصديقين ولا ننال رضى رب العالمين بالكسل والتواني . والركون الى زخارف الاماني ، والجهل بغوائل النفس ، ووساوس شياطين الجن والانس ، بل بالجد في تعلم العلوم الدينية ، والاجتهاد في العبادات القلبية والقالبية ، والعناية بتطهير النفس من دنس الرذائل ، وتحليها بجواهر الفضائل ، الا لا ارى مانعا له عن ذلك سوى ان الله سبحانه لم يرزقه التوفيق ، ولم تشرق على قلبه انوار التحقيق فرغب في العاجلة . وزهد في الاجلة اعاذنا الله والمسلمين من هذه البلية

الفصل الثالث والاربعون

واما قوله (والانسان لا يدرك قيمة ذاته الا اذا وازنها بغيره والناس مرايا لبعضهم وكذا الامم لا تعلم من احوالها الا بما يعرض لها من احوال غيرها حتى اذا ادركت نقصا فيها بادرت لتلافيه وعلى هذه القواعد جرت كافة الامم وتولد من تسابقها ومجاراتها ببعضها ما يسمى بالمدنية او التمدن) فهذيان من يهرف بما لا يعرف فان الموازنة المستقيمة . والمعادلة الصحيحة النافعة انما هي مقابلة المرء حاله بحال من فوقه في الدين تحته ومن في الدنيا بان ينظر الى جد من فاقه في العبادة والزهد واجتهاده في الورع فيحمل نفسه على التاسي به . والارتقاء الى مرتبته . ثم يتاسى بمن فوق تلك المرتبة وهكذا فلا يزال يرتقي من مرتبة الى اعلى منها حتى يصل الى درجة الصديقين وينخرط في زمرة المحسنين . وذلك هو الفوز المبين . فانه اقصى ما يمكن لغير النبيين . وبان ينظر الى من هو اسفل منه فيما قسم الله له من الامور الدنيوية ليحثه ذلك على استعظام انعام الله عليه وشكره ولا يقابل حاله بمن فوقه فيها فيستحقر نعم الله ويشتد حرصه على طلب الدنيا ورغبته فيها وهذه الموازنة هي التي ارشد اليها نبيء الانبياء وامام المرسلين صلى الله عليه وعليهم اجمعين

بقوله « انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة ولفظ البخاري « اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الي من هو اسفل منه ممن فضل عليه » قال النووي « قال ابن جرير وغيره هذا حديث جامع لانواع من الخير لان الانسان اذا راى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك او يقارب به هذا هو الموجود في غالب الناس واما اذا نظر في امور الدنيا الى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالي عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير » وفي الفتح « قال ابن بطال هذا الحديث جامع لمعاني الخير لان المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها الا وجد من هو فوقه فمتى طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون ابدا في زيادة تقربه من ربه ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا الا وجد من اهلها من هو اخس حالا منه فاذا تفكر في ذلك علم ان نعمة الله وصلت اليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير امر اوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده » وقال غيره « في هذا الحديث دواء الداء لان الشخص اذا نظر الى من هو فوقه لم يامن

ان يؤثر ذلك فيه حسدا ودواءه ان ينظر الى من هو اسفل منه ليكون ذلك داعيا الى الشكر » قال العزيزي « وهذا في امور الدنيا واما امور الاخرة فالمطلوب ان ينظر الى من هو فوقه ليلتحق به فيها » قلت ويشهد له ما نقله ابن حجر عن نسخة عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده رفعه « قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ومن نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به » ومن فوائد نظر الانسان الى من هو فوقه في الاخرة حصول التواضع له وزوال العجب عنه برؤية القصور الذي فيه عمن فوقه قال الشيخ اسماعيل رحمه الله في القناطر « وقد قيل في منثور الحكم اذا علمت فلا تذكر كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وينشد لابن العميد

من شاء عيشا حميدا يستفيد به ☆ في دينه ثم في دنياه اقبالا

فلينظرن الى من فوقه ادبا ☆ ولينظرن الى من دونه مالا

وهذه الموازنة هي الموازنة المطلوبة والمعادلة المحمودة بخلاف ما يتوهم هذا المغرور . من الموازنة بامم الثبور . فانها تودي الى الخزي والبور . اعاذنا الله من خزي يوم النشور . هذا وان النقص الحقيقي المضر الذي يجب تلافيه واصلاحه هو النقص الديني المفضي بصاحبه الى الضرر الاخروي ولا يدرك هذا النقص ولا

يتوصل الى اصلاحه الا بالعلوم الشرعية النقلية فيجب على الانسان صرف الهمة الى تعلم ما يتوصل به الى اداء الواجب عليه . واصلاح النقص اللاحق له . لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب مثله . ويستحب له بعد ذلك استفراغ وسعه في تعلم ما زاد على ذلك منها لانه افضل من جميع النوافل واما العلوم العقلية الفلسفية فمما يجب على غالب الناس التحرز عن النظر فيها والاشتغال بها فانها كثيرا ما ادخلت نقصا في الدين على متعاطيها ولا سيما من لم يتضلع من العلوم الدينية ولم ترسخ قدمه فيها فهذا علم الكلام مع انه وسيلة الى اثبات الصانع وتنزيهه واثبات النبوات بالحجج العقلية . المؤيدة بالبراهين النقلية . ووالة لدفع شبه المبطلين . وتمويهات الملحدين من الطبيعيين والدهريين . وغيرهم قد منعوا العوام من الخوض فيه . وحجروا على غير كامل العقل المتضلع بالنقل التعمق فيه . فقد قال الغزالي في فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة « واذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بان الخوض في الكلام حرام لكثرة الافة فيه الا لاحد شخصين رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظي ولا بخبر نقلي عن رسول فيجوز القول المرتب الكلامي رافعا شبهته ودواء له في مرضه فيستعمل معه ذلك ويحرسه عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك ان يحرك في نفسه شكاله ويثير

له شبهة تمرضه وتستزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح والثاني شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بانوار اليقين يريدان يحصل هذه الصنعة ليداوي به مريضا اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعا اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم من فروض الكفايات وتعلم قدرما يزيل به الشك ويدرا الشبهة في حق المشكل فرض عين اذا لم يمكن اعادة اعتقاده المجزوم بطريق اخر سواه » وقال فيه ايضا « ومن غلب على قلبه الاشكال والشك في شيء من الاعتقادات فان امكن ازالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولامرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام واما المشتغلون بدرك الحقائق فاهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجري مجرى منع الصبيان من شاطء نهر الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان هاهنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف

في عقله راض عن الله في كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون »

واما العلوم الدنيوية الصناعية فلا يخفى على كل منصف ان المتعمق فيها والصارف همته اليها لابد ان تدخل عليه نقصا في تعلم العلوم الدينية مضرا به ضررا اخرويا لقصور علم الانسان عن صرف عنايته الى كلا العلمين والاشتغال بكل من الامرين وقد نص على هذا الغزالي في الاحياء وشارحه بقولهما «والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات فان ثمراتها منوطة بالدنيا ولا تعلق لها بالاخرة الا من وجوه بعيدة والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته وبذل همته الى تحصيل احدهما حتى تعمق فيه اي دخل في عمقه وهو كناية عن نهاية الاشتغال به قصرت بصيرته عن الاخر فلا يمكنه ان يهتدي اليه وهذا على الاكثر فيما جرب ولذلك ضرب علي للدنيا والاخرة امثلة ثلاثة فقال هما ككفتي الميزان ان رجحت احداهما خفت الاخرى وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما

اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا الفطنين
فيها وفي علومها مثل علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة
جهالا في امور الاخرة وما اقبح هذا وترى الاكياس في دقائق
علوم الاخرة جهالا في الاكثر اي في الاغلب بعلوم الدنيا وما
احسن هذا وذاك لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا في الغالب
فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله بضم فاسكان جمع الابله اي
الابله في امور الدنيا قد اغفلوها فجهلوا حذق التصرف فيها
واقبلوا على اخرتهم فشغلوا فاستحقوا ان يكونوا اكثر اهلها
وقال الحسن البصري ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم انهم
مجانين اي لغفلتهم عن امور الدنيا ولو راوكم لقالوا انكم شياطين
اي لما فيكم من الدهاء والمكر والخداع في تحصيل المعائش
فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدنيا فد جحده اهل الكياسة
في سائر العلوم وظنوه مناقضا فلا يغرنك جحودهم عن قبوله
اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب
فانما اورثهم ذلك الجحود جهلهم بعلوم الدين ولذلك قال تعالى
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا

لا يكاد يتيسر ويسهل الا لمن رشحه الله وهياه بالخلافة العظمى
لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء عليهم السلام الخ»
فقد اتضح بهذا البيان الجلي ان السعي في توجيه الصبيان
والاحداث الجاهلين بعلوم الشريعة الى تعلم العلوم الدنيوية من
علوم الفلسفة المضرة بالاعتقاد وعلوم الصناعات الشاغلة عن
علم الاحكام والعبادات كما هو فعل هذا المضل وشيعته صد
عن سبيل الله وغش للاسلام والمسلمين كما ان انكارهم علينا الترغيب
في الاشتغال بالعلوم الدينية وتسليم الصبيان والاحداث لاقتنائها
وشتمهم ايانا على ذلك وبهتهم لنا بالصد عن تعلم العلم ظلم وعدوان
وافك وبهتان ونهي عن المعروف وانكار له

الفصل الرابع والاربعون

واما تسميته ما تولد من تسابق الامم ومجاراتها من استنباط
الالات والحيل واتقان الصنائع بالمدنية او التمدن فخطا ناشء
عن جهله بحقيقة مدلول لفظ المدنية والتمدن كما يدل على
ذلك تعبيره بالحرف الذي احد معانيه الشك وهو المناسب هنا
لان الكلام خبر والابهام لا يليق بمقام البيان والصواب ان
مسمى المدنية هو الاجتماع المعبر عنه بالعمران البشري الذي هو
التساكن والتنازل في مصرا وحلة للانس بالعشير واقتضاء الحاجات

والتعاون على التعيش والتمدن هو الاتصاف بهذا الاجتماع قال ابن خلدون « ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران » وقال التفتازاني في المطول « ان الانسان مدني بالطبع محتاج في تعيشه الى التمدن وهو اجتماعه مع بني نوعه يتعاونون ويتشاركون في تحصيل الغذاء واللباس والمسكن وغيرها ثم ان هذا الاجتماع انما ينتظم اذا كان بينهم معاملة وعدل يتفق الجميع عليه لان كل واحد يشتهي ما يحتاج اليه ويغضب على من يزاحمه فيقع الجور ويختل امر الاجتماع والمعاملة والعدل لا يتناول الجزئيات الغير المحصورة بل لا بد لها من قوانين كلية وهي علم الشرائع ولا بد لها من واضع يقررها على ما ينبغي مصونة عن الخطا وهو الشارع الخ » فقد بان ان المدنية المستقيمة عبارة عن الاجتماع والعمران البشري المؤسس على العلوم الشرعية والقوانين الدينية لا ما تولد من تسابق الامم في المعارف الدنيوية من ضروب غرائب الحيل وعجائب الصنائع كما يزعم هذا الحيران واما قوله (اظنكم ادركتم من فحوى الخطاب ان مدنية اليوم هي النتيجة الطبيعية لمدنيات سلفت ومن ضمنها مدنيتنا فقد اشتركت في ايجادها وابلاغها لمرتبتها الحاضرة عزائم وقرائح البشر كافة

وانها ليست ملك امة ولا اثر لدين مخالف بل هي القوة المهيمنة على الجميع) فهو مع اختلاله وتناقضه اشبه بالرطانة منه بالعربية ومن تناقضه ادعاءه ان المدنية الحاضرة نتيجة لمدنية المسلمين فهي اصل لها فان النتيجة فرع عما نتجت منه وهذا يناقض قوله قبل اي شان لمدنية اسلاف المسلمين وعلمهم مع مدنية المتغلبين وعلمهم فان اصل الشيء له شان مع فرعه فجعله مدنية اسلاف المسلمين تارة اصلا للمدنية الحاضرة وتارة لا شان لها امامها اضطراب بين ومن تناقضه ايضا زعمه قبل ان المدنية هو ما تولد من تسابق الامم ومجاراتها وانه مخصوص ببعض الامم دون بعض وادعاؤه هنا ان جميع عزائم البشر وقرائحهم كافة اسودهم واحمرهم عربيهم وعجميهم باديهم وحاضرهم قد اشتركت في ايجادها وابلاغها لمرتبتها الحاضرة فلا اختصاص بها حينئذ لامتذون اخرى وهذا من الكذب والتناقض الذي ليس فيه مرية ،

الفصل الخامس والاربعون

واقبح من هذا كله كذبا قوله (وانها ليست ملك امة ولا اثر لدين مخالف) فانه يقتضي ان ما عليه غير المسلمين من الامم في اخلاقهم وعوائدهم . وقوانين معاملاتهم التجارية

وغيرها ووجوه عماراتهم ومستحسناتهم ، موافق للاسلام لا يخالفه منها شيء وهذا مما لا يساعده عليه الاجاهل متعصب فان مخالفة غالب قوانينهم وعوائدهم الشرع الاسلامي. من الجلي الذى لا يرتاب فيه الاجاهل بالدين الحنيفي ، وقد امر الشارع بمخالفتهم ولو في طرق تناول المباحات من اللباس والاكل ونحوهما فضلا عن المحرمات ، ويكفي المنصف دليلا على ذم التشبه بهم قوله صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » ذكره السيوطي في الجامع الصغير من تخريج ابن رسلان وابي داود عن ابن عمر ومن تخريج الطبراني في الاوسط عن حذيفة قلت وهو بعض حديث رواه احمد في مسنده فقال « حدثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي اخبرنا بن ثوبان عن حسان بن عطية عن ابي منيب الجرشي عن ابن عمر قال قال رسول الله عليه السلام بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ورواه ايضا عن ابي النضر عن عبد الرحمان بن ثابت بن ثوبان عن حسان الخ السند قال شارح المشكاة « من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره او بالفساق اوالفجار او باهل التصوف والصلحاء الابرار فهو منهم اي في الاثم والخير » وفي الاحياء « قال علي من تزيا

بزي قوم فهو منهم » قال شارحه « وقد روي نحوه مرفوعا من حديث ابن عمر من تشبه بقوم فهو منهم » رواه احمد وابو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرشي عنه وفي السند ضعف ورواه البزار من حديث حذيفة وابي هريرة ورواه ابو نعيم في تاريخ اصبهان من حديث انس وهو عند القضاعي من حديث طاوس مرسلا وله شاهد جيد من قول الحسن البصري قلما تشبه رجل بقوم الا كان منهم رواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول فذكره ومن قول عمر بن عامر الجبلي من تشبه بقوم لحق بهم رواه العسكري ايضا من طريق زافر عنه » وفي الاحياء ايضا وشرحه من تزيا بزي الظلمة والشرطة اجتنب صحبة وجوارا ومصادقة ومعاملة ولا يكون ذلك من سوء الظن بالاخ المسلم لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم وتشكل بشكلهم ومساواة الزي في الظاهر يدل على مساواة القلب في الاغلب فلا يتجانن اي يتكلف من نفسه الجنون الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الافاسق والظاهر عنوان الباطن وليس للصالح ان يتشبه باهل الفساد في زيهم لان ذلك تكثير لسوادهم وهو مذموم » وفيهما عند ذكر مناهي الصلاة « واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل

فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم اذا صلوا فنهوا معاشر المسلمين عن التشبه بهم فهذه علة النهي قال الشيخ ابن تيمية التشبه بالكفار منهي عنه اجماعا»

الفصل السادس والاربعون

ومن الدليل ايضا على مشروعية خلافهم في المباحات حديث عبادة ابن الصامت عند ابن ماجة وابي داود وغيرهما « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد فعرض له حبر من اليهود فقال له انا هكذا نصنع يا محمد قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال خالفوهم » قال شارح المشكاة « وفيه اشارة الى ان كل سنة تكون شعار اهل البدعة تركها اولى» وحديث ابي امامة الباهلي في الجامع الصغير من تخريج البيهقي « انتعلوا وتخففوا وخالفوا اهل الكتاب » وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند احمد وغيره «قال حدثنا يحي بن هشام الدستوائي حدثنا يحي عن محمد بن ابراهيم عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عليه ثوبين معصفرين فقال هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما » وفي المنتخب « عن عمر رضي الله عنه موقوفا من تخريج عبد

الرزاق والشافعي قال لا تتشبهوا باليهود اذا لم يجد احدكم الا ثوبا واحدا فليتزره « وفي حديث الاذان « انه صلى الله عليه وسلم ذكر له البوق والناقوس فكرههما من اجل اليهود والنصارى » وحديث ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما « قال قال رسول الله عليه السلام خالفوا المشركين اوفروا اللحى واحفوا الشوارب » وروى مسلم ايضا عن ابي هريرة « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوا الشوارب وارخوا اللحى خالفوا المجوس » قال ابن حجر « والمراد من المشركين في حديث ابن عمر المجوس كما في حديث ابي هريرة فانهم كانوا يقصون لحاهم ومنهم من كان يحلقها » وحديث ابي هريرة عند البخاري وغيره « قال قال النبيء صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » وروى احمد نحوه من حديث ابي امامة فقال « حدثنا زيد بن يحي حدثنا عبد الله بن العلا بن زبر حدثني القاسم قال سمعت ابا امامة يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الانصار بيض لحاهم فقال يامعشر الانصار حمروا وصفروا وخالفوا اهل الكتاب قال فقلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يتسرولون ولا يتازرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرولوا وائتزروا وخالفوا اهل الكتاب قال فقلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون قال فقال

النبيء صلى الله عليه وسلم تخففوا وانتعلوا وخالفوا اهل الكتاب
قال فقلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون
سبالهم قال فقال النبيء صلى الله عليه وسلم قصوا سبالكم ووفروا
عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب » وحديث عائشة عند ابي داود
وغيره « قالت قال رسول الله صلى عليه وسلم لا تقطعوا اللحم
بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرأ » وقد
جاء نحوه من حديث ام سلمة عند الطبراني على ما ساقه في الآلى
المصنوعة للسيوطي وحديث انس عند مسلم » ان اليهود كانوا
اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسال
اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم النبيء صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في
المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى عليه وسلم اصنعوا كل
شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع
من امرنا شيء الا خالفنا فيه الحديث » وحديث كريب عند احمد
« انه سمع ام سلمة تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصوم يوم السبت ويوم الاحد اكثر مما يصوم من الايام
ويقول انهما عيدا المشركين فانا احب ان اخالفهم » وحديث
حذيفة عند البخاري ومسلم واللفظ له « عن عبد الله ابن حكيم قال
كنا مع حذيفة بالمدائن فاستسقى حذيفة فجاءه دهقان بشراب

في اناء من فضة فرماه به وقال اني اخبركم اني قد امرته ان
لا يسقيني فيه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا
في اناء الذهب والفضة ولا تلبسوا الديباج والحرير فانه لهم في
الدنيا وهو لكم في الاخرة يوم القيامة وروي ان عمر رضي الله
عنه كتب الى عتبة بن فرقد باذربيجان اياكم والتنعم وزي
اهل الشرك ولبوس الحرير » وقال الشيخ عامر في الايضاح
التشبه بالمشركين منهي عنه » وفي النيل وشرحه « وهلك
قاصد خلاف المسلمين ولو في مباح كشراك نعل اذا قصد انه
لا يفعل كذا لان المسلمين يفعلونه او انه يفعله لكونهم لا يفعلونه
مثل ان يقول لا اجعل لنعلي شراكا لانهم يجعلونه له ولا سيما
في فرض او مسنون مثل ان يقول لا اقدم رجلي اليمين في دخول
المسجد لانهم يقدمونها اولا اتوضأ ثلاثا ثلاثا لانهم يقولون
ذلك ولا يدفعون عنه رمي من رماه بسوء او اتهمه المسلمين
انه بهتان فيجب النهي واما ان خالفهم ولم يقصد انه فعل اولم
يفعل ليكون مخالفا لهم فلا باس الا ان كان فعله لما يخالفهم يوهن
الاسلام او المسلمين او يوهم قصد خلافهم فلا » وقال الشارح
جوابا لمن ساله من اهل مصر « هل يجوز ما يفعل بعض الناس
من لبسهم لباس النصارى لقضاء المصالح وعود الفوائد الجواب
انه لا يجوز ذلك وانه من الاكل للمال بباب محرم وانه من

باب الاكل بالدين وانه اختيار للدنيا على الدين وانه ذم للدين
الاسلامي ونقص له واهانة له وتسبب في دخول المسلمين في
دين الكفر وباب يجر الى ترك الصلاة والطهارة والصوم
وامور الاسلام سترا على انفسهم ليعاملهم المشركون فلو فعل ذلك
لعلموا انه مسلم وكذا يضيفونه بلحم خنزير او بما لا يجوز
فتجره نفسه الى مطاوعتهم في اكله واذا رءاه الناس يلبس لباس
المشركين فيجد ما لا يجد من المال بدون لبس لباسهم كثر لبس لباسهم
في المسلمين فينجروا بذلك الى ما ذكر مما لا يجوز فهو ضال مضل
وقد يذكرون التثليث فان لم يثلث معهم علموا انه مسلم فتدعوه
نفسه الى التثليث سترا عليها فيكفر لانه غير مضطر الى ذلك فضلا
عن ان يباح له الكفر بلسانه مع اطمئنان قلبه وربما عاملوه
بنفع مالي لانهم يظنونه مشركا وهو غير مشرك فيكون قد اكل
حراما فيلزمه الرد اليهم وطلب الحل منهم ودخل ذلك اللباس
في خبر من تشبه بقوم فهو منهم ولا يعذر في انه لم يقصد
التشبيه لذاته بل ليصل الى مصالح دنيوية لانا نقول قد اوقع الشبه
حيث لا يجوز ايقاعه وربما عارضه كفر حين كان معهم كصلاة
يصلونها فيفعل صورته معهم اذ لو لم يفعله لعلموا انه مسلم مثلا
ولا يعذر في فعل صورة الكفر اذ لا ضرورة عليه الى ذلك
ومن رءاه يفعل معهم صورة كفر يبرا منه ويلعنه فقد اوقع

البراءة على نفسه ولا يعذر اذ لا ضرورة تلجئه الى ذلك بل من
رءاه في لباسهم وتبرا منه بناء على القول بالبراءة بالعلامة حل له
ذلك فقد دعا الى البراءة بنفسه بل ان تبرا منه من علمه قبل ذلك
موحدا ظنا انه ارتد لم يظلمه فيما قيل الى ان قال واذا كان
الاكل بالدين حراما فالاكل بايهام تبديله بالشرك اشد حرمة
فمن تبع ذلك اللابس ولبس مثله او اجازه او ترك النهي قادرا
فقد شفع شفاعة سيئة فله كفل منها ومن تبعنى في النهى عن
ذلك وتقبيحه فقد شفع شفاعة حسنة فله نصيب منها والعمل
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا الذي يلبس لباسهم لا
يخلو قلبه من حبهم قبل ذلك فيستمر وجاء الحديث انه من
احب قوما فهو منهم وتغره نفسه فينغر ولا يتفطن بان يقول لا
احبهم بل اعاملهم بالظاهر وفيها طرف من الحب خفى وافرض
انه لم يكن فليخف ان يكون ولا يجوز لباس المشركين ولو
لدفع حرارة الشمس والبرد الا لضرورة لا محيد عنها لان دفع
الحر او البرد لا يختص بلباسهم اتسيغ قلوبكم يا اهل مصر ان
يكثر ذلك فيكم حتى تلتبسوا بالكفار كما التبس القبط بكم
للبسهم لبستكم وان كانت لكم طاقة على زجرهم عن لباسكم فازجروهم
كما تزجرون لابس لباس الكفار وقد جاء الاثر بالنهي عن زي
الفساق في اللباس وغيره فكيف زي المشركين وانا متعجب ممن

يفتي بجواز لباسهم لنحو حر واقتصاره على الكراهة فقط مع
الايهام وانما الكراهة فقط ان فعل ذلك في داره فقط اوخاصته
او من يسكن اليه مع انه يبين لهم العذر والامر وان قال ذلك
اللابس لا احبهم وصدق فليترك ذلك لئلا يصل به الى حبهم
ولئلا تلزم جملة المضار الدينية المتقدمة وليس من رخص الله
التحبب الى كافر لغرض دنيوي ولو اضطر انسان الى ذلك اضطرارا
واضحا او كان يجلبهم للاسلام بذلك لجاز وانما غرضكم التجر
واكثار المال والتكاثر وما هو صورة كفر ولم يقصد به
كفر فليس بكفر الا انه يحرم فعله لانه يوهم الكفر قال البيضاوي
وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفر لانها تدل على
التكذيب فان من صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لا
يجترأ عليها ظاهرا الا لانها في نفسها كفر يعني انها ليست
كفرا من فاعلها وانما هي دالة على الكفر فاقيم الدال مقام المدلول
عليه في الزجر والتحريم لا في الحكم بانه كفر وذلك حماية لحريم
الدين وذب عن حماه حتى لا يحوم حوله احد ويجترأ عليه
ولا يجوز لبس شعار الكفر سخرية بهم لانه كاللعب بالمعصية
وليس كفرا وعلى كل حال لا يحكم بكفر من تزيا بزيهم اذا
علمنا انه مومن ولكن ينكر عليه فان في التزيي بزيهم ستر
الحق وهو تزيي المومنين واظهار الباطل وهو زيهم وليس زينا

معشر المومنين حقا لذاته وشرعا بل لمخالفة زي المشركين
ولا زيهم كفرا لذاته وباطلا بل لانه امتازوا به عن المومنين
وقد قال الله عز وعلا ولا تركنوا الى الذين ظلموا الاية لا
تميلوا اليهم بحب القلب ادنى ميل والمراد بهم كما قال ابن جرير
وابن ابي حاتم عن ابن عباس المشركون وشمل النهي مداهنتهم
وترك التغيير عليهم مع القدرة ولا شك انه من يلبس
لباسهم ليروج عندهم يتقرب اليهم بذلك اللبس وغيره قال
المفسرون شملت الاية التزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم ومجالسهم
من غير داع شرعي وكذا القيام لهم ونحو ذلك » وقال
في قاموس الشريعة لجميل بن خميس السعدي من متاخري مشارقتنا
« وينبغي للمومن ان لا يلبس شيئا من زي الفساق والجبابرة
واهل الذمة ولا يتزيا بذلك لئلا يتهمه من يراه ويجب على
المستور من الناس ان لا يفعل فعلا يتهم به من اجله كما لا يجوز
للمومن ان يتشبه باهل الذمة في زيهم » فهذه الاخبار النبوية
والاثار السلفية والخلفية يتبين بها اتم بيان . لكل من جانب
التعصب والعدوان . ان المدنية المحمودة . والعوائد المرضية ،
والاداب السنية . والسياسة الحميدة . والقوانين المستقيمة ، هو
ما وافق الشرع الاسلامي ، والهدي الاحمدي ، واما ما خالف
الشريعة المطهرة . فليس بمدنية معتبرة . ولا بعوائد حسنة .

ولا بقوانين مستحسنة . ولا بآداب حميدة . ولا بسياسة محمودة . كما يتضح لك بها ان ما ادعاه هذا المجازف من ان مدنية غير المسلمين اليوم ليست ملكا لامة . ولا اثرا لدين مخالف كذب قبيح لا يصدر الا من جاهل بمعنى المدنية . وبحقيقة الشريعة الاسلامية »

الفصل السابع والاربعون

ومن تنكبه عن السداد . واجتهاده في اضلال العباد عن سبيل الرشاد . قوله (ونحن معاشر المسلمين اذا اردنا حقيقة ان نحيا حياة طيبة ونردعنا هذه الغارات الشعواء فما علينا الا ان نجد في نقلها الينا ونبذل الهمة في طلب علومها والتفقه في نظامها والمكابدة في تحصيل نتائجها ولا نعني انفسنا بالمحال ونكل تدبير امورنا للاقدار) فان هذا منه تهييج على الرغبة في الدنيا . وحث على الاشتغال بعلومها . وعلى بذل الهمة في تحصيل معارفها . وترهيد لهم في تعلم علوم الدين وطريق الاخرة ولا شك انهما ضارتان ومتضادتان فبقدر الزيادة في احداهما يقع النقص في الاخرى كما تقدم والامر بالشيء والحث عليه . نهي عن ضده وترهيد فيه . واي مؤمن يحث ويامر ببعث الاحداث والصبيان الجاهلين بالقرءان . وعلوم الشريعة الى مدارس تعليم الحرف

والصنائع وعلوم الفلسفة واللغات الاجنبية ونحوها من العلوم الدنيوية المضرة بعلوم الدين . اوالشاغلة عنها ويرى ان ذلك هو التجارة الرابحة . وسبب للفوز بالحياة الطيبة . كلا لا يفعل ذلك الا من لم يصدق بالاخرة ومافيها . ولم يعتقد ان نعيمها خير وابقى من الاولى ولذاتها . وجاهر بمشاقة الله ورسوله . ومخالفة سبيل اوليائه . ولو وفقه الله الى لصدق ، وارشاد الخلق الى الحق ، لقال ونحن معاشر المسلمين ان اردنا ان نحيا حياة طيبة فما علينا الا ان نجتهد في خدمة المولى عز وعلا . بتعلم ما يقربنا اليه زلفى . وعمل ما يحبه ويرضى . واجتناب ما زجر عنه ونهى . من المنكر والفحشا . كما قال تبارك وتعالى « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » فالحياة الطيبة في الآية عند الحسن ومجاهد وقتادة وابني جبير وزيد حياة الجنة فقد روى ابن جرير وغيره عن الحسن انه قال في الآية ما تطيب الحياة لاحد الا في الجنة ولعمري لكذلك اذ فيها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا زوال وسعادة بلا شقاوة ولله در القائل

لا طيب للعيش ما دامت منغصة ★ لذاته باد كار الموت والهرم

وقيل هي حياة المؤمن في الدنيا واستظهره الزمخشري وعزاه في البحر للجمهور وطيبها بما يصحبها من حلاوة الطاعة والقناعة

والرضى بما قسم الله له قال في الكشاف « المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه » فادعاءه ان الحياة الطيبة هي حياة الامم المتمهرين في علم ظاهر الحياة الدنيا وطرق السعي في تحصيلها الغافلين عن الاخرة وما فيها تخيل فاسد ناشىء عن الجهل بحقيقة الضار والنافع وتحريضه المسلمين على مزاحمتهم والتاسي بهم في ذلك صد لهم عن سبيل الرشاد وقال ابن القيم بعد سياق الاية الكريمة « وقد يغلط الجفاة الاجلاف في مسمى الحياة حيث يظنونها التنعم في انواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح او لذة الرئاسة والمال وقهر الاعداء والتفنن بانواع الشهوات ولا ريب ان هذه لذة مشتركة بين البهائم بل قد يكون حظ كثير من البهائم منها اكثر من حظ الانسان فمن لم تكن عنده لذة الا اللذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والانعام فذلك ممن ينادى عليه من مكان بعيد »

الفصل الثامن والاربعون

واما استدلاله على مدعاه بحمله السعي في قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » على السعي الدنيوي فحمل للاية على غير محملها وتحريف لتاويلها اذ لا يعزب عن ذي فهم ان السعي في الاية خاص بسعي الاخرة بدليل النقل والمشاهدة اما دليل النقل فقوله تعالى بعد الاية الشريفة « وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » فان رويته كل شخص سعيه ولقاء جزائه مختصان بالسعي الاخروي ونظير الاية قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقوله « وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى استرجع واستكان ذكره في الدر المنثور من تخريج ابن مردوية عن ابن عباس ولم نر احدا من المفسرين فسر السعي في الاية بغير الاخروي وقد تصفحنا ما حضرنا من تفاسير السلف والخلف فوجدناهم مطبقين على تفسيره بسعي الاخرة وهي الدر المنثور وتفسير ابن كثير وجامع البيان ورغائب الفرقان والبحر والنهر ومفاتيح الغيب والكشاف وانوار التنزيل وارشاد العقل السليم

ومعالم التنزيل ولباب التاويل ومدارك التنزيل وهميان الزاد والتيسير والسراج المنير والتسهيل لعلوم التنزيل وروح البيان وروح المعاني وفتح البيان والجواهر الحسان وتنوير المقياس وغيرها واما المشاهدة فلا ينكر حصول كثير من المنافع الدنيوية للانسان بسعي غيره الامن لا يبالي بجحود المشاهدات والمحسوسات واي سعي للوارث في مال موروثه وفي المثل رب ساع لقاعد . وءاكل غير حامد . قال النابغة

★ ورب امرء يسعى لآخر قاعد ★

وكم متعن في جمع مال او ابتكار صناعة لم يجن من سعيه الا العناء والهلاك وحظي بثمرته غيره ويقال غرس لنا من قبلنا فاكلنا ونغرس لمن بعدنا لياكل وفي محاضرة الادباء للراغب الاصبهاني « حكي ان كسرى مر بشيخ كبير يغرس فسيلا فقال له يا هذا كم اتى عليك من العمر قال ثمانون سنة قال افتغرس فسيلا بعد الثمانين فقال ايها الملك لو اتكل الاباء على هذا لضاع الابناء قال كسرى زه ياخذ اربعة ءالاف درهم فقال ايها الملك الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه وهذا قد اطعمني في سنته فقال زه ياخذ اربعة ءالاف درهم فقال ايها الملك الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد اطعمني في اول السنة مرتين فقال زه ياخذ اربعة ءالاف درهم فقال الوزير ان لم ينهض الملك اردى هذا

بحكمته بيت المال » فكأن هذا الجاهل بشؤن الله لا يعتقد ان تحصيل المطالب الدنيوية انما تكون بتقدير الله مسبب الاسباب لا بمجرد السعي والكد وقد قيل من حذق في صناعته احتسب في رزقه ولذلك ترى اكثر الحاذقين محرومين وقال محمد بن سابق

فكم قوي قوي في تقلبه ★ مهذب الراي عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ★ كانه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الالاه له ★ في الخلق سر خفي ليس ينكشف

ونظيره قول العضد ردا على ابن الراوندي في بيتيه المشهورين .

كم عاقل عاقل قد كان ذا عسر ★ وجاهل جاهل قد كان ذا يسر
تحير الناس في هذا فقلت لهم ★ هذا الذي اوجب الايمان بالقدر

وقال غيره

نكد الاريب وطيب عيش الجاهل ★ قد ارشداك الى حكيم كامل

وقال ءاخر

كم من اريب فهم قلبه ★ مستكمل العقل مقل عدم
ومن جهول مكثر ما له ★ ذلك تقدير العزيز العليم

وفي الدرة اليتيمة لابن المقفع « ان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة وليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه

العاجز بل ربما اعيى الحزمة ما امكن العجزة » ومن حكمه
ايضا « الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل » وما في الاية
مصدرية وقيل موصولة والاول اولى والسعي قيل العمل مطلقا
والاية عليه تعميم بعد تخصيص واستعمال اللام فيه المختصة
بالنفع لتغليب الحسن وهو الخير وقيل خاص بالعمل الصالح وهو
الاظهر فتكون الاية بيانا لعدم اثابة الانسان بعمل غيره اثر
بيان عدم مؤاخذته بذنب غيره وايا ماكان فقد استشكل هذا
التفسير بقوله تعالى والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم فالحقت الذرية بالاباء لصلاحهم وبالمضاعفة الواردة
في نحو قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فان الزيادة
على الحسنة فوق ما سعى وباحاديث النيابة عن الغير في بعض
العبادات والصدقة عن الميت والدعاء له ونحو ذلك كحديث
الخثعمية في الحج عن ابيها وحديث عائشة رضي الله عنها « ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها
واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها
قال نعم تصدق عنها » وحديث ابن عباس ان سعد بن عبادة توفيت
امه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله ان امي توفيت وانا
غائب عنها اينفعها شيء ان تصدقت به عنها قال نعم قال فاني
اشهدك ان حائطي المخراف صدقة عليها » وحديث ابي

هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان
انقطع عنه عمله الا من ثلاثة اشياء من صدقة جارية او علم
ينتفع به او ولد صالح يدعو له » وحديث استغفاره صلى الله
عليه وسلم لاهل البقيع واجاب الرازي بان ايمان الانسان
هو سعيه فيما يفعله الغير عنه لتوقفه عليه اذ بدونه لاينفعه
فكانه سعيه في اكتساب الحسنة راجيا نيل ما وعده الله
به من المضاعفة سعيا منه في نيل تلك المضاعفة واجاب غيره
بان الغير لما نوى ذلك الفعل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم
مقامه شرعا فكانه بسعيه وبان الاية فيما يحصل للانسان
بطريق العدل واما المضاعفة فانما هي بطريق الفضل وقيل
الاية منسوخة وروي عن ابن عباس وقيل خاصة بقوم ابراهيم
وموسى لقوله قبل ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم كرامة
من الله لهم ويروى عن عكرمة وهو قريب مما قبله

الفصل التاسع والاربعون

واما قوله (فبالسعي نحصل على العلم وبه نحرز على الحرية
وبه نرفع الضيم وبه نسترد المجد وبه نتهيا للتكون الاجتماعي
والرقي العقلي وبه نرقى الى مصاف الامم الراقية في العلم والمعارف

وهل من نوال هذه الحقائق بدون علم) فالفاظ مزخرفة . يموهون بها على الضعفة . فان العلم الذي ينتحونه وهو العلم بظاهر الحياة الدنيا عين الجهل والعمى ، واما العلم الحقيقي فهو العلم بما يقرب الى الله زلفى . وينجي صاحبه من عذاب لظى ، كما ان المجد الذى يقصدونه هو الجاه والرفعة واقبال الخلق عليهم بالثناء والرضى والمجد الحقيقي هو عز التقى.

★ فالعز كل العز للمتقي ★

والحرية لفظة يتشدق بها هو واصحابه لا يعرفون مغزاها فيحملونها على غير معناها تاسيا باضرابهم من السفهاء قال في التحفة الحليمية « الحرية هي اقامة احكام الشرع الشريف باسرها ولم يتم ذلك الا في زمن الخلفاء الراشدين وقد توهم المارقون والمنافقون ان الحرية هي اطلاق السنة السفهاء على اعراض الاصفياء بلا قيد واستباحة المحرمات في محلات الموبقات بغير رقيب ولا مانع او ما يتشدق به المتشدقون في لغو احاديثهم من الكلام الضار بالامة كما يشاءون مع ان من هذا الكلام ما يوجب التشويش على الدوام واطلاع الاعداء على دواخل الامور والعورات وينبني على ذلك فساد كبير كيف لا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليتكلم بخير او ليصمت ولقد حدثت حروب بسبب ذلك

والحاصل ان الحرية الغير الشرعية لا حد لها وهي مذهب الاشتراكيين في اروبا وفكر بعض الخوارج من الامة الاسلامية وغرضهم انه لا يكون حاكم ولا محكوم ولا ملك ولا امبراطور ويكون العالم كلهم في درجة واحدة الخ وهذا مستحيل » واما الرقي العقلي الذي يطمح اليه ويتمناه فما هو الا المهارة في المكر والدهاء والحيل والخداع والحرف والصنائع اذ لا يعرف هو وشيعته من العقل الا العقل الاروبي وهو العقل النفاقي المعيشي العقيم الذي لا يثمر لصاحبه في الاخرة الا الخزي السرمدي واما العقل الذي ينال به صاحبه السعادة الابدية وهو العقل الايماني فلا يعدونه لفرط جهلهم عقلا ولا صاحبه عاقلا مع ان العقل ماخوذ من عقال البعير المانع له من التداد لمنعه الانسان عن تعاطي ما لا يجمل فمن لم يحجزه عقله عن ترك اللوازم وارتكاب المآثم فليس عقله بنافع بل لا يستاهل ان يسمى عاقلا كما قال ابن المقفع في الادب الصغير لا يذكر الفاجر في العقلاء وقال الراغب في الذريعة « العقل المكتسب ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة والثاني العلوم الاخروية والمعارف الالاهية وطريقاهما متنافيان ولقلة الاعتداد بالمعارف الدنيوية قال الحسن لرجل وصف نصرانيا بالعقل مه انما العاقل من وحد الله تعالى وعمل بطاعته » قلت وشاهد هذا قوله صلى الله عليه وسلم

« العاقل هو المسلم الذي يتفكر في خلق السموات والارض فيعمل بطاعة الله ويجتنب معاصيه » وقوله صلوات الله عليه « العقل عقلان اما عقل صاحب الدنيا فعقيم واما عقل صاحب الاخرة فمثمر » ذكرهما صاحب الضياء رحمه الله وقال ابن القيم « العقل المعيشي النفاقي يظن اربابه انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون فانهم يرون العقل ان يرضوا الناس على طبقاتهم ويسالموهم ويستجلبوا مودتهم ومحبتهم وهذا مع انه لا سبيل اليه فهو ايثار للراحة والدعة على تحمل مؤنة الاذى في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه وهو وان كان اسلم عاجلة فهو الهلك في الآجلة فانه ما ذاق طعم الايمان من لم يوال في الله ويعاد فيه فالعقل كل العقل هو العقل الايماني المستفاد من مشكاة النبوة الموصل الى رضى الله ورسوله والله الموفق المعين » ونظيره قول بعض معاصرينا « السياسة في هذا العصر هي المهارة في اخفاء الغرض واظهار غيره في احاديثهم وتهديداتهم ونصائحهم الغير الصحيحة وهي مضادة للشرف » وهذه السياسة النفاقية هي التي يراها هو وشيعته مهارة في العقل وفضيلة وهي في الحقيقة نقيصة ورذيلة واما ما يامله من الرقي الى مصاف الامم الراقية في زعمه وهو مساواة الامم الغضبية والصليبية والوثنية . ونحوها في معارفهم العقلية . وعلومهم الفلسفية وءارائهم السخيفة فهو عين

الانحطاط والسقوط في المهاوي المخزية والدركات السفلية فانها قد اهلكت كثيرا ممن جنح اليها من الامة الاسلامية . على ما تنادي به الكتب التاريخية فقد قال ابن خلدون بعد ان ذكر نقل المنصور ثم المامون علوم اليونان الى العربية ونظر المسلمين فيها وتمهرهم وبعض من تمهر منهم ما ملخصه « ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا ءارائها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه » وقال ايضا بعد ذكر ارسطو وشيعته وعلومهم ومذاهبهم ثم كان من بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذو النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان كتب اوائك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها كثير من اهل الملة واخذ من مذاهبهم من اضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصبهان وغيرهما »

تنبيه — ما في كلامه هذا من الخلل والركاكة لا يخفى على من له في العلم ادنى ملكة ولا سيما تعديته حصل بعلى في قوله نحصل على العلم وتعبيره بالنوال عن الادراك والاصابة فانه

لم نجده بهذا المعنى في كتب اللغة وتعبيره بالعلم بدل السعي في قوله بدون علم اذ يلزم عليه صحة قول القائل وهل من نيل العلم بدون علم وهذا من التخليط بمكان

الفصل المتمم خمسين

واما قوله (لست اريد بالعلم علم اللسان والعقائد فقط اللذين اقتصر عليهما المسلمون بل كافة العلوم العقلية والادبية والعملية والاجتماعية التي اتاحت السيادة للامم المتغلبة مثل العلوم الفلسفية والطبيعية والهندسية والرياضية والفلاحية والاقتصادية والسياسية والاثرية واللغات اذ ليس لعلومنا اليوم من الاثر في مزاحمة الامم الاجزء يسير لا يؤبه له ولو كان لها اثر فعال لما كنا في مؤخر الامم) فكلام فاسد مختل من وجوه لا يصدر الا من مبرسم معتوه

منها ان ادعاءه اقتصار المسلمين على علم العقائد واللسان كذب بين البطلان. اذ لا ينكر ذو انصاف من اهل العرفان رغبة المسلمين وجدهم واجتهادهم في احياء العلوم المحمودة الشرعية تعليما وتعلما وتدوينا اصولها وهي القرءان والسنة والاجماع وآثار الصحابة وفروعها وهي ما فهم من هذه الاصول ومقدماتها وهي ما يجري مجرى الالات كعلم النحو واللغة العربية فانهما

آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومتمماتها كعلم القراءات ومخارج الحروف والناسخ والمنسوخ والرجال واسمائهم وانسابهم واعمارهم وعدالتهم ونحو ذلك بل لهم اليد الطولى في جميع العلوم حتى العلوم التي ورد في الشرع المنع من تعلمها او كراهة التعمق فيها كما تقدم ذلك عن ابن تيمية في قوله فاما العلوم فهم احذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا اخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك الخ وفي قول ابن القيم « ان هذه الامة اعلم الامم واعرفها واكثر كتبا وتصانيف الخ » ولا يخفى انهم قد الفوا في كل فن من العلوم ما لا يجاريهم غيرهم فيه فمن تصفح تراجيم علمائهم واطلع على تآليفهم تحقق لديه انهم قد بلغوا في العلوم كلها الدرجة القصوى وفازوا بالقدح المعلى

ومنها ما فيه من تنقيص المسلمين وحط قدرهم بالازدراء بعلمهم وتعليمهم واساليبهم وسيرهم وتفضيل غيرهم عليهم في ذلك كانه لا يرى نفسه واحدا منهم ولا يعتقد ان احترام صالح السلف ومراعاة حقوقهم وتعظيمهم من الواجب عليه ولا خفاء في ان تنقيصهم والازدراء بهديهم نتيجة بغضهم نعوذ بالله من بغض المسلمين ومفارقتهم قال الوسياني رحمه الله في كتاب الروايات « واحذروا تنميص الحق وتغميضه فان من سفه مقالة المسلمين

فذلك طعن يحل به دمه وتسفيه ديوانهم وتنقيص سيرهم وتخطية فتواهم وتحقيرها وتهوين افعالهم وتسفيهها وشتمهم وذمهم كل ذلك طعن يحل به الدم

ومنها تعظيم اهل الكفر وادعاء الكمال لهم والفضل على المسلمين في العلم والفهم فانه من الكبائر قال ابو العباس رحمه الله وتعظيم الكفر واهله كبيرة من الكبائر وكذلك تهوين الاسلام واهله كبيرة من الكبائر ويكونان من القلب والجوارح وتضييع حقوق الاسلام هو تهوينه وتهوين الاسلام هو تهوين المسلمين وكذلك تعظيم الكفر هو تعظيم الكافرين والتهوين الذي يكون من القلب هو ان يرى المسلمين لا يستحقون ما جعل لهم من حقوقهم ويراهم اهلا للتهوين و التقصير فيهم ويحب تهوينهم ويكره من يجعل لهم ما يستحقون من حقوقهم من حقوق الدنيا والاخرة وان امر بتهوينهم او بتنقيصهم فهو هالك سواء فعل الذي امره بذلك ما امره او لم يفعل وكذلك تعظيم الكافرين على ما ذكرناه من تهوين المسلمين وتهوينهم باللسان الشتم لهم والافتراء عليهم وان يرميهم بغير ما فعلوا من القبيح وجميع ما ينقصهم به الخ

ومنها استخفافه بعلم العقائد وعلم اللسان اللذين اقتصر عليهما المسلمون في زعمه بادعائه ان لا اثر لهما فهما عنده شيء

لا منفعة فيه فهذه غاية الجهل وسخافة العقل فاي علم اشرف من علم العقائد الذي هو معرفة الله عز وجل وصفاته ومعرفة رسله والتصديق بما جاءت به من عنده ؟ واي اثر اشرف من اثره ومنفعة اعظم من منفعته ؟ بل لا اثر ولا منفعة الا له ولما شاكله من علم الفقه القالبي والقلبي ونحوه ولا يعزب هذا الا عن مثل هذا الرجل المستولي عليه ظلمة جهله فانه لطموح نظره الى زينة الدنيا وقصور همته على بهجتها وزهرتها . وغفلته عن نعيم الاخرة وسرورها ونضرتها . لم ير الفوز بلذة الاخرة اعلى منفعة ولا النجاة من عذابها اسنى مصلحة ، فبالله يا ذوي الحجى هل هذه حال من يدعي الهدى ، ويعد نفسه من اولي النهى . المظهرين للناس ما في العلم والتعليم من المئاثر والمزايا ؟ كلا ما هي الا حالة ذوي الجهل والعمى . الصادين الخلق عن طاعة العلي الاعلى ، الموثرين ما يفنى على ما يبقى ،

ومنها مدحه للعلوم الوارد في الشرع ذمها او ذم التعمق فيها وترغيبه في تعلمها وتقديمها على العلوم الشرعية وتفضيلها عليها كالعلوم الفلسفية فقد ورد المنع من الاشتغال بها في الاخبار النبوية وآثار اعلام الايمة اما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » رواه احمد عن انس وقال النووي رواه النساءي والترمذي وقال حديث حسن صحيح

عن الحسن بن علي قال ابن حجر الهيثمي ورواه ايضا ابن حبان في صحيحه والحاكم عن الحسن وخرجه ايضا احمد عن انس والطبراني عن ابن عمر مرفوعا » وعلم الفلسفة مما يوقع في الريبة بل في الشرك والشك في الدين اعاذنا الله من ذلك وقد تقدم قول ابن خلدون « ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا اراءها » وقوله « واخذ من مذاهبهم من اضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها الخ »

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا » رواه ابو داود عن بريدة بن الحصيب قال ابن الاثير في تفسير ان من العلم جهلا « هو ان يتعلم ما لاحاجة اليه كالنجوم وعلوم الاوائل ويدع ما يحتاج اليه في علوم دينه من علم القرءان والسنة » وقال الشيخ محمد الحفني في تفسير الحديث « معنى قوله ان من العلم جهلا اي علما يشبه الجهل كعلم الزايرجة والسيميا والحرف والرمل فانها كالجهل لعدم نفعها والمراد انها تحمل الشخص على الجهل حيث يشتغل بها ويترك ما يحتاج اليه من العلوم

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه احمد وابو داود وابن

ماجة عن ابن عباس وفي حاشية سنن ابي داود « قال الخطابي علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع كمجيء الامطار وتغيير الاسعار واما ما يعلم به اوقات الصلوات وجهة القبلة فغير داخل فيما نهى عنه » وقال السندي في حاشية سنن ابن ماجة « قوله من اقتبس اي تعلم علما من النجوم هو الذي يخبر به عن المغيبات والامور المستقبلة بواسطة النظر في احوال الكواكب واما ما يعلم به اوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيه » وفي المنتخب من تخريج الطبراني في الكبير « عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم رب معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله تعلى خلاق يوم القيامة » وفيه من تخريج الخطيب في كتاب النجوم عن علي قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم وامرني باسباغ الطهور » وفيه من تخريج الديلمي وابن السني « عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم تعلموا من امر النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا وتعلموا من امر النساء ما يحل لكم وما يحرم عليكم ثم انتهوا ومن الانساب ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من تعلم صرف الكلام ليسبي قلوب الرجال او الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا

ولا عدلا » رواه ابو داود عن ابي هريرة وصرف الكلام على
ما في النهاية تحسين الكلام والزيادة فيه على قدر الحاجة ومنها
قوله صلى الله عليه وسلم « لان يمتلي جوف احدكم قيحا يريه
خير من ان يمتلي شعرا » رواه البخاري ومسلم وابو داود عن
ابي هريرة ورواه البخاري ايضا عن ابن عمر ومسلم عن سعد
ابن ابي وقاص ورواه هو واحمد عن ابي سعيد الخدري بلفظ
« قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج
اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا
الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلي جوف رجل
قيحا خير له من ان يمتلي شعرا قال في الفتح « ووقع في حديث
عوف بن مالك عند الطحاوي والطبراني لان يمتلي جوف
احدكم من عانته الى لهاته قيحا يتخضخض خير له من ان
يمتلي شعرا وسنده حسن قال النووي وغيره قال ابو عبيد قال
بعضهم المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبيء صلى الله عليه وسلم
والذي عندي ان هذا تفسير فاسد لانه يقتضي ان المذموم
من الهجاء ما يمتلي منه الجوف دون قليله وقد اجمع المسلمون
ان الكلمة الواحدة من هجاء النبيء صلى الله عليه وسلم موجبة
للكفر قالوا بل الصواب ان المراد بامتلائه من الشعر ان يكون
الشعر غالبا عليه ومستوليا بحيث يشغله عن القرءان وغيره من

العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من اي شعر كان
فاما اذا كان القرءان والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو
الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لان جوفه
ليس ممتليا شعرا قال ابن حجر « ويويد تاويل ابي عبيد ما اخرجه
البغوي في معجم الصحابة والحسن بن سفيان في مسنده والطبراني
في الاوسط من حديث مالك بن عمير السلمي انه يشهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفتح وغيرها وكان شاعرا فقال يا
رسول الله افتني في الشعر فذكر الحديث وزاد قلت يا رسول الله
امسح على راسي قال فوضع يده على راسي فما قلت بيت شعر بعد
وفي رواية الحسن بن سفيان بعد قوله على راسي ثم امرها على
كبدي وبطني وزاد البغوي في روايته فان رابك منه شيء
فاشبب بامراتك وامدح راحلتك فلو كان المراد الامتلاء من
الشعر لما اذن له في شيء منه » قلت والى تاويل ابي عبيد
جنح البخاري فترجم للحديث بباب ما يكره ان يكون الغالب
على الانسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرءان
قال ابن حجر « ووجه حمل هذا الحديث على هذا ان الذم اذا
كان للامتلاء وهو الذي لا بقية لغيره معه دل على ان ما دون
ذلك لا يدخله الذم ومناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر ان الذين
خوطبوا بذلك كانوا في غاية الاقبال عليه والاشتغال به

فزجرهم عنه ليقبلوا على القرءان وعلى ذكر الله تعالى وعبادته فمن اخذ من ذلك ما امر به لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك وقال العيني « مطابقة الحديث للترجمة توخذ من معناه لان امتلاء الجوف بالشعر كناية عن كثرة الاشتغال به حتى يكون وقته مستغرقا به فلا يفرغ لذكر الله عز وجل ولا لقراءة القرءان وتحصيل العلم وهذا هو المذموم وفيه اشارة الى ان ذكر الله تعالى وقراءة القرءان والاشتغال بالعلم اذا كانت غالبة عليه فلا يدخل تحت هذا الذم » وقال في الفتح « والحق ابن ابي جمرة بامتلاء الجوف بالشعر المذموم حتى يشغله عما عداه من الواجبات والمستحبات الامتلاء من السجع مثلا ومن كل علم مذموم كالسحر وغير ذلك من العلوم التي تقسي القلب وتشغله عن الله تعالى وتحدث الشكوك في الاعتقاد وتفضي به الى التباغض والتنافس » ولا شك ان هذه العلوم التي يمدحها هذا المسرف ويغري الناس على الاشتغال بها ويغرهم بوعد ترتب المجد والشرف والسيادة على نيلها هي العلوم التي تشغل عن الله تعالى

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « العلوم ثلاثة فما وراء ذلك فهو فضل ءاية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة » رواه ابن ماجة وابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال السندي وغيره يعني ان اصل علوم الدين اقسام ثلاثة وما سوى

ذلك فهو فضل اي زائد لا ضرورة الى معرفته فكل علم سوى هذه العلوم الثلاثة وما يتعلق بها مما يتوقف هذه الثلاثة عليه ويستخرج منها فهو زائد لا ضرورة في معرفته قال العزيزي لكن علم الطب ثابت بنصوص السنة

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر » رواه السيوطي في الجامع الصغير وغيره من تخريج ابن عبد البر عن ابي هريرة قال العزيزي وغيره « اي معرفة الانساب علم لا ينفع والجهل بما زاد على قدر الحاجة جهالة لا تضر ولا ينافي هذا ما مر من الامر بتعلمها لتعين حمل هذا على التعمق فيه وذاك على ما يعرف به الانساب لارث ونحوه » فدل الحديث على ان ما لا يحتاج اليه من العلم او يشغل عما تدعو اليه الحاجة لا ينبغي للعاقل صرف الوقت الذي هو اعز الاشياء فيه فتعلم ما لا ينفع عليه ولا تضر جهالته تضييع للوقت في غير طائل فضلا عن الاشتغال بتعلم ما يضر في الدين علمه كادخال الشكوك على المسلمين

ومنها حديث جابر بن عبد الله عند احمد وغيره ولفظ احمد « حدثنا سريح بن النعمان قال حدثنا هشيم اخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب اتى النبيء صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب فقرأه على

النبيء صلى الله عليه وسلم فغضب فقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسئلوهم عن شي فيخبروكم بحق فتكذبوا به او بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو ان موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني» وفي رواية في المشكاة من تخريج الدارمي عنه «ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال ابو بكر ثكلتك الثواكل ما ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر عمر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن السبيل ولو كان حيا وادرك نبوتي لاتبعني قال الشيخ علي القاري في المرقاة « وفي هذا الحديث نهي بليغ عن العدول من الكتاب والسنة الى غيرهما من كتب الحكماء والفلاسفة »

الفصل الحادي والخمسون

واما الآثار الواردة عن علماء السلف والخلف في النهي عن تعلم العلوم الفلسفية وذم الاشتغال بالعلوم الدنيوية وتقديمها عن علوم الاخرة فكثيرة

منها ماروي عن محدث الامة ومروعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من امره سعد بن ابي وقاص برمي كتب الفرس في الماء حين كتب له عنها يستاذنه في شانها وانتساخها وقد تقدم

ومنها قول الشيخ اسماعيل رحمه الله في القواعد « ان العلوم الهندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما زجر عن التعمق فيها » فتامل يا ذا العقل السليم في حال من يرغب في الاشتغال بالعلم الذي لم يرد الشرع بالنظر فيه بل زجر عن التعمق فيه ويزهد في اقتناء العلم الذي ورد الشرع بوجوب تعلمه او ندبه ويزدري بالمشتغل به ثم يزعم انه ناصح لامته وساع في نفع ابناء جلدته تتحقق انه بمعزل عن الارشاد وانه من جملة الضالين المضلين للعباد

ومنها قول البرادي رحمه الله في شرح المدل « العلوم كلها منحصرة في قسمين ولا ثالث نافع وضار ونعني بالنافع ما

كان سببا لمعرفة جلال الله تعالى وما اثمر خشية واورث سعادة في الاخرة وهو الذي يعبر عنه بالديني النقلي وبالضار ما خلا من هذا المطلب والضار دنيوي عقلي محض والنافع ديني نقلي طريق العقل فيه المساعدة والموافقة والمعاونة والمرافقة فالضار العقلي المحض مثل علم النجوم والهندسة وعلوم التجاريب فهذه علوم لا تاثير لها في النقل الا من حيث النهي عنها من حيث خلت من الغرض المطلوب ومن حيث انها تفويت للعمر الذي هو مزرعة الاخرة ومن حيث انها موضوعة على تخمين وظنون كاذبة او علوم صادقة لا منفعة فيها حيث المقدور كائن ولا محالة والسعيد سعيد والشقي شقي الخ » فانه صريح في ان تلك العلوم التي يامر هذا الجاهل بمزاولتها ويشغل الاحداث بها انما منهي عنها واما لا منفعة فيها مفوتة لاعز الاشياء الذي هو العمر في غير طائل

ومنها قول السبكي في مفيد النعم « ومنهم اي علماء السوء طائفة تبعت طريقة ابي نصر الفارابي وابي علي بن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين نشؤا في هذه الامة واشتغلوا باباطيلهم وجهالاتهم وسموها الحكمة الاسلامية ولقبوا انفسهم حكماء الاسلام وهم احق بان يسموا سفهاء جهلاء من اين يسمون حكماء اذ هم اعداء انبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام

والمحرفون الكلم الشرعي عن مواضعه عكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الاقوام وسموها الحكمة واستجهلوا من عري عنها ولا تكاد تلقى احدا منهم يحفظ قرءانا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمر الله ان هؤلاء لاضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى لانهم يلبسون لباس المسلمين ويزعمون انهم من علمائهم فيقتدي العامي بهم وهم لا يعتقدون شيئا من دين الاسلام بل يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة

وما انتسبوا الى الاسلام الا ★ لصون دمائهم ان لا تسالا

فياتون المناكر في نشاط ★ ويانون الصلاة وهم كسالى

فالحذر الحذر منهم وقد افتى جماعة من ايمتنا ومشيختنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال بالفلسفة واما المنطق فقد ذكرنا كلام الايمة والشيخ الامام فيه في اوائل شرح مختصر ابن الحاجب والذي نقوله نحن انه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ويمتلا جوفه من عظمة هذا النبيء الكريم وشريعته ويحفظ الكتاب العزيز وشيئا كثيرا جدا من حديث النبيء صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين ويعرف من فروع الفقه ما يسمى به فقيها مفتيا مشارا اليه من اهل مذهبه اذا وقعت حادثة فقهية ان ينظر في الفلسفة واما من وصل الى

هذا المقام فله النظر فيها للرد على اهلها ولكن بشرطين احدهما
ان يثق من نفسه بانه وصل الى درجة لا يزعزعها رياح
الاباطيل وشبه الاضاليل واهواء الملاحدة والثاني ان لا يمزج
كلامهم بكلام علماء الاسلام فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين
بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين الى ان قال واما طائفة في
زماننا هذا او قبله بيسير عكفت على هذه الحكمة المفتنة من
حين نشات لا تدري شيئا سواها اشتبه عليها اقوال كفارها
باقوال علماء الاسلام وتصرفت فيها بعقل خسيف لم يقم بكتاب
وسنة ولم يضي له نور ببرهان من النبوات ثم تعتقد انها على
شيء فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة وقد اعتبرت ولا
ينبئك مثل خبير فلم اجد اضر لاهل عصرنا وافسد لعقائدهم من
نظرهم في الكتب الكلامية التي انشأها المتاخرون بعد نصير
الدين الطوسي وغيره ورائي فيمن اعرض عن الكتاب والسنة
واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحا نحوه وترك قول المسلمين
قال ابو بكر وقال عمر رضي الله عنهما الى قوله قال الشيخ
الرئيس اعني ابن سينا وقال خواجا نصير ونحو ذلك ان يضرب
بالسياط ويطاف به في الاسواق وينادى عليه هذا جزاء من
ترك الكتاب والسنة واشتغل باباطيل المبتدعين او ما يستحيي
من يتخذ اقوال ابن سينا وتعظيمه شعارا من الله تعالى اذا قرأ

قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين
على ان نسوي بنانه ويذكر انكار ابن سينا لحشر الاجساد وجمع
العظام » اقول من الجلي الذي لا ينكره الا مكابر غوي ان ما
اشتملت عليه هذه المقالة من اسناد الحوادث الى غير الباري
تعالى وادعاء ان ءادم لم يكن اصلا لجميع البشر وانه خلق ساذجا
مشا كلا للعجماوات او ان اوائل الانس كانوا كالحيوانات في
جميع شؤنهم حتى النكاح ثم انتقلوا الى شريعة عقلية بعد امد
طويل ثم الى الشرائع النبوية الى غير ذلك من المفتريات التي انطوت
عليها مخالف للكتاب والسنة واجماع الامة فهي هادمة لقواعد
الدين وناقضة لعراه او ما يستحيي من الله سبحانه من يتبع اكاذيب
هذه الفلاسفة كمحمد عبده واضرابه ويتخذ تعظيمهم شعاره
اذا قرا قوله تعالى « والله خالق كل شيء » وقوله تبارك اسمه
« وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من
ماء مهين » وقوله عز من قائل « يايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى » وقوله جل شانه « وعلم ءادم الاسماء كلها ان
الله اصطفى ءادم ونوحا ولقد بعثنا في كل امة رسولا » الى غير
ذلك من الايات الدالة على كذبهم وافترائهم ومخالفة كتاب
ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم واجماع صالحي سلفهم
نسئل الله العصمة من ضلالهم

ومنها قول السنوسي في شرح ام البراهين « وليحذر المبتدي جهده ان ياخذ اصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة واولع مؤلفها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقائدهم التي ستروا نجاستهم بما ينبههم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التي اكثرها اسماء بلا مسميات وذلك ككتب الامام الفخر في علم الكلام وطوالع البيضاوي ومن حذ احذوهما في ذلك وقل ان يفلح من اولع بصحبة كلام الفلاسفة او يكون له نور ايمان في قلبه او لسانه وكيف يفلح من والى من حاد الله ورسوله وخرق حجاب الهيبة ونبذ الشريعة وراء ظهره وقال في حق مولانا جل وعز وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام ما سولت له نفسه الحمقاء ودعاه اليه وهمه المختل ولقد خذل بعض الناس فتراه يشرف كلام الفلاسفة الملعونين ويشرف الكتب التي تعرضت لنقل كثير من حماقاتهم لما تمكن في نفسه الامارة بالسوء من حب الرئاسة وحب الاغراب على الناس بما ينبههم على كثير منهم من عبارات واصطلاحات يوهمهم ان تحتها علوما دقيقة نفيسة وليس تحتها الا التخليط والهوس والكفر الذي لا يرضى ان يقوله عاقل وربما يؤثر بعض الحمقا هوسهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه في اصول الدين وفروعه على طريق السلف الصالح والعمل بذلك ويرى هذا الخبيث لانطماس بصيرته

وطرده عن باب فضل الله تعالى الى باب غضبه ان المشتغلين بالتفقه في دين الله تعالى العظيم الفوائد دنيا واخرى بلداء الطبع ناقصي الذكاء فما اجهل هذا الخبيث واقبح سريرته واعمى قلبه حتى راى الظلمة نورا والنور ظلمة ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت » اقول ما حكى عن هذا البعض من الحال والقال هو حال هؤلاء الضالين المضلين الذين ابتلينا بهم ومقالهم فانهم مغرمون بالحث على تعليم علوم الفلسفية والصناعية المضادة للعلوم الشرعية او المشغلة عنها مبذلين جهدهم في التحريض على توجيه الصبيان والاحداث الى تعلمها والترغيب في تسليمهم الى الاشتغال بها والتزهيد في اقتناء العلوم الدينية بتنقيص جدواها وتصغير ثمرتها ومولعين بذم من يشتغل بها ويرغب فيها ووصفه بفساد التصور والسذاجة ونقصان الذكاء وخمود الفطنة وبلادة الطبع وجمود القريحة وما اقتصروا على ذلك بل تجاوزوه الى رميه بالصد عن العلم والتعلم وبهته بخيانة الدين والوطن الى غير ذلك من الصفات الذميمة التي لا يوصف بها الا النابذ للشريعة المستقيمة وما نقموا منه الا الامر بتعلم العلوم الاسلامية والترغيب فيها وتقديم الاهم فالاهم منها فهل هذا معشر ذوي النهي موجب

للمعاملة بهذا الشتم والبذى والطعن والجفا ؟ كلا ما هذا منهم الارشح ما امتلات به صدورهم الخبيثة من قطران الحسد والبغضاء جازاهم الله بما يستحقون على سوء صنيعهم في العقبى

ومنها قول ابن خلدون في الفصل الذي عقد لابطال الفلسفة وفساد منتحلها « هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشانها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسى تدرك ذواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة » ثم اطال في بيان حقيقة علومهم وكر عليهم بالابطال والرد فاحسن واجاد

ومنها قول الغزالي في الاحياء وشارحه « واما الفلسفة وهي معرفة علوم يحصل بها التشبه باخلاق الالاه بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الابدية في زعمهم فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء يطلق على الكل هذا الاسم احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق وما يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما الى علوم مذمومة داخلة فيهما كما ياتي بيانه

فان اكثر الممارسين لهما المشتغلين بهما قد خرجوا منهما الى البدع ولم يكتفوا بالوقوف عليهما فيصان الضعيف العقيدة عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطء النهر خيفة من الوقوع في النهر فيكون سببا لهلاكه وكما يصان حديث العهد بالاسلام قبل ان يتمكن الايمان في قلبه عن مخالطة الكفار ومخالتهم خوفا عليه في افساد عقيدته مع ان القوي في اسلامه لا يندب الى مخالطتهم ولا يوذن له مع امنه على دينه وتحرير كلامه فيه ان انواع الفلسفيات الاربعة رياضية ومنطقية والاهية وطبيعية فالرياضية على اربعة اقسام الاول علم الادتماطيقي وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات التي ذكرها فيتاغورس وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندي وعلم الحساب القبطي والزنجي وعلم عقد الاصابع الثاني علم الجومطريا وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة في اقليدس ومنها علمية وعملية وتحتها علم المساحة وعلم التكسير وعلم رفع الاثقال وعلم الحيل المائية والهوائية والمناظر والحرب الثالث علم الاسطرقوميا وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة في المجسطي وتحته علم الهيئة والميقات والزيج والتحويل الرابع علم الموسيقى وتحته علم الايقاع والعروض فهذا كله النوع الاول من الفلسفيات والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه

وقد اختلف في الاشتغال به على اقوال فمنهم من جعله فرض عين وبناه على عدم ايمان المقلد وهو ابعد الاقوال واليق بان يقال لصاحبه

اوردها سعد وسعد مشتمل ، ما هكذا يا سعد تورد الابل.

ومنهم من قال فرض كفاية واليه اشار السيد الجرجاني وغيره وقد رده ابن القيم فقال لا فرض الا ما فرضه الله ورسوله فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم ان يكون منطقيا فان فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين وانما يخالفه في سقوطه بفعل البعض والمنطق لو كان علما صحيحا كان غايته ان يكون كالمساحة والهندسة ونحوها فكيف وباطله اضعاف حقه وفاسده وتناقض اصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن ان يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا الامن قد عرفه وعرف فساده وتناقضه » هذا كلام الشارح ثم ساق ابياتا لابن القيم في ذمه واطال في ذكر من مدحه وذمه من علماء الاشاعرة ونقل كلماتهم في ذلك ورد بعضهم على بعض وافاد اخيرا ان التعمق فيه مذموم وكذا اشتغال البليد به ولو عند مادحيه فضلا عن ذاميه فانه نقل عن اليوسي المادح له في رده على السيوطي الذام له انه قال واما ان اراد الزجر عن التوغل فيه والافراط والاشتغال بالتشدق فيه عن الكتاب والسنة اواراد نهي البليد

عن الخوض فيه فهذا مسلم صحيح » وما الذي عبنا عليهم ونهيناهم عنه سوى سعيهم في توجيه الصبيان والاحداث الناقصي القرائح الجاهلين بعلوم الشرع والتفقه فيما عليهم من اللوازم بل ومعرفة غالبها الى تعلم ما يشغلهم عما خلقوا لاجله من تعلم دينهم وطاعة ديانهم بل لا يؤمن عليهم فساد اعتقادهم به واي شيء نقموا علينا سوى هذا ؟ فها نحن الى الان لا نزال مقبحين هذا الفعل منهم ومنكرين عليهم ومظهرين عواره ومبدين عاره نصحا لله ولرسوله ولدينه ولعامة المسلمين وخاصتهم فليرضوا او يغضبوا

وما لي من ذنب اليهم علمته ❀ سوى انني قد قلت ياسرحة اسلمي

الايا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ☆ ثلاث تحيات وان لم تكلمي

رجعنا الى كلام الغزالي في الاحياء وشارحه « والثالث الالهيات وهي خمسة انواع علم الواجب وصفته واليه الاشارة بقوله وهو بحث عن ذات الله وصفاته الثاني علم الروحانيات وهي معرفة الجواهر البسيطة العقلية العنانية التي هي الملائكة الثالث العلوم النفسانية وهي معرفة النفوس المتجسدة والارواح السارية في الاجسام الملكية والطبيعية من الفلك المحيط الى مركز الارض الرابع علم السياسات وهي خمسة انواع الاول علم سياسة النبوة الثاني علم سياسة الملك وتحته الفلاحة

والرعاية الثالث علم قود الجيش ومكائد الحرب والبيطرة وءاداب
الملوك الرابع العلم المدني كعلم سياسة العامة وعلم سياسة الخاصة
وهي سياسة المنزل الخامس علم سياسة الذات وهو علم الاخلاق
وهو ايضا داخل في الكلام اي بالنظر الى النوع الاول من
انواعه الخمسة والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط ءاخر من العلم
بل انفردوا بمذاهب بعضها بدعة وبعضها كفر فكما ان
الاعتزال ليس هو علم براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين
واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة
وقد اشبع المصنف في هذا المقام في كتابه المنقذ من الضلال
فقال واما الالاهيات ففيها اكثر اغاليطهم وما قدروا على الوفاء
بها بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر الاختلاف
بينهم فيه ومجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلا
ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت
والرابع الطبيعيات وهو النوع الرابع من علوم الفلسفة
والطبيعي علم يبحث فيه عن احوال سائر الاجسام الطبيعية
وموضوعها الجسم وهو على سبعة انواع علم المبادي وهو معرفة
خمسة اشياء لا ينفك عنها جسم وهي الهيولى والصورة والزمان
والمكان والحكمة الثاني علم السماء والعالم وما فيه الثالث
علم الكون والفساد الرابع علم حوادث الجو الخامس علم المعادن

السادس علم النبات السابع علم الحيوان ويدخل فيه علم الطب
وفروعه وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس
بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء
الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث
يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير
وتتحرك ولكن للطب فضل ومزية وهو انه محتاج اليه لتعلقه
ببدن الانسان واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها قال
المصنف في المنقذ من الضلال اما الطبيعيات فهو بحث عن اجسام
العالم السماوات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالسماء
والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات
والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي
بحث الطبيب عن جسم الانسان واعضائه الرئيسة والخادمة
واسباب استحالة مزاجها ولا ينكر فيه الا علم مسائل مبينة
ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما تجب المخالفة
فيها فعند التاويل يتعين انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان تعلم
ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل مستعملة من
جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بامره
لا تعمل بنفسها بل لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته» قلت وهل

يعد ناصحا لامته من يزجي اولادهم الى تعلم هذه العلوم التي بعضها مخالف للشرع ودين الحق . وبعضها غير محتاج اليه في حق غالب الخلق . ولا يومن عليهم من لحوق الضرر لهم بتعلمه ولا سيما الاحداث منهم والصبيان ، الذين لم يتضلعوا من العرفان بشرع الرحمان . وبعضها قد دخلت فيها علوم مذمومة وبعضها شاغلة عن العلوم اللازم تعلمها كلا لا يعده من النصحاء الا اغبى الاغبياء ، واما المنصف فلا يراه الا غاشا لابناء جنسه ولدينه ونفسه اذ لا يعزب عمن نظر بعين العدل والانصاف ان النهج القويم . والقسطاس المستقيم هو الامر بالاقتصار في العلوم التي هي وسائل وءالات على قدر الحاجة منها والاعراض عما سواه والحث على الاشتغال بالمقصود الاصلي الذي هو الاشتغال بالعلوم النافعة والعبادات القلبية والقالبية وما احسن قول ابن خلدون واوفقه بهذا المقصود « اما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وايضاحا لمعانيها المقصودة واما العلوم التي هي ءالة لغيرها مثل العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي ءالة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي ءالة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك

خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع ان شانها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يعني وهذا كما فعل المتاخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثروا من التفاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها ءالة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضا مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة اكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية ان لا يستبحروا في شانها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فمن نزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليرق له ما شاء من المراقي صعبا او سهلا وكل ميسر لما خلق له » فاذا كان هذا في حق العلوم التي هي ءالة ووسيلة الى علوم الدين فما ظنك بالاشتغال بالعلوم المضادة لها او الشاغلة عنها والضارة لمتعاطيها وقد قسم ابن المرتضى اليماني في كتابه ايثار الحق على الخلق الامور الى

قسمين فقال « اقسم الامور اولا الى قسمين قسم لا يحتاج الى معرفته في الدين الذي تسئل عنه في الاخرة كعلم الفلك ودقائقه وعلم الطبائع وعلم الطب وعلم الفراسة الدالة على الاخلاق الباطنة وعلم النجوم وعلم السحر وعلم الطلسمات وعلم السيميا وعلم الكيميا وعلم الرياضة وعلم الفلاحة وعلم الهندسة وعلم المرايا المحرقة وعلم المساحة وعلم الهيئة وعلم الارصاد وعلم الحساب وعلم الشعر وعلم العروض وعلم تجويد الكتابة وقوانينها وعلم اللطيف وعلم الزيجات من الفلك والتقاويم الى سائر ما ذكر من علوم الاذكياء واهل الرياضات وقد صنفت كتب في ذكر اعداد العلوم واسمائها فبلغت مبلغا كثير او من احسن من صنف في ذلك الشيخ محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري فانه صنف في ذلك كتابا مفيدا سماه ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد وذكر من هذه الفنون التي لم يرد الشرع بوجوب معرفتها ولا ندب اليها قدر اربعين فنا او تزيد من هذه العلوم وانما اشرت اليها ونبهتك عليها لتعرف سهولة ما بقي عليك بعد تركها وتيقن صدق قول الله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وتحمد الحميد تعالى على ذلك وانفعها علم الطب وعلم اللطيف اما علم الطب فنفعه بين لكن التوكل افضل منه بالنص المتفق على صحته ولا بأس بتعلم الجلي من الطب واما علم اللطيف

فهو اساس علم الكلام وتحقيق بعض فوائده يكشف عوار كثير من البدع كما تاتي اليه الاشارة والقسم الثاني من العلم ما يحتاج اليه في الدين وهو العلم النافع الذي هو اصل النجاة والسعادة والداعي الى اسباب الخير والصارف عن اسباب الشر كعلم القرءان والحديث والاجماع وفروع الشريعة وعلم الزهد الخ » وفي شرح الاحياء « قال ابن السبكي علوم الشرع في الحقيقة ثلاثة الفقه واليه الاشارة في حديث ابن مسعود وابن عمر بالاسلام واصول الدين واليه الاشارة بالايمان والتصوف واليه الاشارة بالاحسان وما عدا هذه العلوم اما راجع اليه واما خارج عن الشريعة فان قلت علماء الشرع اصحاب التفسير والحديث والفقه فمالك اهملت التفسير والحديث وذكرت بدلهما الاصول والتصوف وقد نص الفقهاء على خروج المتكلم من سمة العلماء قلت اما خروج المتكلم من اسم العلماء فقد انكره الشيخ الامام والدي في شرح المنهاج وقال الصواب دخوله اذا كان متكلما على قوانين الشريعة ودخول الصوفي اذا كان كذلك وهذا هو الراي السديد عندنا واما انا لم نعد اصحاب التفسير والحديث فما ذلك اخراج لهم معاذ الله بل نقول التفسير والحديث من اصول الدين وفروعه فهما داخلان في العلمين » ولعل مراده بالراجع الى الشرع مما عدا العلوم الثلاثة مقدماتها كالنحو واللغة ومتمماتها

كعلم القراءات والتجويد واصول الفقه ومصطلح الحديث فان الغزالي قد قسم العلوم الشرعية الى اصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وءاثار الصحابة والفروع ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبه لادراكها العقول المضيئة الراجحة فاتسع بسببها الفهم والمقدمات ما يجري مجرى الآلات لها كعلم اللغة والنحو قال « وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت الشريعة بلغة العرب والمتممات مثل علم القراءات ومخارج الحروف واسباب النزول والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والنص والظاهر ونحوها ومثل علم رجال الاسناد واحوالهم فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة » افلا يستبصرون بتلك الاخبار الصحيحة فيعترفوا بالحق ؟ وهلا يدكرون بهذه الاثار الصريحة فيرعووا عن تغرير الخلق ويتوبوا الى الله قبل نشوب الروح في الحلق .

فحتام لا تصحو وقد قرب المدى

وحتام لا ينجاب عن قلبك السكر

بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطى

وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

الفصل الثاني والخمسون

واما قوله (اذ ليس لعلومنا اليوم من الاثر في مزاحمة الامم الا جزء يسير لا يوبه له ولو كان لها اثر فعال لما كنا في مؤخر الامم) فمع ما فيه من التصريح بالتنقيص الشنيع لعلوم جميع اهل التوحيد وشانهم . عربيهم وعجميهم . مشرقيهم ومغربيهم . تركيهم ومصريهم . يدل ايضا على انه من فرط غباوته واستحكام جهله يرى ان ما اصاب المسلمين من تغير الحال . والتاخر عما كانوا عليه من العز والاقبال . لم يصبهم الا من قصورهم في العلوم العقلية والفلسفية . وفقد المهارة في المعارف الصناعية . وهو اعتقاد فاسد ناشء عن فكر جامد بل ما اصابهم ذلك الا عقوبة من الله سبحانه لهم على انحرافهم عن دينهم القويم . وعدولهم عن الصراط المستقيم . بتعدي حدود ربهم . والاستخفاف باوامر المنعم عليهم . ومصداق هذا قوله عز وعلا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » وقوله تبارك وتعالى « ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » قال صاحب روح البيان في تفسير الاية الاولى « ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم حتى يتركوا الشكر وينقلبوا من الاحوال الجميلة الى

القبيحة وفي الاية تنبيه لجميع الناس ليعرفوا نعمة الله عليهم
ويشكروا له كي لا تزول » وقال الالوسي في تفسير الاية
الثانية « ذلك اشارة الى ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل
بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما
يقتضيه وهو مبتدا خبره قوله سبحانه بان الله والباء للسببية
اي ذلك كائن بسبب ان الله سبحانه لم يك مغيرا نعمة انعمها
اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث
يغير نعمة اي نعمة كانت جلت او هانت انعم بها على قوم من
الاقوام حتى يغيروا ما بانفسهم اي ذواتهم من الاعمال والاحوال
التي كانوا عليها وقت ملابستهم للنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء
كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة اواهون من الحالة الحادثة »
وفي الدر المنثور « اخرج ابن ابي حاتم عن ابراهيم قال اوحى
الله الى نبيء من انبياء بني اسرائيل ان قل لقومك انه ليس من اهل
قرية ولا اهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون الى معصية
الله الا تحول الله مما يحبون الى ما يكرهون ثم قال ان تصديق
ذلك في كتاب الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم واخرج ابو الشيخ عن الحسن قال ان الحجاج عقوبة
فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف ولكن استقبلوها بتوبة وتضرع
واستكانة واخرج ابو الشيخ عن مالك بن دينار قال كلما

احدثتم ذنبا احدث الله لكم من سلطانكم عقوبة » وقال الالوسي
« اخرج ابن ابي شيبة وابو الشيخ وابن مردويه عن علي
مرفوعا يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي
ما من اهل قرية ولا اهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما
كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها الى ما احببت من طاعتي
الا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي الى ما يحبون من رحمتي
وما من اهل قرية ولا اهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما
احببت من طاعتي ثم تحولوا عنها الى ما كرهت من معصيتي
الا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي الى ما يكرهون من عذابي
وقد روى الواقدي وغيره ان ابا بكر رضي الله عنه قال في وصيته
ليزيد بن ابي سفيان رحمه الله حين وجهه الى الشام اميرا على
الجند استعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا افلح قوم
ظلموا ولا نصروا على عدوهم » وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد
« كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص
ومن معه من الاجناد اما بعد فاني امرك ومن معك من الاجناد
بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله افضل العدة على العدو
واقوى المكيدة في الحرب وامرك ومن معك ان تكونوا
اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش
اخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم

لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا » وقال بعض معاصرينا « ان المسلمين الآن في تاخر زائد وكثيرا منهم وقعوا في مخالب الاجانب لانحرافهم عن الشرع الشريف وشقاقهم وتفرقهم ولقد كانوا في قوة هائلة وحضارة زاهرة لحد القرن السادس ثم باستمرار تفرقهم وانشقاقهم وقتال بعضهم بعضا سلط الله عليهم الامة التترية من المشرق والافرنجية من الغرب الخ » وقال ايضا « ان السبب الوحيد لانحطاط قدر المسلمين هو شيء واحد وان كان له فروع وذلك هو الانحراف عن الشرع الشريف الحاصل من الامم وقد قال الله تعالى «ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وليست نفس الاصابة من الانسان وانما اسبابها اعمال الانسان كما قال تعالى « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » وقال تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » فلو نظرنا بعين البصيرة لوجدنا الحالة في الشعوب اصعب مما يتصوره الانسان فيايها العلماء والعظماء ان اعوجاج الامم عن الشرع الشريف قد بلغ الى اسوء حال افلا تسعون في اعتداله ولو بازالة جزء منه بقدر

ما في الامكان فكل راع مسؤل عن رعيته وقد كثر الفساد وزادت البدع مع ما هو جار من العوائد القبيحة المخالفة للشرع التي كانت في الامم قبل اسلامهم مثل الندب والوشم وامثالهما ولكن في الاعصار الماضية كان العلماء والامراء يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويقيمون عليهم الحدود فكان الله حافظهم في بلادهم من تسلط غيرهم عليهم لان الله لا يحب الجهر بالسوء وربما يستغرب البعض من ضربنا الامثال بالندب والوشم وهما من عادات العامة التي يظنون انها جائزة مع انه ورد في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه لعن الله الواشمات والمتوشمات فهو منهي عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية فلو استقامت الامم ما اصابها هذه المصائب وما جاءت الا من ارتكاب المحرمات انتقاما من الله » واقول ومن الحق الجلي انهم لو اعتصموا بالكتاب والسنة واقتفوا اثر صالحي الايمة لسعدوا في الدارين ونصرهم الله على العدوين كما قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وقال عز وجل «وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا »

وقال سبحانه « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » وفي الدر المنثور وتفسير ابن كثير من تخريج عبد بن حميد وابن ابي حاتم والربيع بن انس عن ابي العالية قال كان النبيء صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده والى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يومرون بالقتال حتى امروا بعد بالهجرة الى المدينة فقدموها فامرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فغيروا بذلك ما شاء الله ثم ان رجلا من اصحابه قال يا رسول الله ابدا الدهر نحن خائفون هكذا اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تصيروا الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليست فيهم حديدة فانزل الله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى اخر الاية فاظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله قبض نبيه فكانوا كذلك امنين في امارة ابي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا وكفروا النعمة فادخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم واتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير ما بهم »

الفصل الثالث والخمسون

ومن هفواته التي لا تقال. وسقطاته المسجلة عليه بالضلال قوله (على ان الامم المتغلبة علينا لم تملك ناصيتنا بعلوم دينها بل باتقان دنياها) فان على تستعمل في مثل هذا التركيب لافادة الاستدراك والاضراب عما قبلها كما في المغني وغيره فهي هنا لابطال ما يوهمه قوله (لست اريد بالعلم علم اللسان والعقائد فقط اللذين اقتصر عليهما المسلمون بل كافة العلوم العقلية الخ) من مساواة العلمين لكافة العلوم العقلية من كل وجه فان جمعهما في الارادة يوهم هذه المساواة او لابطال ما يوهمه قوله اذ ليس لعلومنا اليوم من الاثر في مزاحمة الامم الا جزء يسير لا يؤبه له من ان لعلومنا ادنى نفع فان اثبات الجزء اليسير له يوهم ذلك فمعنى استدراكه على الاول لكن الامم المتغلبة انما نالت ملك ناصيتنا بالتمهر في المعارف الدنيوية لا بعلومها الدينية فيحق علينا ان نشتغل بما نالوا به ملك ناصيتنا اذ به نقاومهم ونرد غاراتهم ونحيي الحياة الطيبة وهي المعارف الدنيوية لا العلوم الدينية فان الحاجة اليوم غير ماسة اليها فسحقا لمن يوثر الحياة الدنيا على الاخرى ومعناه على الثاني بل الامم المتغلبة انما نالت ملك ناصيتنا باتقان دنياها لا بعلوم دينها فلا ينفعنا في مغالبتها

الا مماثلتها فيما نالت به ملكنا من اتقان الدنيا دون الدين
وايا ما كان فهذا منه تفضيل المعارف الدنيوية على العلوم
الدينية وترجيح للاشتغال بها وتقديمها عليها لزعمه انها التي
تنال بها الحياة الطيبة ويتخلص بها من ربقة العبودية وتنال بها
المساواة للامم المتغلبة بخلاف العلوم الدينية فانها لا ينال بها شيء
من ذلك وهذا عكس المعقول والمنقول وخلاف ما اطبق عليه
علماء السلف والخلف من مدح علوم الشرع والامر بتعلمها .
والترغيب في اقتنائها . والتنويه بشان المشتغل بها . والنهي عن
الاشتغال بما يضادها من العلوم او يشغل عنها . ولا اظن ان
احدا من علماء الاسلام يرتاب في ان العلم المحمود الذي ورد في
القرءان والسنة وآثار الايمة مدحه وفضله . والتنويه به
وبمتعلمه ومعلمه . هو العلم النافع وهو علم الدين بانواعه واجلها
واسبقها علم العقائد التي لا يخرج المرء من الشرك الا بمعرفتها
واعتقادها ثم علم احكام الله العملية التي لا يخلص من النفاق
الا بامتثالها ثم العلوم التي تجري مجرى الآلة لهذين العلمين
على قدر تفاوتها في الاحتياج اليها فيهما كما اني لا ارى عاقلا
يستحسن الاشتغال بالضار او ما لا منفعة فيه عن النافع او يامر
بتقديم ما فيه ادنى منفعة على ما يؤدي الى اجل المنافع واعلاها
ومن ذا الذي لا يرى ان الواجب الذي يناط النعيم الابدي

بفعله ويتعلق الوعيد السرمدي بتركه اجل و اعلى منفعة من
المندوب فضلا عن المباح والمحظور الا من لم يجعل الله له نورا ؟
ولا شك ان العلوم العقلية التي طال ما حض عليها ونوه بها
ورغب في تعلمها وزعم ان الحياة الطيبة تنشأ عنها وعاب على من
يزهد فيها ويامر بتقديم علوم الشرع عليها وينهى عن توجيه
الصبيان والجاهلين بالشريعة اليها ليس شيء منها بواجب قطعا
بل كلها في حق الجاهلين بما يجب عليهم من الدين محظورة اجماعا
واما في حق غيرهم فبعضها محرم كعلوم الفلسفة فانه لا يجوز
الاشتغال بها لما فيها من الخطر والمعاطب التي اهلكت كثيرا من
الناظرين فيها كما تقدم اللهم الا في حق افراد رسخت قدمهم
في الشريعة المطهرة وامتلات قلوبهم بانوار الحجج الاسلامية
قال ابن خلدون « فليكن الناظر في علوم الفلسفة متحرزا
جهده من معاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من
الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكبن احد عليها
وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها » وبعضها
مباحة كعلم التاريخ والاشعار والحرف على ما صرح به الغزالي
والزبيدي في قولهما « واما المباح منه فالعلم بالاشعار جاهلية
واسلاما التي لا سخف فيها وعلم تواريخ الاخبار جاهلية
واسلاما وما يجري مجراه مما لا ضرر في معرفته » فالاشتغال بها

عن العلم المندوب الذي هو التعمق في علوم الدين من التفسير والفقه ايثار المنفعة الخسيسة على الجليلة وهذا لا يقدم عليه ولا يامر به الا غر عدو لنفسه وغاش لغيره . على ان العلوم الشرعية نفسها يومر فيها بتقديم الاهم منها فالاهم والاشتغال بالافضل منها فالافضل كما دل على ذلك شاهد العقل ودلائل النقل .

اما شاهد العقل فهو اتفاق العقلاء بل والصبيان المميزين على ايثار الافضل على الفاضل واختيار الفاضل على المفضول وايضا فقد ثبت عقلا ان التقدم بالشرف احدى مراتب التقدم فتقديم المفضول على الفاضل اوتقديمه على الافضل ترجيح للمرجوح والغاء للمرجح وهو رفض للدليل وجور عن قصد السبيل

واما دلائل النقل فكثيرة جدا منها حديث جابر بن زيد رضي الله عنه بلاغا عند الربيع رحمه الله « قال حدثني ابو عبيدة عن جابر بن زيد رضي الله عنهما قال بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علموا اولادكم القرءان فانه اول ما ينبغي ان يتعلم من علم الله هو » والمراد بعلم الله كتابه وشرائعه

ومنها « ما روي ان رجلا جاء الى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني من غرائب العلم فقال له وما صنعت في راس العلم حتى تسئل عن غرائبه فقال له وما راس العلم قال له

صلى الله عليه وسلم هل عرفت الله سبحانه قال نعم قال له فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال صلى الله عليه وسلم فما اعددت له قال ما شاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » ذكره في القناطر والاحياء قال شارحه « قال العراقي رواه ابو بكر بن السني وابو نعيم كل واحد منهما في كتابه رياضة المتعلمين وابن عبد البر في بيان العلم من رواية خالد بن ابي كريمة عن عبد الله ابن المسور الخ »

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الربيع رحمه الله وغيره في ترتيب الامة « قال حدثني ابو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فاقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فاكبرهم سنا » فتقديم الاقرء لكتاب الله على العالم بالسنة دليل على تقديم تعلم كتاب الله على غيره .

ومنها حديث البخاري « عن جابر بن عبد الله قال كان النبيء صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد ثم

يقول ايهما اكثر اخذا للقرءان فاذا اشير الى احدهما قدمه في اللحد

ومنها حديث وفد عبد القيس عند البخاري وغيره «عن ابن عباس قال ان وفد عبد القيس اتوا النبيء صلى الله عليه وسلم فقال من الوفد او من القوم قالوا ربيعة قال مرحبا بالقوم او بالوفد غير خزايا ولا ندامى قالوا انا ناتيك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ولا نستطيع ان ناتيك الا في شهر حرام فمرنا بامر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة فامرهم باربع ونهاهم عن اربع امرهم بالايمان بالله وحده قال اتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت قال شعبة وربما قال النقير وربما قال المقير قال احفظوه واخبروا به من وراءكم» فقد اقتصر صلى الله عليه وسلم على تعليمهم ما يحتاجون اليه مما يهمهم ولم يذكر لهم غير الاهم

ومنها حديث سؤال جبريل النبيء عليه السلام عن الايمان والاسلام والاحسان واشراط الساعة فقدم في سؤاله الاهم فالاهم

ومنها قول الحسن البصري في ذم الحاذقين بامور الدنيا مع

الجهل بالدين كان احدهم ليبالغ من حذقه بامر دنياه انه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن ان يصلي

ومنها قول الشيخ اسماعيل رحمه الله في المتعلم «ولا يتشاغل بطلب ما يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك ما لا يسع جهله فان لكل علم فضولا مشغلة ان صرف اليها نفسه قطعته عما هو اهم منها الخ»

ومنها قوله في شرح النونية «والعلم النافع هو الذي ينبغي للعبد ان يوثره على ما سواه وهو على وجهين احدهما ما ازداد به العبد حبا لله وطاعته واخلص به ايمانه واشتد به يقينه والوجه الاخر ما عمل به من طاعة الله وتقرب به اليه او ترك معاصي الله خوفا من عقابه وما سوى هذا فلينزله العبد من جهله فانه فتنة لكل مفتون ومشغلة عن التزود للمعاد

ومنها قول الماوردي في كتاب ادب الدنيا والدين «واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها واولى العلوم وافضلها علم الدين لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون اذ لا يصح اداء عبادة جهل فاعلها صفات ادائها ولم يعلم شروط اجزاءها»

ومنها قول الراغب في محاضرة الادباء «قال الماضون العلم

لا يدرك غوره ولا يسبر قعره فابدؤا بالاهم فالاهم بالفرض قبل النفل ان الاهم المقدم »

ومنها قول الغزالي في الاحياء وشارحه « ومن العلامات المميزة بين علماء الدنيا والاخرة ان تكون عنايته وهمته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ولا يحتاج اليها في اكثر الحالات وهي العلوم التي يكثر فيها الجدال والخصومات والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل عنها بالجدال وعلم القيل والقال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته بسفره او غيره فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب ونوادره التي لا يحتاج اليها وترك مهمه الذي هو مقصود له ومؤاخذ به لدفع علله وذلك محض السفه وعين الحماقة ثم ساق حديث الرجل السائل عن غرائب العلم وقد تقدم »

ومنها قولهما ايضا « فكن احد رجلين اما رجل مشغول بنفسك في اصلاحها واما رجل متفرغ الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة

من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وكذا تعلم الحج ان وجب عليك وانما الاهم الذي اهمله الكل واعرضوا عنه علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات فان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفاية وراع التدريج فيها والترتيب وقدم الاهم فالاهم بحسب الاقتضاء فابتدا بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اشتغل بالفروع ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر الخ »

ومنها قولهما ايضا « وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او فضلان اي نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فهو مغرور »

ومنها قول السبكي « ينبغي لذي الصناعة ان يقوم قلبه ودينه قبل ان يقوم الفاظه فاللحن في اللفظ ولا اللحن في الدين »

الفصل الرابع والخمسون

قد اتضح بالمعقول والمنقول لمبتغي الدليل من ذوي العقول ان الواجب اولا على كل مكلف تعلم ما يعم وجوبه كل احد من الايمان وشرائع الاسلام وهو ما لابد للانسان من معرفته ليقوم بواجب الدين ثم المبادرة ثانيا الى تعلم ما يتوقع وقوعه على الاقرب غالبا ثم الاشتغال بتعلم المندوب بعد ذلك استحبابا وان الصراط السوي في تاديب الصبي ان يعلم القرءان اولا والآداب الدينية والكمالات التنزيهية كلكمة الشهادة واحاديث الاخيار وحكايات الابرار وشرف النبيء المختار صلى الله عليه وسلم فيمتلا قلبه من تعظيم القرءان واجلال الرب سبحانه واحترام دينه ومحبة نبيه وحب اوليائه ويكون ذلك هو السابق الى قلبه واول مبذور في ذهنه فيتمكن فيه فضل تمكن ويرسخ فيه اتم رسوخ لفراغه من غيره كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوا ★ فصادف قلبا فارغا فتمكنا

واذا راهق علم حدود الشرع التي تتوجه اليه عند البلوغ تدريجا على قدر فهمه من التوحيد والطهارة والصلاة ونحوها ليلا تمر عليه حالة بعد بلوغه جاهلا فيها بما وجب عليه ويلقن الحق عند بلوغه ويصان عن ايراد الشبه والغوامض لضعفه فانه

لو حرك عليه شيء من الشبه فربما تعلقت الشبهة بقلبه لخلوه ويعسر عليه حلها والجواب عنها فيهلك ويشقى وفي المنتخب من تخريج ابن مردوية والبيهقي « عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم من قرا القرءان قبل ان يحتلم فقد اوتي الحكم صبيا وفي الدر المنثور من تخريج عبد الرزاق وابن ابي شيبة وابن السني « انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب وفي رواية من بني هاشم علمه سبع مرات الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا » وعلى هذا المنهج الذي ذكرنا في تاديب الصبيان جرى عمل اهل الاسلام في غالب امصارهم وصرح بحسنه وبالامر به علماؤهم في دفاترهم وفي ديوان الاشياخ رحمهم الله « ان من حق الولد على الوالد ان يرده في الكتاب حتى يتعلم ما يصلي به ويستخرج قراءة اسمه ويعلمه ما لا يسع جهله والصلاة ومعانيها وشرائع الاسلام كلها قبل البلوغ الخ » وقال في الايضاح « وفي الاثر وحق الولد على والده ان يحسن ادبه وتربيته وتعليمه القرءان والحساب والصلاة والفرائض وكل ما يحتاج اليه العبد الخ » وفي المنهاج « قال ابو سعيد رحمه الله وعلى الرجل ان يعلم اولاده الصغار وما ملكت يمينه الصلاة والطهارات ولو لم يسئلوه عن ذلك اذا علمهم بالحالة في ذلك » وقال السبكي « ومن حق معلم الصغار ان لا يعلمهم

شيئا قبل القرءان ثم بعده حديث النبي صلى الله عليه وسلم » وقال
ابن خلدون « اعلم ان تعليم الولدان للقرءان شعار من شعار
الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق
فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من ءايات القرءان
وبعض متون الاحاديث وصار القرءان اصل التعليم الذي ينبني
عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغار
اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس
للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبنى
عليه ثم ذكر ان طرقهم في تعليمه لهم مختلفة وان اهل الاندلس
يخلطون معه في التعليم رواية الشعر في الغالب والترسل
وقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص
عنايتهم في التعليم بالقرءان دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط اكثر
من جميعها وان اهل افريقية يخلطون في تعليمهم للولدان القرءان
بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها
الا ان عنايتهم بالقرءان واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على
اختلاف روايته وقراءته اكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبعا
لذلك وان اهل المغرب يقتصرون في تعليمهم على القرءان ولا
يخلطونه بسواه من حديث او فقه او شعر او عربية في شيء
من مجالس تعليمهم الا ما ياخذونهم به اثناء المدارسة من الرسم

ومسائله واختلاف حملة القرءان فيه ولذلك كانوا اقوم على رسم
القرءان وحفظه من سواهم ثم ذكر ان ابن العربي اختار تقديم تعليم
العربية والشعر على سائر العلوم ثم الحساب ثم القرءان ثم قال
والعوائد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال ووجه ما اختصت
به العوائد من تقدم القرءان ايثار التبرك والثواب وخشية ما
يعرض للولد من جنون الصبا من الافات والقواطع عن العلم
فيفوته القرءان لانه ما دام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ
وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فالقته
بساحل البطالة فيفتتنون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل
القرءان لئلا يذهب خلوا منه » قلت بل السنة ايضا لا تساعد
تقديم غير القرءان عليه كما تقدم في حديث الربيع رحمه الله وفي
الضياء « روي ان رجلا جاء الى النبيء صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله علمني العلم قال اذهب فتعلم القرءان ثم عاد اليه فقال
له مثل ذلك ثم عاد اليه في الرابعة فقال له اقبل الحق ممن جاءك
به اجنبيا كان او قريبا ورد الباطل على من جاءك به حبيبا كان
او بغيضا وتعلم القرءان ومل معه حيث مال » وقال ابن الحاج
في المدخل « وينبغي لمعلم الصبيان ان يمتثل السنة في القراءة
ومن جملة ذلك ان السلف الماضين انما كانوا يقرؤن اولادهم
في سبع سنين لانه زمن يومر الولي ان يكلف الصبي بالصلاة

والاداب الشرعية فيه وينبغي له ان يعلمهم ءاداب الدين كما يعلمهم القرءان فمن ذلك انه اذا سمع الاذان امرهم ان يتركوا كل ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة في حكاية الموذن والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما في هذا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا وكذلك الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذ لهم في ذلك قليلا قليلا ولو مسئلة واحدة في كل يوم او يومين الخ » قلت وما ذكره من قطع قراءة القرءان لاتباع الموذن احد اقوال ثلاثة في المسئلة ثانيها لا يقطعها لان قراءة القرءان افضل من كل ذكر وثالثها يقطعها في غير المسجد لافيه وقال ابن ابي زيد في خطبة الرسالة « واعلم ان خير القلوب اوعاها للخير وارجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه واولى ما عني به الناصحون ورغب في اجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب اولاد المومنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم ان تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روي ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفيء غضب الله وان تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر وقال شارحها فان القلب اذا لم يسبق الشر اليه قبل ما يرد عليه من الخير احسن قبول واذا سبق اليه اعتقاد الشر عظمت

الحيلة في ازالته كالانية الجديدة يجعل فيها القطران فلا تزول منها رائحته الا بعد تعب ومشقة » وقال ابو الحسن الشاذلي في شرحه عليها « ومعنى كلامه ان احق ما توجهت اليه العناية واستعملت فيه النصيحة والتمس فيه الثواب تبليغ الخير الى قلوب اولاد المومنين وارشادهم الى فهم قواعد الدين واحكام الشريعة لانه بذلك يثبت الدين في قلوبهم وتنقاد اليه طباعهم وينطاعون للعمل بذلك لانهم ءالات منفعلة وطينة رطبة تقبل ما ينطبع فيها من الصور وكالبهيمة التي تراض للتعليم ليتاتى منها المراد واذا لم تتعلم كانت جموحا شموسا لا تنقاد ولا تنطاع » وبالجملة ان كل من عاب هذا المسلك المحمود . وطعن فيمن يامر به ويحض عليه فقد ضل عن المقصود . الذي هو الفوز برضى المعبود . عز وجل في اليوم المشهود . كما ان من سلك بالصبيان والاحداث الجاهلين بما يلزمهم من علوم الدين خلاف هذا النهج القويم فقد اضلهم عن الرشد . وتنكب بهم عن سبيل القصد .

الفصل الخامس والخمسون

واما قوله (واذا لم ننتبه من سكرة الجمود لمجاراتها ونفق ونعمل عملا مزدوجا فليس لنا ماجا بعد اليوم لغير الاضمحلال

والموت) فكلام من لم تشرق على قلبه اشعة النور، فلم يعرف حقيقة الامور .فان الجمود في الحقيقة انما هو جمود من يصف الجاهل بخالقه بل المنكر لصانعه ورازقه الغافل عما خلق لاجله وعن الاستعداد لما تحسن به حاله في مئاله بكمال العقل والرقي في العلوم والمدنية والسياسة وجودة الفكر وحصافة الراي وثقابة الفهم لعلمه ظاهر الحياة الدنيا وحذقه في حرفها وحيلها ويرى ان مجاراته في ذلك من اسنى المطالب واعلى المقاصد . ومشابهته في اعماله موجب للحياة الطيبة . والفوز بالشرف والسعادة ، واي جمود اعظم من جمود من لم يتامل في قوله تعالى « ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » كيف نزل سبحانه العلم بظاهر الحياة الدنيا لحقارة منفعته منزلة الجهل فنفى عن عالمه العلم على وجه العموم لحذف المفعول ان قدر عاما كما ذهب اليه بعضهم او نزل منزلة اللازم على ما اختاره البعض الاخر وقد قدره بعضهم بما يناسب ما قبله كصحة وعده سبحانه قال الالوسي « ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه تعالى لا يخلف وعده لجهلهم بشؤنه عز وجل وعدم تفكرهم فيما يجب له جل شانه وما يستحيل عليه سبحانه اولا يعلمون ما سبق من شؤنه جل وعلا وقيل لا يعلمون شيئا اوليسوا من اولي العلم حتى يعلموا ذلك » وفي الكشاف

« يعلمون بدل من قوله لايعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة » وقال في البحر عند تفسير الاية « نفى عنهم العلم النافع للاخرة وقد اثبت لهم العلم باحوال الدنيا قيل والمعنى لا يعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لا يخلفه وان ما يورده بعينه صلى الله عليه وسلم حق يعلمون ظاهرا اي بينا اي ما ادته اليهم حواسهم فكان علومهم انما هي علوم البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه ما فيه الظهور والعلو في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال والفلاحات ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا اي يعلمون امور الدنيا التي لابقاء لها ولا عاقبة » وقال صاحب روح البيان « ولا فرق بين عدم العلم وبين العلم المقصور على الدنيا وفي التيسير قوله لا يعلمون نفي للعلم بامور الدين وقوله يعلمون اثبات للعلم بامور الدنيا فلا تناقض لان الاول نفي الانتفاع بالعلم بما ينبغي والثاني صرف العلم الى ما لا

ينبغي ومن العلم القاصر ان يهيأ الانسان امور شتائه في صيفه
وامور صيفه في شتائه وهو لا يتيقن بوصوله الى ذلك الوقت
ويقصر في الدنيا في اصلاح امور معاده ولا بد له منها اه كلام
صاحب روح البيان » ولولا ان هذا الجامد قد استولت على
فكره غمرة السمود . فهو يعمه في سكرة الجمود . لما اعتقد فيمن
لم يعقل عن الله امره ونهيه . تمام العقل وكماله وحث على
مجاراته ، وازدواجه في عمله . مع ما تقدم من الاية الكريمة
وما روي عن النبيء صلى الله عليه وسلم من قوله « يايها الناس
اعقلوا عن ربكم وتواصلوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم
عنه واعلموا انه مجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله
وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وان
الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف
المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند
الله تعالى ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم
من الخاسرين » ذكره الغزالي في الاحياء وقوله صلى الله عليه
وسلم « ابن ءادم اطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه تسمى جاهلا »
وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل
يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا
استقام دينه حتى يكمل عقله » وقوله صلى الله عليه وسلم

« لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته
اما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير » وقوله صلى الله عليه وسلم « جد الملائكة واجتهدوا
في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني ءادم على
قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل اوفرهم عقلا » وقوله صلى
الله عليه وسلم « من اوتي العقل فقد اوتي خيرا كثيرا ذكره
الشيخ اسماعيل رحمه الله في القناطر ثم اردفه بقوله وانما
العاقل من عقل عن الله تعالى امره ونهيه ومن لم يكن كذلك
فليس بعاقل حتى قال بعض العلماء فيمن اوصى بثلث ماله لا عقل
الناس ان يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل »
وقوله صلى الله عليه وسلم « اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم
بطاعته فلا يعجبنكم اسلام رجل حتى تعلموا عقله » وقوله صلى
الله عليه وسلم « لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا
فقال بابي انت وامي كيف لي بذلك فقال عليه الصلاة والسلام
اجتنب محارم الله تعالى واد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا وتنفل
بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل
من ربك بها القرب والعز » وفي القناطر « عن سعيد بن المسيب
ان عمر وابي بن كعب وابي هريرة دخلوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال عليه

السلام العاقل فقالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه الصلاة والسلام ان كل ذلك لها متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وانما العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا

فهذه الاحاديث ونحوها منادية على الامم التي يرغب في مجاراتها ويحث على تعلم سياستها وحيلها ونفاقها وحرفها بسخافة العقل وكمال الجهل كما تنادي عليه وعلى اشياعه باستحكام جهلهم المركب وعدولهم عن النهج الاقوم وقوله (فليس لنا ملجأ بعد اليوم لغير الاضمحلال والموت) نظير ما قبله في الجهل بالحقيقة فان الحياة والموت الحقيقين انما هما حياة القلب بانوار الايمان واليقين وعلوم الدين والاخلاق الحميدة .وموته بامراض الجهل والنفاق والشك والصفات الذميمة . فقد قال تعالى « اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » وروي عن ترجمان القرءان ابن عباس رضي الله عنهما تفسير الميت في الاية بالكافر الضال والاحياء بالهداية والنور بالقرءان والظلمات بالكفر والضلالة وفي روح البيان « قال ارباب الحقيقة الموت بهوى النفس والحياة بمحبة الحق وايضا الموت بالنكرة والحياة بالمعرفة وفرق بين

حياة المعرفة وحياة البشرية فاهل العموم حي بحياة البشرية لكنه كالميت في قبر قالبه لا يمكنه الخروج من ظلمات وجوده المجازي واهل الخصوص حي بحياة المعرفة فحياة البشرية تزول لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت بخلاف حياة المعرفة لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وقوله عليه السلام المؤمن حي في الدارين » وفيه عند تفسير قوله تعالى « يايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم « اللام بمعنى الى اي الذي يحييكم وهو انواع منها العلوم الدينية فانها حياة القلب فالجهل موته قال :

لا تعجبن الجهول حلته ❀ فذاك ميت وثوبه كفن

الفصل السادس والخمسون

ومن سفه هذا الغبي وعدوله عن الصراط السوي قوله (اذكروا وانتبهوا وتفطنوا فهذا محشر الامم وهذا مبعث النائمين من الخمود فليس بينكم وبين الحياة الا وثبة واحدة تثبون بها الى الامام ولا تعود ابصاركم منغضة الى ما تحت الاقدام ولا تصغوا الاقوال النائمين المثبطين الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا) فانه لا يخفى على كل سالم الطوية من مرض الجهل والعصبية ، ان ما يامر به من التنبه والتذكر والتفطن لمجارات

الامم الكفرية . في معارفهم الدنيوية وعلومهم الفلسفية وطرقهم النفاقية . وسياساتهم الخداعية . وتوجيه الصبيان والاحداث الجاهلين بالواجبات الدينية . الى تعلم هذه العلوم الدنية ، ثم يزعم ان هذا سير الى الامام . وسبب للسعادة وعلو المقام تنكب عن هدي المصطفى . وعين السير الى ورى ومشية القهقرى المفضية بصاحبها الى التردي في هوة الردى وانما السير الى الامام هو الاشتغال بالعلم الديني النافع والعمل الزكي الرافع واخلاصهما لله سبحانه والورع عن كل مالا يرضاه . فهذا هو دين الله القويم والصراط المستقيم ، الموصل الى جنة النعيم . المنجي من العذاب الاليم قال الله في كتابه الكريم « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما الاية » رواه احمد وغيره ولا شك ان الداعي الى تعلم ما سوى العلوم الشرعية ووسائلها من العلوم العقلية والفلسفية ويثبط عن تعلم العلوم الدينية ويزهد فيها بقوله (ان الحاجة اليوم ماسة الى تعلم المعارف الدنيوية لان بها استولت علينا الامم المتغلبة لا بعلوم دينها حتى يتاكد

علينا الاشتغال بعلوم ديننا) ليس الا شيطان من اولئك الشياطين الداعين الى سبل الردى وتعبيره بالوثبة التي هي حلية المنافق اوفق بحاله كما قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن وقاف والمنافق وثاب » ونظمه ابو نصر رحمه الله بقوله

فذو البر وقاف يراعي المعالما ★ كما النذل وثاب يروم المحارما

ففيصل هذا واضح للمفكر

وقال الغزالي في الاحياء وشارحه « وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي اي حسن السيرة والطريقة بمجانبة اهل البدع في اخر الزمان خير من كثير من العمل » وقال ايضا انتم في زمان خير كم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات » وقد صدق ابن مسعود فمن لم يثبت في هذا الزمان على دينه ووافق الجماهير في ارائهم فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وذكر الوسياني رحمه الله في كتاب الروايات « عن ابي صالح يعلو رحمه الله انه قال طريق ديننا بين قد حفر الى الركبة لا يخرج منها الا مشمر للقفزة وفي رواية السبيل محفور الى الركبة لا يوجد الخروج منها الا بالوثبة » واما قوله (ولا تصغوا الاقوال النائمين المثبطين الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا) فهو نهي عن المعروف وطعن فيمن يامر به لان مراده التلويح الى من

يامر ويحض على تعلم القرءان والسنة وسائر علوم الشريعة .
وينهى عن الاشتغال بغير العلوم النافعة . فانشدكم بالله معشر
المسلمين من النائم المثبط الناس عن الخير الذي يحسب انه يحسن
صنعا ؟ اهو الذي يحض الناس ويرغبهم في تعلم اللوازم ثم
الوسائل والعمل بها اللذين هما اس الفضائل الموجبين لهم في العقبى
الفوز باسنى المطالب واعلى المنازل ؟ ام الذي يزهدهم في ذلك
ويعيبه ويامرهم بتعلم العلوم الدنيوية والفلسفية والحرفية واللغات
الاجنبية اعني غير العربية ويحث على بذل الهمة فيها والتفقه في
نظامها وبعث الصبيان والاحداث الى مدارس تعليمها ثم يحسب
انه في ذلك على هدى ؟ فهو لعمري ممن زين له سوء عمله فرءاه حسنا

تنبيه - ما في كلامه من فساد المعنى واختلال المبنى لا
يخفى الا على امثاله من الاغبياء فانظر الى التناقض الذي بين قوله
فليس لنا ملجا بعد اليوم لغير الاضمحلال والموت وقوله فليس
بينكم وبين الحياة الاوثبة واحدة تثبون بها الى الامام والى
تعدية وثب الى ضمير الوثبة بالباء وتامل في مرجع الاشارة
من قوله فهذا محشر الامم وفي معنى محشرها وفي عود الابصار
المنغضة الى ماتحت الاقدام الى غير ذلك مما لو تتبعناه من اول
مقالته لاوقع في السئامة على ان مقصودنا بيان لحنه المضر في الدين
وبضعفاء المسلمين واما اللحن اللفظي فلسنا متصدين للانتقاد عليه

وانما يعرض لنا التنبيه على بعضه تنبيها على ما عليه الرجل من
كمال الغباوة وجهله بها حتى عد نفسه نابغة زمانه وخطيب امته
في اوانه يوهم العوام انه كامل الفهم متضلع من كل علم وهو عند
السبر خال من الفضل مستحكم الجهل كما قيل في مثله

يتعاطى كل شيء ☆ وهو لا يحسن شيئا
فهو لا يزداد رشدا ☆ انما يزداد غيا

الفصل السابع والخمسون

ومن اقبح لجاجه وافحش اعوجاجه قوله (انتشروا في العالم
مزقوا حجب الغفلة عن ابصاركم حاربوا الجهل بالتعليم ابعثوا اولادكم
الى المدارس والمعاهد العلمية علموهم كل لسان فانهم سينقلبون اليكم
بالنور والعلم والحرية والاختراع) لاشتماله على تعكيس الحق واضلال
الخلق فان امره للمسلمين بالانتشار في العالم للوقوف
على ما استنبطته الامم الجاهلة بفاطرها ومربيها من وجوه
عمارة دنياها . وعجائب حيلها . وءالات صنائعها ومحكم اسلحتها
ليبعثهم على الجد في مساواتها في ذلك والتفوق عليها مخالف لمراد الله
سبحانه في الامر بالسير في ارضه فانه سبحانه انما امر به المكذبين
برسوله لينظروا عاقبة من كان قبلهم من مكذبي الرسل وما حل
من النقمة بهم على تكذيبهم ليتعظوا بحالهم ويخافوا سوء

مثالهم ، فيصدقوا برسولهم ولم يامر به المسلمين لينظروا ماعليه الامم الجاهلة بربها من التبسط في عمارة دنياها . باستنباط فنون عماراتها من المصانع والقناطر والاسلحة والابنية وآلات الصنائع فيتاسوا بهم. ويتعلموا منهم . ويجدوا في مساواتهم فيها والسمو عليهم . فايهامه ان ذلك هو مراد الله سبحانه من الامر بالسير في الارض الوارد في الايات الكريمة غش للمسلمين وتلبيس عليهم . على ان افضل السير هو السير بالقلب والفكر في ملكوت السموات والارض كما قال الغزالي « السفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل

ولم ار في عيوب الناس عيبا ❀ كنقص القادرين على التمام

الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير . لم يستغن فيه عن دليل وخفير . فاقتضى غموض السبيل ، وفقد الخفير والدليل ، وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل . بالنصيب النازل القليل . اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن

الطائفين منتزهات الانفس والملكوت والافاق واليه دعا الله سبحانه بقوله « سنريهم ءاياتنا في الافاق وفي انفسهم » وبقوله تعالى « وفي الارض ءايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون » وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون » وبقوله سبحانه « وكاين من ءاية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ، ولا يضر فيه التزاحم والتوارد . بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه . وتتضاعف ثمراته وفوائده . فغنائمه دائمة غير ممنوعة . وثمراته متزايدة غير مقطوعة ، ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان ، والتطواف في منتزهات هذا البستان . ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة ، فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط وءاداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الاخرة »

الفصل الثامن والخمسون

واما قوله (مزقوا حجب الغفلة عن ابصاركم) فناشىء عن اعتقاد الخطا صوابا والباطل حقا وهو من عكس الحقائق لان الغفلة الحقيقية المضرة المنهي عنها انما هي غفلة المرء عن معرفة ربه وجلاله وسطوته. وعن الاستعداد لمثاله بطاعة ربه وعن عيوب نفسه. وتطهير قلبه من الرذائل، وتحليته بالفضائل. لا الغفلة عن المهارة في عمارة الدنيا والحذق في حيلها وصنائعها وكيفية التمتع بلذاتها. والتوصل لنيلها. فان هذه الغفلة فضيلة لا رذيلة والى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم « اكثر اهل الجنة البله » ذكره في الجامع الصغير من تخريج البزار عن انس قال العزيزي « البله بضم الموحدة جمع ابله وهم الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير الذين غلبت عليهم سلامة الصدر وحسن الظن بالناس لانهم اغفلوا امر دنياهم وجهلوا حذق التصرف فيها فاقبلوا على اخرتهم فشغلوا انفسهم بها فاستحقوا ان يكونوا اهل الجنة فاما الابله الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث والمراد انهم بله في امر دنياهم وهم في امر الاخرة اكياس » وما احسن قول ابن الوردي.

فتغافل عن امور انه ☆ لم يفز بالحمد الا من غفل

وما يظن هذا المسكين انه تمزيق لحجب الغفلة عن الابصار لو توخى الانصاف لتيقن انه سدل لحجبها الكثيفة على البصائر فانه ما ذم الله سبحانه في كتابه ولا الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته الا الغافلين عن ذكر الله وعبادته وعن التفكر في عجائب صنعه والاستدلال بباهر اياته على توحيده وكمال قدرته والتصديق بالاخرة وما فيها من جزيل ثوابه واليم عقابه بالانهماك في الدنيا والشغف بزينتها وقصر النظر على اقتنائها وبذل الهمة في تحصيلها فقد قال تعالى لنبيئه عليه السلام بعد امره بالمداومة على ذكره « ولا تكن من الغافلين » اي عن ذكره وقال جل شانه « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » وقال جلت قدرته « ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة الى قوله واولئك هم الغافلون » وقال جل ثناؤه « فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بئاياتنا وكانوا عنها غافلين » وقال جل وعلا « وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بئاياتنا وكانوا عنها غافلين » وقال عز وجل « اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون » وفي كلام بعضهم لاعقل لمن اغفله عن اخرته ما يجده من لذة دنياه والسعيد يرغبه الله في الاخرة حتى يقول لا شيء غيرها فاذا هضم دنياه

وزهد فيها ءلاخرته لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم
ينقصه من سروره فيها والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول
لا شيء غيرها فيعجل الله له التنغيص في الدنيا التي ءاثر مع الخزي
الذي يلقى بعدها » وقال في الاحياء عند بيان ماهية الدنيا
واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم
ومصدرهم وموردهم « اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة
للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل وقد جمعها الله تعالى في
قوله زين للناس حب الشهوات الاية ولهذه الاعيان مع العبد
علاقتان علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه
اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل
في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل
والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التى
ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه
الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات
والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومئابهم
ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن
بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها
علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة

التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا
بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج
الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده
مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة
ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها الوان
الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج
وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته
والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي
يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما
يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة
لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا
بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه
من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما
يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منه واكثر ما شغل الناس عن
الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس
اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه
لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا
عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة

فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها الى ان قال ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة »

الفصل التاسع والخمسون

واما قوله (حاربوا الجهل بالتعليم) فكلمة حق اراد بها باطلا تلبيسا وتدجيلا لان مراده بالجهل جهل الامور الدنيوية من نحو نحت الحجارة وجز الاوبار ودبغ الجلود وصنع الثياب والفلاحة والحياكة وعمل الاسلحة والالات واستنباط الحيل الصناعية والخداعية وبالتعليم تعليم ما ذكر ونحوه مما يزعم انه كمال ورقي تفردت به الامم الجاهلة بخالقها وملكت به ناصيتنا وغفل عنه المسلمون واقتصروا على علم العقائد واللسان اللذين اورثا لهما التاخر عن الامم في زعمه وهذا مما ينادي عليه باستحكام الجهل فيه واللمم اذ لو كان من ذوي الحجا لتيقن ان مايدعيه كمالا وارتقاء عين النقصان والتسفل في دركات الدنيا وان الاشتغال بذلك اضاعة لانفس الاشياء واعزها الذي هو العمر في اخسها الذي هو الدنيا الصادة عن الاخرى وان الجهل الحقيق بالمحاربة انما هو الجهل المضر بصاحبه وهو جهله بربه وبدينه فانه الذي اوجب الله عليه محاربته بالقرءان والسنة وكلام

صالحي الايمة قال الشيخ اسماعيل رحمه الله في القناطر « وينبغي للانسان بل يجب عليه فرضا ان يتعلم دينه لان بمعرفة دينه والعمل به يستوجب الرضوان من ربه وبجهله يستوجب النيران من خالقه اذ لا تصح عبادة وفاعلها يجهل صفة ادائها ولم يعلم شروط اجزائها ولذلك قال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل » وقد قال ابن القيم نقلا عن مسائل اسحاق ابن منصور « قلت لاحمد بن حنبل قول ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها اي علم اراد قال هو العلم الذي ينتفع به الناس في امر دينهم قلت في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا قال نعم » وقال ايضا « ثبت انه لا شيء اقبح بالانسان من ان يكون غافلا عن الفضائل الدينية والعلوم النافعة والاعمال الصالحة فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع الذين يكدرون الماء ويغلون الاسعار ان عاش عاش غير حميد وان مات مات غير فقيد فقدهم راحة للبلاد والعباد ولا تبكي عليهم السماء ولا تستوحش لهم الغبراء »

الفصل المتمم ستين

واما امره للمسلمين ببعث اولادهم الى مدارس تعليم العلوم العقلية . والمعارف الفلسفية والى معاهد علوم الصنائع الدنيوية

واللغات العجمية . على ما دلت عليه مقالته الشوهاء التي وضعها لاظهار مزايا العلوم الدنيوية والتحريض على تعلمها واقتنائها لاحتياجنا اليها في مغالبة الامم على زعمه دون ما سواها من علوم الدين حتى انه لم يذكر فيها علم الدين الا في موضع واحد لبيان مفضوليته وعدم الحاجة اليه فمشاقة لله ولرسوله ، واتباع لغير سبيل اوليائه . وقطع لطريقه على خلقه . وغش لعبيده . واضلال لعباده . فان اكثر القرءان مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فمن دعا الى غير ما يدعو اليه القرءان . فقد ركب الشطط والعدوان . وقد جاء عن علي من طريق الحارث الاعور « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة قلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم الحديث » وقال ابن ماجة الى عبد الله ابن مسعود « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي محمد الحديث » وفي المشكاة « عن جابر بن عبد الله قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة رواه مسلم وغيره » وفي حديث العرباض بن سارية عند احمد وغيره « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة الحديث » فها نحن لم نزل ولا نزال نحضكم معشر المسلمين . ونامركم نصحا لكم وللدين بالاجتهاد في تعليم اولادكم القرءان وعلوم الاسلام من نحو الفقه والتفسير والحديث وتجتنبوا ما يامركم به هذا الغاش للاسلام والمسلمين . من بعثهم الى مدارس العلوم المذمومة ، ومعاهد العلوم المشغلة عن علوم الدين فوازنوا يا اولي الالباب بين الدعوتين بميزان الهند واعرضوا كلا على عين الشمس وانظروا من المقتفي للقرءان الداعي الى السنة . الناصح للامة ، اهو الآمر لهم بوقاية اولادهم عن النار بتعليمهم ما يجب عليهم وامرهم بطاعة ربهم ونهيهم عن معصية خالقهم؟ ام الداعي لهم الى توجيههم لتعلم العلوم الصناعية والمعارف العقلية واللغات العجمية ؟ ايزعم ذو مسكة من العقل ان الامر بوقاية الاولاد من عذاب النار الوارد في قوله تعالى « يا ايها الذين ءامنوا قوا انفسكم واهليكم نارا » يمتثل بتعليمهم كل لسان وبعثهم الى مدارس الفلسفة ومعاهد علوم

مدنية الامم الجاهلية ؟ ام يعتقد انها المراد من العلم في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وفي قوله « اطلبوا العلم ولو بالصين » الى غير ذلك من الاحاديث الآمرة بطلب العلم المنوهة بشانه وطالبه الا لا يرى ذلك ولا يعتقده الا من اسكره حب الدنيا فلم ير مضرة سوى مضرتها . ولا منفعة غير منفعتها . وما احسن قول من قال

اذا ما دجا الليل البهيم واظلما

بامر فظيع شق اسود ادهما

فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى

واعمى البرايا من الى البدع انتمى

ومن ترك القرءان قد ضل سعيه

وهل يترك القرءان من كان مسلما

الفصل الحادي والستون

واما قوله (فانهم سينقلبون اليكم بالنور والعلم والحرية والاختراع) فتمنيه غار تشبه امانى المحشوشين والسكرى . وطمع نفع من ضار يضاهي اطماع شيوخ القمرى . وانى ينقلبون بغير ما انقلب به هو وشيعته من ظلمة الفلاسفة . وعبودية الهوى

والبدعة . والافكار السيئة . وكيف يستقيم الظل والعود اعوج . او يهتدي من دليله تائه اهوج .

ومن يكن الغراب له دليلا ★ يمر به على جيف الكلاب

والحاصل ان مايمنيهم به مواعد غرور . ناشئة عن فقد الشعور . بحقيقة العلم والكمال والحرية والنور . فهو لفساد مخيلته . واختلال فكرته . يعتقد الامور على غير ما هي عليه . فيرى الوسائل مقاصد والمقاصد وسائل ، بل يعد الفضائل رذائل والرذائل فضائل والمضار منافع والمنافع مضار والنقص كمالا والكمال نقصا واي نور وحرية ينال من تعلم اللغات العجمية . والمدارك الفلسفية . او المعارف الصناعية . والحيل النفاقية . ؟ واي عاقل يرى ذلك علما نافعا وكمالا ؟ لا يرى ذلك ولا يعتقده الا من كان غبيا جاهلا . فان النور انما يدرك بتعلم ماسماه الله نورا وهو القرآن والدين والحكمة لان نور القلب هو القوة التي ينكشف له بها صور المعلومات ودقائقها على ما هي عليه فكما انه لابد في الابصار من امرين سلامة الحاسة وطلوع نحو الشمس فكذلك البصيرة لابد فيها من امرين سلامة حاسة العقل وطلوع نور الوحي والتنزيل والعلم المحمود المطلوب من المرء اقتناءه والاشتغال به ليس الا العلم النافع المؤدي الى نيل رضى الله والنجاة من سخطه لا العلوم الضارة التي ينوه بها ويرغب فيها ويسميها نورا

وعلما والحرية الحقيقة التي هي اقامة الاوامر الالاهية . والاحكام الشرعية . انما تنال بالعلوم الاسلامية . لا بعلومه الفلسفية .

واما الاختراع الذي يمنيهم به فان اراد به معناه الحقيقي الذي هو الانشاء بلا احتذاء فهذا منه كفر صراح لانه بهذا المعنى مختص بالله سبحانه وتعالى وقدرة العبد لا تصلح له وان اراد به التمهر في الصناعات واستنباط الالات فليس ذلك بكمال وقد بين الغزالي الشان في هذا المجال . بيانا شافيا سد به عن ذوي المكابرة والعناد طريق الجدال . واخرسهم عن ان يتفوهوا فيه بمقال . فقال هو في الاحياء وشارحه « الكمال البشري اللائق بالعبد انما هو في العلم والحرية اما العلم فهو المعرفة بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به وما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له في معرفة الله اصلا ولا تترتب عليه فائدة دينية الا بوسائط بعيدة كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ما له فائدة تؤدي الى معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار النبوية فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرءان ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرءان من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق

تزكية النفس تفيد في استعداد النفس وتهيئتها لقبول انوار الهداية الى معرفة الله كما هي فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف وايضا فان شرف كل علم بشرف معلومه واشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفته اشرف المعارف ويليه ما هو تكملة لها هذا حكم كمال العلم واما الحرية فهي الخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا واحزانها والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فاذا رفع اثر الغضب والشهوة عن النفس وعدم العبودية للشهوات والارادة للاسباب الدنيوية من كمال الحرية الذي هو من صفات الملائكة واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وهو القادر المطلق الذي يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره واما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة اذ لا تتناول الا بعض الممكنات ولا تصلح للاختراع وما يحدث من الاشياء عقيب قدرته وارادته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال

والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له بل ينعدم قريبا واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفقهوا قول الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كما لا في النفس يهيئها للقرب من الملا الاعلى والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من

السماء فاختلط به نبات الارض الاية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه اشار ابو الطيب بقوله

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ☆ مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي فانه مقصود لكن لا بالذات » فليتامل العاقل فيما انتصب هذا الجاهل لاظهار مزاياه في زعمه . وجد في دعوة امته لبعث اولادهم الى تعلمه من اللغات العجمية ومعارف الامم الاروبية في الآلات الصناعية والاعمال الدنيوية هل هو مما يدعو اليه الانبياء ومن الباقيات الصالحات التي تبقى ثمرتها لصاحبها بعد الموت والفنا ومن الكمال الذي يهيئه للقرب من الملا الاعلى ؟ ام هو من زهرة الحياة الدنيا التي تشغل عن معرفة المولى . وعمل ما يوجب الفوز في العقبى الا الارتياب منصف في انه مما لا يلتفت اليه الا السفهاء الحمقى . ولا يتهالك عليه الا السكارى بمحبة الدنيا . اعاذنا الله من ذلك ومن كل بلاء واي ثمرة تنال من تعلم لغات العجم سوى التيه

والازدهاء والاحتقار للغته والاستكبار والترفع عن ابناء جلدته ؟ فترى احدهم اذا حصل شيئا منها اولع به في مخاطبته حتى لسنوره او كلبه . وخيل اليه ان الناس كلهم عيال عليه محتاجون اليه وما درى المسكين انه يغنيهم عنه فلس اودانق يواجربه نصراني او يهودي على ان هذا الاحتياج نفسه امر تافه اذ هو مقصور على الدنيا فاني يساوي هذا العلم علم ما يحتاج اليه المرء في كل نفس من انفاسه لانقاذ نفسه به من الضرر الحقيقي الاخروي

الفصل الثاني والستون

ثم ما ذهب اليه هو وشيعته من تعظيم لغات الامم الكفرية ، ومعارفهم في الصناعات والحيل الاستعمارية . والاعمال الغريبة الدنيوية . والسياسات النفاقية . والافكار العقلية الرديئة . وترغيب الامة وحثهم على مساواتهم او مغالبتهم فيها . وبعث الصبيان والاحداث الى مدارس تعليمها . وتفضيلها على العلوم الشرعية وتقديمها عليها . ضلالة تفردوا بها لانا لم نر احدا من اهل التوحيد ساعدهم عليها سلفهم ولا خلفهم اما السلف فيكفي المنصف معشار ما نقلناه عنهم واما الخلف العصريون فيكفيهم قول امامهم العصري وقدوتهم المصري مصطفى المنفلوطي في الجزء الثالث من كتابه المسمى بالنظرات « ان اراد المصلحون لانفسهم

نجاحا وللاسلام صلاحا فليبدءوا عملهم بتهذيب العقائد الدينية وتربية النشء الحديث تربية اسلامية لا تربية مادية اي انهم يدخلون الى الاصلاح من باب الدين لا من باب الفلسفة حتى يجمعوا للمسلمين بين صلاح حالهم ومئالهم ودنياهم واخرتهم وحتى يكون الدين هو الزاجر والمؤدب والمعلم والمهذب والاسلام وان كان دين العقل والفطرة والتهذيب والاصلاح الا ان الخطر كل الخطر على المسلمين ان يكون في نظرهم تابعا للعقل وان يكون العقل هو الحكم بينهم وبينه والخير كل الخير في ان يكون الدين حاكما والعقل مفسرا ومبينا فاذا تم ذلك للمصلحين بالرفق والاناة والحكمة والسياسة فقد تم لهم كل شيء وتم للمسلمين ما يريدونه من الجامعتين الدينية والسياسية كما تم لهم ذلك في العهد الاول من هذا الباب نفسه وفي هذا الطريق المستقيم » وقوله في الجزء الاول « ما دخلت الفلسفة ايا كان نوعها على عمل من اعمال الفطرة الا افسدته »

وهذا اخر ما تيسر لنا في الرد على هذه المقالة الافكية . نصرة لملة الاسلامية . وغيرة على الحضرة النبوية . وادم الصفي على نبيئنا وعليه اسنى السلام وازكى التحية . وتنزيها لساحة اهل النحلة المرضية . عن ان ينسب اليهم مثل هذه السوءى . لا طمعا في انقلاع قائلها وشيعته عن هذه الخزية الشنعا . فانه كالطمع في

غير مطمع . والتصويت في غير مسمع . الا ان يشاء الله مقلب القلوب . وعلام الغيوب »

فلنشرع الان بحول الله وقوته في الرد على مقالة له متقدمة في النشر على تلك المقالة السابقة وانما قدمنا الرد على المتاخرة لزيادة شناعتها الظاهرة فنقول هذه المقالة منشورة ايضا في الصحيفة المسماة بالاتحاد اي بين ذوي الفساد على اضلال العباد . بخزعبلات اهل العناد . معنونة بايضاح حقيقة معلمة بعدد ٤٥ من الصحيفة وهي تنبؤ كل من تصفحها منصفا بما اودعها الرجل من الكذب والافتخار . وتزكية نفسه والاعجاب بها والاستكبار . وحسد ابناء جنسه والشتم لهم والازدراء بهم والاحتقار ، وتناقض الكلام والاضطراب . والتعسف عن جادة الصواب . فمن خداعه وايهامه وتلبيسه وتمويهه . عنونته لها بايضاح حقيقة . لايهام انها مبينة للحق متحلية بالصدق مع انها موضوعة لتعكيس الحقائق وقلب القضايا فهي كلها مين وزور . كما سيتضح لكل من له ادنى شعور . ايظن هذا المزوق ان اللفظ المليح يحسن المعنى القبيح . وما درى ان تسمية الكنيف . بالقصر المنيف . لا ينقص قبح ما فيه .

الفصل الثالث والستون

فمن كذبه الذي هو من قبيل انكار المشاهدات وجحد المحسوسات قوله فيها « ان عصر الكذب والنفاق والتدجيل قد انصرم مع عهد الظلم والاستبداد والاسترقاق بل نحن اليوم في عصر الحرية والنور والعلم » فانه لا يصدقه في هذا الكلام . الا من لا يعرف الفرق بين العدل والظلم . والحرية والعبودية ، والنور والظلمة . والعلم والجهالة . واي عصر اكثر كذبا ونفاقا . واعظم جهلا وظلما واسترقاقا . من هذا العصر النحيس . . باهله المناحيس . ؟ فمن اي وجه يسمى بعصر الحرية والنور والعلم ؟ فلعمري ما هذه التسمية الا قلبا للحقيقة . وتعكيسا للقضية . نعم هو عصر حرية الفسق والفجور . وعلم فنون الشرور . كالغرام والبغاء والموسيقى والحان الغنا . وخرافات الفلاسفة النوكى . ثم نقول لهذا المتجاهل من اي افق اشرق عليكم هذا النور . امن افق حانات الخمور التي ورد عن الشارع انها ام الخبائث ومفتاح الشرور ؟ ام من نحو مواخير الفسق والفجور فانك لا تكاد تجد شارعا يخلو من حانوت صهباء او ماخور بغاء كان الخمر ماء زلال والسفاح من جملة الحلال . ام من المحاكم التي اعدل البينات فيها الدرهم والدينار والرشا فيها بمنزلة اثمان المشترى . كان حقوق

الخصمين مالك للقاضي بالهبة او الشرا ؟ ام من المحال الربوية
التي لا يخلو عقد من عقود تجارات ارباها عن صورة من صور
الربا والانفساخ ؟ ام من المراسح الهزلية ومدارس الغرام التي
يتعلم فيها المجون والزنا . ويخلع فيها جلباب المروءة والحيا ؟ ام من
تعلم اللغات الاروبية التي تورث صاحبها الكبر والازدها والترفع
عن الاجداد والاباء ؟ ام هذه كلها جزءيات لا يهتم بها وامور
يسامح فيها لمساس الحاجة اليها ؟ فنعوذ بالله من هذه الجهالة
العميا ولقد ابدى كذبه في هذه الدعوى . وفضحه فضيحة
شنعاء . المنفلوطي المصري بقوله « نبئني عن الاسلام اين مستقره
ومكانه واين مسلكه ومضطربه وفي اي موطن من المواطن
حل ومعهد من المعاهد نزل افي الحانات والمواخير التي يغص بها
الفضاء وتئن منها الارض والسماء والتي ينتهك فيها المسلمون
حرمات دينهم بلا خجل ولا حياء كانما هم يشربون الماء الزلال
ويغشون البضع الحلال ولقد هان عليهم امر انفسهم حتى لو
وجدوا بينهم من يرى البقيا في عمله او التجمل في امره سموه
جبانا جامدا او متكلفا باردا كل ذلك على مراى ومسمع من
الحكومة الاسلامية والمعاهد الدينية والقضاءين الشرعي والنظامي
ام في حوانيت الباعة حيث الغش الفاضح والغبن الفاحش مزخرفا
بالاقوال الكاذبة والايمان الباطلة ام في مجالس الاحكام حيث

للدينار الاحمر السلطان الاكبر على سلطان العدل وسلطان
الذمة وسلطان الشرائع اللهم الا ما كان من تلك الالواح المكتوب
فيها العدل اساس الملك او واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ام في المساجد حيث يعتقد المصلون انه لو كانت الفترة
بين الصلاتين مائة عام وكانت تلك الاعوام مملوءة بالآثام والجرائم
والمفاسد والمظالم لكفت تلك الحركات التي يسمونها صلوات
ويحسبونها حسنات لغفران تلك السيئات ام في معاهد الدين حيث
يتلقى المتعلمون الدين جسما بلا روح وعلما بلا عمل كانما يتلهون
بدراسة احدى الشرائع الدائرة او احد الاديان الغابرة وحيث
يتلقون كشكولا عجيبا وخلقا غريبا من الاكاذيب والترهات
فلا تكاد تسمع من افواههم الا حديثا موضوعا او قولا مصنوعا
او خرافة تاريخية او بدعة دينية وحيث يقضون حياتهم في
المناظرات والمجادلات والتحاسد والتباغض والتقاطع والتدابر
وهي بعينها الاخلاق والرذائل التي ما جاءت بها الاديان الا
لمحاربتها والقضاء عليها فهم يهدمون من حيث يظنون انهم
يبنون ويسيئون ويحسبون انهم يحسنون صنعا ام في مجالس
المتصوفة حيث الالعاب الحجازية والحركات البهلوانية والسرقات
باسم العادات وانتهاك الحرمات بعنوان البركات » وليت شعري
من المتصف في زعمه بهذه الاوصاف الجليلة ؟ اهم الذين يصفهم

بالتصدر للتعليم والفتوى والبحث والقضاء وبصغر العقول وانتحال العلم بما اوتوه من بعض المفاهيم التي لا تعدو طريقة النقالين وبالوقوف كالسد الحائل بين المسلمين وبين اليقظة والنهوض ؟ ام هم المسلمون المحجوبون عن الاندفاع في النهوض واليقظة الذين ليس لهم عنده من المدنية والعلم امام مدنية غيرهم وعلمهم الاجزء يسير لا يؤبه له والذين لا ترضي الامم المتمدنة ان يعدوا في مصاف الامم الراقية من اجل انكماشهم وانزوائهم وجهلهم بشؤون الكون ونومهم في سكرة الجمود ؟ ام هم الاراذل الذين يزدحمون في الحانات ويترددون الى بيوت المومسات بدون خجل ولا استحياء لا فرق عندهم بين النكاح والبغاء كان النكاح لم يكن قاعدة من قواعد الشرع ولا شرطا من شروط حل البضع ؟ ام هم عنده الامم المتغلبون الجاهلون برب العالمين فهو يدعو المسلمين الى الاقتباس من نورهم والتعلم من علمهم والتجنس بهم ليساووهم في حريتهم ؟ ام هم هو وشيعته الامرون بتعلم علوم الفلاسفة ومعارف المصريين ولغات الاروبيين المزهدون في الاشتغال بعلوم الدين والتمسك بسير الصالحين ؟ لم يري هذه الاوصاف قائمة بنفسها خالية عن متصف بها فانظر ايها المتامل فيما بين كلماته من التناقض والاضطراب . والتنكب عن جادة الصواب . يتحقق لديك ان الرجل ليس من اهل الخطاب

فضلا عن ان يعد من اولي الالباب . وبم انصرم عصر الكذب والنفاق . والتدجيل وعهد الظلم والاستبداد والاسترقاق ، ابصلاح المستبدين وانقلاع الظالمين وتوبة الكاذبين ؟ ام بقهره اياهم واخذه على ايديهم ؟ كلا لو انصف لرءا ان عصرنا الماضي وان كنا نبكي فيه . ونتبرم من اهله لحري ان نبكي عليه ونتاسف على ذويه . ومصداق ذلك حديث انس عند البخاري وغيره « لا ياتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيئكم صلى الله عليه وسلم » وما ورد على هذا الاطلاق من الاشكال قد اطال شراح البخاري في الجواب عنه فلتراجع ولقد اجاد من قال

عتبت على عمرو فلما فقدته ☆ وعاشرت اقواما بكيت على عمرو

كما احسن ابو نصر رحمه الله واجاد في قوله

فكم متمن ما مضى من زمانه ☆ وحامد دهر ذمه في اوانه
وشاكر حال بعد ضجر بشانه ☆ اناخ عليه دهره بجرانه
فيذكر اذ ريش القوادم في الوفر

ومن كلام الخوارزمي « ما من وقت كرهته الا وانا احن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه »

الفصل الرابع والستون

واما ادعاءه انه اليوم غير محتاج للمداجاة والمصانعة والدهان فشهادة على نفسه بان مايفعله ليس عن خوف وتقية وانما هو محض خداع وملق ونفاق ومن عرف حاله لم ينكر هذا منه الا ان داجاه وداهنه ويكفي في الاستشهاد على مداهنته ما حكي عنه من قوله لمن جاءه مستعينا به على من يامره بصيام رمضان بدون صحة الهلال ما عليك ان تطيعه وتصوم فان يوم الشك غير متفق على منع صيامه فاي مداهنة اعظم من هذه؟ وما حكي لي عنه من قوله لمن جاءه متالما من عتاب بعض التونسيين لبعض الاحداث من المزابيين على جمعهم في الاستنجاء بين الحجارة والماء ما عليهم ان يقتصروا على الماء بحضرة لائمهم على الجمع بينهما فاذا غابوا عنه ورجعوا لمنزلهم تطهروا وجمعوا بين الماء والحجر على حسب ما اختار لهم ائمتهم فاين الحرية التي يدعي انه في عصرها؟ وكيف يحتاج في هذه المسئلة الى التقية وارتكاب المشقة من تمسك فيها بالسنة وجرى فيها على الافضل والمفتى به عند علماء الامة؟ ومن ذا الذي يعيب ذلك عليه سوى جاهل بنصوص الايمة فيها او متجاهل؟

اما دليل كون الجمع بينهما سنة فحديث البزار عند ابن كثير

ولفظه « قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا احمد بن محمد بن عبد العزيز قال وجدته في كتاب ابي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نتبع الحجارة بالماء » زاد القنوجي في فتح البيان « فقال هو ذاك فعليكموه » وقال الشعراني في كشف الغمة « كان انس يقول لما انزل الله عز وجل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ان الله قد احسن الثناء عليكم في الطهور فما ذاك قالوا يا رسول الله نجمع في الاستنجاء بين الاحجار والماء لانا قرأنا التوراة فوجدنا فيها الاستنجاء بالماء فما منا احد يخرج من الغائط الا غسل مقعدته بالماء » وحديث شهر بن حوشب عند ابن جرير « قال لما نزل فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الطهور الذي اثنى الله عليكم قالوا يا رسول الله نغسل اثر الغائط » وعنده ايضا « عن قتادة قال ذكر لنا ان نبيء الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول » وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي ذكركم الله به في امر الطهور فاثنى به عليكم قالوا نغسل اثر الغائط والبول » وفي الدر المنثور من تخريج ابن جرير وابن مردويه « عن خزيمة ابن ثابت قال كان رجال منا اذا خرجوا من الغائط يغسلون اثر الغائط فنزلت فيهم هذه الاية فيه رجال يحبون ان يتطهروا » وفيه من تخريج عبد الرزاق في المصنف « عن قتادة ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال لبعض الانصار ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم فيه رجال يحبون ان يتطهروا قالوا نستطيب بالماء اذا جئنا من الغائط » فهذه الروايات الواردة من طرق متعددة تدل على ان اهل قباء كانوا يجمعون في طهارتهم بين الحجارة والماء لما فيها من تخصيص الاثر بالذكر دون العين ومن كونه بعد الخروج والمجيء من الغائط اذ لو كانوا يقتصرون على الماء لكان الغسل للعين والاثر ولكان قبل الخروج لا بعده اذ يبعد خروجهم عراة لانتشار النجاسة وانكشاف العورة به ومستترين بدون استجمار لانتشارها ايضا في البدن والثياب وعن عائشة رضي الله عنها « قالت مرن ازواجكن ان يغسلوا اثر الغائط والبول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله وفي لفظ كان يامر به » ذكره في المنتخب من تخريج سعيد بن منصور وابن ابي شيبة والطبراني في الاوسط وابن عساكر في تاريخه وفي غيره

من تخريج الترمذي وفي المنهج المبين « روى البيهقي عن علي انه قال انهم كانوا يبعرون بعرا وانتم تثلطون ثلطا فاتبعوا الحجارة بالماء » قلت ورواه في المنتخب من تخريج عبد الرزاق و سعيد ابن منصور

الفصل الخامس والستون

واما الدليل على انه الافضل والمفتى به عند العلماء فنصوص عديدة منها قول العيني في عمدة القاري « الذي عليه الجمهور من السلف والخلف ان الافضل ان يجمع بين الماء والحجر » وقوله « مذهب جمهور السلف والخلف والذي اجمع عليه اهل الفتوى من اهل الامصار ان الافضل ان يجمع بين الماء والحجر فيقدم الحجر اولا ثم يستعمل الماء فتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده ويكون ابلغ في النظافة » ومنها قول النووي في شرح صحيح مسلم « الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واجمع عليه اهل الفتوى من ايمة الامصار ان الافضل ان يجمع بين الماء والحجر فيستعمل الحجر اولا لتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده ثم يستعمل الماء » ومنها قول القسطلاني « والذي عليه جمهور السلف والخلف ان الجمع بين الماء والحجر افضل فيقدم الحجر لتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده ثم يستعمل الماء وسواء فيه

الغائط والبول كما قاله ابن سراقة وسليم الرازي » ومنها قول الشرنبلالي الحنفي في مقدمته نور الايضاح وشرحها « والافضل في كل زمان الجمع بين استعمال الماء والحجر مرتبا فيمسح الخارج ثم يغسل المخرج لان الله تعالى اثنى على اهل قباء باتباعهم الاحجار الماء فكان الجمع سنة على الاطلاق في كل زمان وهو الصحيح وعليه الفتوى » ومنها قول ابن الحاج في المدخل عند تعداده اداب قضاء الحاجة « الثانية الاستعداد لذلك قبل الدخول بيسير من الماء والاحجار وقوله الثامنة والثلاثون ان يجمع بين الاحجار والماء فهو احسن واطيب للنفس » وقول السهروردي في العوارف « واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الاية يحبون ان يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا نتبع الماء الحجر » وقول الغزالي في الاحياء وشارحه « والجمع بين الماء والحجر او ما في معناه مستحب وفي شرح الرافعي افضل وفي كتب اصحابنا غسل المحل بعد التنقية بنحو الحجر ادب فقد ورد انه لما نزل قوله عز وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نتبع الحجارة الماء اي نجمع بين الماء والحجر » وساق الشارح حديث البزار المتقدم وقول ابن الحاجب في مختصره الفقهي « والجمع بينهما اي بين الحجر والماء

اولى قال شارحه ولا خلاف في ذلك » وقول الشيخ خليل في المختصر وبعض شراحه « وندب بضم فكسر للمستنجي جمع ماء وحجر او ما في معناه من كل ما يجوز الاستجمار به في الاستنجاء لازالتهما العين والاثر بان يزيل عين الخبث بنحو الحجر ثم يغسل المحل بالماء فلا تباشر يده الخبث ويتوفر الماء ولان اهل قباء كانوا يجمعون بينهما فمدحهم الله بقوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا »

ثم ان جواز الاقتصار على الماء مشروط بانقطاع خروج المادة من القصبة والا لم يجز اتفاقا لعدم حصول الطهارة وللاحاديث الواردة في الامر بالاستبراء من البول والوعيد على تركه كحديث جابر بن زيد عند الربيع رحمهما الله « قال بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان بكبيرة اما احدهما فكان لا يستبرء من البول الحديث » ورواه الشيخان واصحاب السنن الاربعة واحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما وحديث ابي هريرة عند ابن ماجة وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكثر عذاب القبر من البول » وحديث عائشة في الجامع الصغير من تخريج عبد بن حميد والبزار والطبراني والحاكم « ان عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه » وحديث ابي امامة فيه من تخريج الطبراني

« اتقوا البول فانه اول ما يحاسب به العبد في القبر » وقد نبه الفقهاء على هذا في تصانيفهم من ذلك قول ابن الحاج في المدخل « وقع الاجماع على ان الاستبراء واجب اعني استفراغ ما في المحل من مادة البول فيتفقد نفسه في الاستبراء ويعمل على عادته فرب شخص يحصل له التنظيف عند انقطاع البول عنه وءاخر لا يحصل له ذلك الا بعد ان يقوم ويقعد وذلك راجع الى اختلاف احوال الناس في امزجتهم وفي مئاكلهم واختلاف الازمنة عليهم فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الامر عليه وهو يعهد من نفسه عادة فيعمل عليها فيخاف عليه ان يصلي بالنجاسة او يتوسوس في طهارته فيعمل على ما يظهر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه فليس الشيخ كالشاب وليس من اكل البطيخ كمن اكل الجبن وليس الحر كالبرد » وقول الغزالي في الاحياء وشارحه عند ذكر ءاداب قضاء الحاجة « الثاني والعشرون ان يستبري من البول خاصة ويتفقد نفسه فيه فيعمل على عادته بالتنحنح والذهاب والمجيء والقعود والقيام ولي الفخذ اليمنى على اليسرى والنط الى وراء والنتر اي نتر الذكر ثلاثا وذلك برفق وامرار اليداي بعض اصابعه على اسفل القضيب ويدلكه لاخراج ما هنالك من البقايا » وقول المختصر وبعض شراحه « ووجب استبراء بعد قضاء الحاجة شرطا

مطلقا في صحة الوضوء اجماعا لان الباقي في المخرج خارج حكما فهو مناف للوضوء وشرط صحته عدم المنافي حاله فوجوبه لطهارة الحدث لا لازالة النجاسة فلا يجري فيه الخلاف فيها مصور ذلك ومفسر باستفراغ اي افراغ وتخليص مخرجيه من اخبثيه وهما البول والغائط مع سلت ذكر متعلق بوجب اي وجب ماذكر مع سلت ذكره ونتره وفيه اشارة الى وجوبهما وهذا في حق الرجل واما في حق المراة فانها تضع يدها على عانتها ويقوم ذلك مقام السلت والنتر وسلت الذكر مده وسحبه بان يجعله بين سبابته وابهام يسراه ويمرهما من اصله الى الكمرة والنتر بالتاء المثناة نفضه فوق وتحت او يمين وشمال لاخراج البول خفا اي السلت والنتر اي يندب ان يكون كل منهما خفيفا فحدهما غلبة الظن بانقطاع المادة بثلاث او اقل او اكثر » وقول الشرنبلالي في النور والمراقي « يلزم الرجل الاستبراء عبر باللازم لانه اقوى من الواجب لفوات الصحة بفوته لا بفوت الواجب والمراد طلب براءة المخرج عن اثر الرشح حتى يزول اثر البول بزوال البلل الذي يظهر على الحجر بوضعه على المخرج وحينئذ يطمئن قلبه اي الرجل ولا تحتاج المراة الى ذلك بل تصبر قليلا ثم تستنجي واستبراء الرجل على حسب عادته اما بالمشي او التنحنح او الاضطجاع على شقه الايسر او غيره بنقل

اقدام وركض وعصر ذكره برفق لاختلاف عادات الناس فلا يقيد بشيء ولا يجوز اي لا يصح له الشروع في الوضوء حتى يطمئن بزوال رشح البول لان ظهور الرشح براس السبيل مثل تقاطره يمنع صحة الوضوء » فكل من عدل عن التقليد الى تحري الراي السديد اعترف بان اقصى ما يحصل للمستبري بنحو السلت والنتر والقيام والقعود انما هو غلبة الظن بانقطاع المادة واما اليقين فلا يحصل له الا بالتجفيف بجامد كحجر ولا شك ان تحصيل اليقين اولى من الاقتصار على غلبة الظن لما فيه من قوة اطمئنان النفس والاحتياط في التحرز عن الوعيد الشديد الوارد في ترك التنزه عن البول وقد قال صلى الله عليه وسلم لوابصة ابن معبد « يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك » رواه احمد وغيره وعنه صلى الله عليه وسلم من حديث واثلة « دع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون » ذكره شارح الاحياء عن العراقي وقال السنوسي « وبالجملة فالاحتياط في الامور هو احسن ما يسلكه العاقل » وقال الالوسي « الاحتياط في العبادات واجب »

واما ما قيل عن بعضهم « من ان الماء يقطع الماء » فكلام باطل بالمشاهدة والعقل والنقل اما المشاهدة فلانه كثيرا ما يحس

المرء بخروج المادة من ذكره بعد الغسل ويشاهدها ويتيقن بها ولا يجحد هذا الا من لا يبالي بانكار المشاهدات والمحسوسات واما النقل فمنه ما تقدم عن الاحياء والمختصر والمراقي وغيرها من وجوب الاستبراء بنحو السلت اذ لو كان الماء قاطعا ما احتيج الى ذلك واصله حديث يزداد عند احمد وابن ماجه « اذا بال احدكم فلينتر ذكره ثلاث مرات » واما العقل فلان بقاء شيء من البول في القصبة بعد الغسل بديهي الامكان اذ لا يرتاب عاقل في ان الماء ليس جسما متجسدا سادا للثقبة كسداد القارورة ولا شيئا جاذبا للمادة من القصبة جذب حجر المغناطيس للحديد

الفصل السادس والستون

ثم الذي ظفرت به من الاحاديث المستدل بها على جواز الاقتصار في الاستنجاء على الماء احد عشر حديثا ليس شيء منها نصا في الاقتصار على الماء ولا منافيا للجمع بل في بعضها ما يدل عليه احدها حديث انس عند البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للاول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء فاحمل انا وغلام اداوة من ماء وعنزة يستنجي بالماء » وفي رواية مسلم فيستنجي بالماء ولا ينافي انه قد استجمر بالحجارة اولا او بالتراب او نحو

ذلك اذ لم يقل فلم يستنج الا بالماء واقصى ما يوخذ من الحديث مشروعية الاستنجاء بالماء فقط

الثاني حديثه عند مسلم ايضا « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا وتبعه غلام معه ميضاءة وهو اصغرنا فوضعها عند سدرة فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فخرج علينا وقد استنجى بالماء » ولا شك ان خروجه صلى الله عليه وسلم مستنجيا بالماء لا ينافي الجمع بين نحو الحجر والماء فهو في الدلالة كالحديث الاول

الثالث حديث عائشة عنده ايضا في خصال الفطرة وفيه وانتقاص الماء قال وكيع وانتقاص الماء يعني الاستنجاء »

الرابع حديث ابن عباس عند البخاري ومسلم واللفظ للاول « ان النبيء صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوء قال من وضع هذا فاخبر فقال اللهم فقهه في الدين »

الخامس حديث ابراهيم بن جرير عن ابيه « ان النبيء صلى الله عليه وسلم دخل الغيضة فقضى حاجته فاتاه جرير باداوة من ماء فاستنجى منها ومسح يده بالتراب » ذكره العيني في عمدة القاري من تخريج ابن خزيمة في صحيحه وليس بدليل للاقتصار على الاستنجاء بالماء لاحتمال انه استجمر قبل الاستنجاء »

السادس حديث عائشة عند ابن حبان « قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من غائط قط الا مس ماء » ذكره العيني ايضا في شرح البخاري لكنه مع كونه لا دلالة فيه على الاقتصار على الماء كالاحاديث المتقدمة معارض بحديثها عند ابن ماجة وابي داود واللفظ له « قالت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر خلفه بكوز من ماء فقال ما هذا يا عمر فقال ماء تتوضأ به قال ما امرت كلما بلت ان اتوضأ ولو فعلت لكانت سنة » وحديث ابن مسعود عند الربيع والبخاري وابن ماجة وغيرهم واللفظ للاول « قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اراد القيام الى حاجة الانسان فقال ايتني بالاحجار قال فاتيته بحجرين وروثة فاستنجى بالحجرين والقى الروثة وقال انها ركس » وحديث ابي هريرة عند البخاري « قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته فكان لا يلتفت فدنوت منه فقال ابغني احجارا استنفض بها او نحوه ولا تاتيني بعظم ولا بروث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعتها الى جنبه واعرضت عنه فلما قضى اتبعه بهن » ورواه ايضا عن موسى بن اسماعيل بهذا السند مطولا وفيه ان ابا هريرة كان يحمل مع النبيء صلى الله عليه وسلم اداوة لوضوئه وحاجته

فبينما هو يتبعه بها فقال من هذا فقال انا ابو هريرة فقال ابغني احجارا استنفض بها الحديث »

السابع حديث ابي هريرة عند ابي داود « قال كان النبيء صلى الله عليه وسلم اذا اتى الخلاء اتيته بماء في تور او ركوة فاستنجى ثم مسح يده على الارض ثم اتيته باناء آخر فتوضا به وهو قريب من حديث ابراهيم بن جرير المتقدم »

الثامن حديث عائشة عند الترمذي « قالت مرن ازواجكن ان يغسلوا اثر الغائط والبول فان النبيء عليه الصلاة والسلام كان يفعله» وقد تقدم ان تخصيص الغسل فيه بالاثر يدل على سبق ازالة العين بغير الغسل فهو دليل على الجمع لا على الاقتصار على الماء

التاسع حديثها عند ابن ماجة بسند ضعيف « ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان يغسل مقعدته ثلاثا » فمع ترك الفقهاء له لضعف سنده بزيد العمي وجابر الجعفي كما قال السندي ليس فيه ادنى دلالة على الاقتصار على الماء في الاستنجاء بل فيه دلالة على الجمع اذ غسل الغائط ثلاثا لا يزيل الاثر غالبا فضلا عن العين والغسل بدون ازالتهما نشر للنجاسة وابلاغ لها الى ما لم تبلغه فهو تنجيس لا غسل

العاشر حديث محمد بن قيس قاضي عمر بن عبد العزيز

في المدونة من تخريج ابن وهب « ان المغيرة بن شعبة اتبع النبيء صلى الله عليه وسلم باداوة ماء في غزوة تبوك حين تبرز فاخذ الاداوة مني وقال تاخر عني ففعلت فاستنجى بالماء »

الحادي عشر حديث ابان بن عياش «ان النبيء عليه الصلاة والسلام قال استنجوا بالماء فانه اطهر واطيب » ذكره العيني في عمدة القاري من تخريج ابن حبيب في شرح الموطا وقال ابان هذا متروك قلت والحديث ايضا مرسل لان ابان غير صحابي وليس فيه بعد اللتيا والتي سوى الامر بالاستنجاء بالماء وانه ازيد طهرا ونظافة وهذا غير ناسخ للامر بالاستنجاء بالحجارة الوارد في احاديث كحديث طاوس في المنهج المبين من تخريج البيهقي وفي المنتخب من تخريجه وتخريج عبد الرزاق والدار قطني « ان رسول الله عليه وسلم قال اذا اتى احدكم البراز فليكرم قبلة الله فلا يستقبلها ولا يستدبرها ثم ليستطب بثلاثة احجار او ثلاثة اعواد او ثلاث حثيات من تراب ثم ليقل الحمد لله الذي اخرج عني ما يؤذيني وامسك علي ما ينفعني » وحديث عائشة عند ابي داود والنساءي واحمد « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ذهب احدكم الى الغائط فليذهب معه بثلاثة احجار يستطيب بهن فانها تجزي عنه » وحديث « اتقوا الملاعن الثلاث واعدوا

النبل » ذكره الشيخ عامر رحمه الله في الايضاح والزبيدي
في شرح الاحياء بل الواجب حمل الامر في الحديث بالاستنجاء
بالماء على الاستنجاء بعد الاستجمار لاعلى الاقتصار على الماء لما فيه
من امتثال الامرين والعمل بالدليلين وحمل المطلق الذي هو
الامر بالاستنجاء بالماء على المقيد الذي هو الاستنجاء به بعد
الاستجمار الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا حين
قالوا له نتبع الحجارة الماء هو ذاك فعليكموه وتعليل الامر
بانه اطيب واطهر يرشد الى ذلك اذ كمال زيادة الطهر والنظافة
انما يحصل بالاستنجاء بعد الاستجمار لزوال العين والاثر والرائحة
بل كل ما ورد من استنجائه صلى الله عليه وسلم بالماء في تلك
الاحاديث المتقدمة وغيرها يجب حمله على انه بعد الاستجمار اذ
لا يليق بمنصبه الشريف ان ينسب اليه صلى الله عليه وسلم
الرغبة عن الطهارة التي اثنى الله على فاعلها وامرهم صلى الله عليه
وسلم بملازمتها واما ما رواه الشعراني في كشف الغمة عن حذيفة
وعائشة « انهما لا يجمعان بين الماء والحجر اذا بالا ويغسلان بالماء
فقط » فمع انه فعل صحابي معارض بما روى ابن ابي شيبة باسانيد
صحيحة « عن حذيفة بن اليماني انه سئل عن الاستنجاء بالماء
فقال اذن لا يزال في يدي نتن » ذكره العيني في شرح البخاري
قلت وليس فيه كراهة الاستنجاء بالماء مطلقا كما توهم بل كراهة

الاقتصار عليه فقط لقوله اذن لا يزال في يدي نتن فانه الذي
يبقى معه النتن في اليد بخلاف الاستنجاء بعد الاستجمار فانه
لا يبقى معه شيء من عرف النجاسة اذ يبعد من مثل حذيفة
رضي الله عنه ان يجهل مشروعية الاستنجاء بالماء وفعل الرسول
صلى الله عليه وسلم له مع تكرر ذلك منه واستفاضته فضلا
عن ان ينكره او يكرهه واما الاقتصار على الحجارة فلا يجزي
عندنا الا عند عدم الماء او الخوف من استعماله وحكاه النووي
في شرح مسلم عن ابن حبيب بقوله « وقال ابن حبيب المالكي
لا يجزي الحجر الا لمن عدم الماء » وما يدل من الاحاديث على
الاجتزاء بنحو الحجر محمول على الضرورة او على ما قبل ورود
الامر بالجمع بين الحجر والماء جمعا بين الادلة فقد اتضح بما تقدم
لكل من توخى الانصاف ان الجمع في الاستنجاء بين الحجارة
والماء اما واجب وهو في حق من لا يكفيه للاستبراء النتر والسلت
ونحوهما للاحاديث الواردة في وجوب الطهارة للصلاة وفي وعيد
من لا يتحرز من بوله واما افضل واحوط من الاقتصار على الماء
وهو في حق من يكفيه نحو النتر في استفراغ المادة من القصبة
فالجمع بين الحجر والماء دائر بين الوجوب والافضلية فكيف
يلام فاعله فضلا عن ان يحتاج فيه الى ارتكاب التقية والكتمان
فيا اسفا على غربة السنة

الفصل السابع والستون

ومن اخفائه للحقيقة بل من قلبها قوله (لا يحسن بنا ان نداجي ونمكر والداء كامن فينا ونعلن عن انفسنا باننا مبلون معافون فاذا صدقنا الناس فان الداء الكامن في نفوسنا يكذبنا وهو اصدق لسان وابلغ نذير) فانه تلويح الى تبرية نفسه من المداجاة والمكر الذين لم يزل متصفا بهما سعيا في اخفاءهما على الناس فهو قلب للحقيقة. وكتمان للنقيصة. ومبالغة في الخديعة. واي مكر وخديعة اشد من مكره وخديعته في تحيله على العوام والجهال لاخذ اموالهم وتسليم اولادهم لتعلم ما يضرهم ولا ينفعهم بادعاء انه السبب في نيل الحرية والنور والعلم والمجد والرقي والحياة الطيبة؟ والحقيقة انما هي محاولته نيل الجاه والاموال من اولئك الجهال لا ما يدعيه من ارادة الصلاح وتوخي النجاح فهذا الداء الكامن في نفسه وهو اصدق لسان وابلغ نذير قد كذبه فمقالته صادقة عليه لا على من يلوح اليهم فانهم انما يحضون على تعلم العلوم الشرعية من العقائد الدينية والاعمال الصالحة التي تجتنى ثمارها في الاخرة ولا يخفى ايضا صدق قوله ونعلن عن انفسنا باننا مبلون معافون على حاله وحال شيعته في اعلانهم بانهم ساعون في الاخلاص

والصدق كذبا وخداعا مع ما كمن في انفسهم من الداء الذي هو العجب والكبر والجهل ومحبة الفلاسفة والتهالك على مدنيتهم واخلاقهم ومعارفهم فهو ابلغ شاهد على كذبهم وخداعهم في ادعائهم السعي في اصلاح الامة وترقيتها واحياء دينها

واما قوله (ولذلك يتحتم اليوم على الكتاب والخطباء والعلماء والعقلاء واصحاب الراي ان يتخذوا الصراحة ديدنا لهم في كل قول لان كل من يدرك علة من عللنا ويكتم رايه فيها ولا يحذر منها الناس يكون في الحقيقة هو الخائن باوسع معاني الكلمة) فتلويح لوصف نفسه بما ليس من حليتها. وعزو اليها الفضيلة التي انعرامنها، ووضع لها في مرتبة اعلى من مرتبة الكتاب والخطباء. والعلماء والعقلاء. واصحاب الراي حيث انتدب لتنبيههم على ما لم يتفطنوا له مما يجب عليهم وتبرز لامرهم بما حادوا عنه وانعروا منه مما يلزمهم على انه في ذلك آمر غيره بما لم يامر به فانه لم يجعل الصراحة ديدنا له في كل قول كما امر غيره بها بل عكس الامر وجعل الكتمان والمغالطة والمداجاة عادة له في كل امر حتى في امور دينه كما تقدم فاخسس بمن فعله مخالف لقوله

واما قوله (بل العدو الجافي هو من يغرك على النقائص ويحملك على اعتقاد غير ماهي عليه ويوهمك انك على هدى وبصيرة

فتنخدع بقوله وتحفل به والعلة تبقى سارية فاتكة حتى يصعب دواؤها ويتعاصى شفاءها على احكم النطاسين) فكلام صادق عليه وعلى شيعته ايضا فانهم يغرون الناس على بعث اولادهم لتعلم العلوم المضرة لدينهم او الشاغلة عنه ويحملونهم على اعتقاد انها علم نافع يورث الحياة الطيبة والحرية والاستيلاء على الامم المتغلبة عليهم والرقي الى المعالي ويزهدونهم في العلوم الدينية ويثبطونهم عن اقتنائها ويظهرون لهم ان الاشتغال بها عجز وجمود عائق عن الارتقاء الى المعالي ونيل الاماني وانهم في ذلك على الهدى والبصيرة باذلين لهم ابلغ النصيحة فينخدعون بقولهم ويغترون بخزعبلاتهم . وحقيقة الامر انهم ساعون في حثهم على الرذيلة . وحاملين لهم على اعتقاد انها فضيلة . فهم اعدى عدو للمسلمين واغش الغاشين لهم . واعوان الشيطان عليهم . لانهم اضروهم في دينهم . هذا وان استعماله لفظة يغر مكان يغري والنطاسين بياء واحدة مما ينبيء عن حاله في ادعاء النبوغ في الخطابة والبلاغة

الفصل الثامن والستون

واما قوله (ان العلل الفاتكة بمجتمعنا كثيرة واذكر منها اليوم علة افدح من سائر العلل وهي جبننا وفقدنا الشجاعة

الادبية حتى صرنا خرصا ونحن المتكلمون ولكننا ونحن المبينون) فمقالة غمر فاسد الفكر . فاقد التجربة والسبر . لا يعرف هرا من بر . اذ لو كان له ادنى شعور . ومعرفة بحقائق الامور ، لم يشك في ان افدح العلل بمجتمعنا ودينا ووطننا واعظم الادواء بخاصتنا وعامتنا انما هي الجراءة على الرذائل التي تحلى بها هو واشياعه السكارى بمحبة الجاه والثناء من التهالك على الرئاسة والافتخار والطموح الى الاستطالة على الاقران والتسارع الى الخلاف والشقاق . والجد في التدابر والتقاطع والافتراق . والافراط في الحسد والعداوة والبغضاء والاستنكاف عن قبول الحق والتكبر والتعظم على الخلق . والانفة من الاذعان لقوانين الشرعية . والاستهانة بالاداب الدينية . والسير الاسلامية . والتهاون باقتناء العلوم النقلية . والاستهتار بالمعارف الفلسفية . واللغات العجمية . والولوع بمدنية الامم الجاهلية . والاستحسان لاخلاقهم الفاسدة . وعوائدهم الدنيئة . الى غير ذلك من الصفات الشيطانية والاخلاق الرديئة ويشهد لهذا قوله عز وجل « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » فقد دلت الاية على ان التنازع واختلاف الراي سبب للفشل والضعف وذهاب الريح اي الدولة والشوكة وحديث الزبير بن العوام عند احمد وغيره « قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث » ولقد صدق بعض متاخري مشارقتنا في قوله

وما اختلف الاقوام الا تشتتوا ★ وما افترقوا الا وحل حزام

ثم الشجاعة الادبية عنده انما هي المهارة في معاشرة الناس بالمداهنة والملق . واخفاء المكر بهم والحنق . ومغالبتهم بالحيل النفاقية . والتخلق باخلاق الامم الاروبية ومجاراتهم في اعمالهم الدنيوية . والتشبه بهم في عوائدهم الدنيئة . وهذا من تعكيس القضية ، فان الادب الحقيقي هو مراعاة الحدود الشرعية . والاخلاق المرضية . والفضائل الدينية ، قال صاحب الضياء رحمه الله « الادب رياضة النفس على طاعة الله تعالى » وفي المقامات الزمخشرية « لعمر الله ليس باديب ولا اريب كل مغرب وحافظ غريب الاديب من اخذ نفسه بآداب الله فهذبها ونقح اخلاقه من العقد الشائنة فشذبها والاريب الفاضل من لم يكن له ارب ولا وطر الا ان يكون له عند الله فضل وخطر ولا ارى حاله وحال شيعته في الادب الا كمن قال فيهم المصري العصري « وكنت ارى ان الادب حال قائمة بالنفس تمنع صاحبها ان يقدم على شر او يحدث نفسه به او يكون عونا لفاعليه عليه

فان ساقته اليه شهوة من شهوات النفس او نزوة من نزواتها وجد في نفسه عند غشيانه من المضض والامتعاض ما ينغصه عليه ويكدر صفوه وهناءه ثم اصبحنا واذا الادب صور ورسوم وحركات وسكنات واشارات والتفاتات لا دخل لها في جوهر النفس ولا علاقة لها بشعورها ووجدانها فاحسن الناس عند الناس ادبا واكرمهم خلقا واشرفهم مذهبا من يكذب على ان يكون كذبه سائغا مهذبا ومن يخلف الوعد على ان يحسن الاعتذار عن اخلافه ومن يبغض الناس جميعا بقلبه على ان يحبهم جميعا بلسانه ومن يقترف ما شاء من الجرائم والذنوب على ان يتخلص من نتائجها وآثارها وافضل عندهم من هؤلاء جميعا اولئك الذين برعوا في فن الآداب العالية اي فن الرياء والنفاق وتفوقوا في استظهار تلك الصور الجامدة التي تواضع عليها جماعة الظرفاء في التحية والسلام واللقاء والفراق والزيارة والاستزارة والمجالسة والمنادمة وامثال ذلك مما يرجع العلم به غالبا الى صغر النفس واسفافها اكثر مما يرجع الى ادبها وكمالها الى ان قال ولقد سمعت باذني من اخذ يعد لرجل من اصدقائه من السيئات ما لو وزع على الخلق جميعا لوث صحائفهم ثم ختم كلامه بقوله واني على ذلك احبه واجله لانه رجل ظريف »

قلت وهكذا حال هذا الرجل وشيعته مع من وافقهم في

اهوائهم واستصوبهم في ءارائهم واعجب بافكارهم واغتر بامانيهم
فانهم بعد ذلك لا تتعاظم عندهم سوءى منه ولو شرب خمر اوربى
او زنى بله لبس الحرير والذهب وشرب الدخان وحلق اللحا
كانها من جنس المكروه او المباح بسنة المصطفى فهم يبذلون لهم
مع ذلك حسن الثناء والبشر والبشاشة عند المجالسة واللقاء
ولا تكاد تسمح نفوسهم بذلك لمن خالف اهواءهم من اهل الوفاء
ويكفي المنصف شاهدا على هذا حالهم مع زعيمهم التونسي
الذي يتبجحون بجودة فكره وينوهون بحصافة رايه ويرون
انه نادرة زمانه وحكيم اوانه واديب امته واريب جيله.
يجلونه فوق اجلال الاباء والامهات ويحيونه عند اللقاء باحسن
التحيات ويخاطبونه باعذب العبارات ويشهدون عليه مع ذلك
كله بترك الصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين وقرة
عين سيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم اجمعين ويجالسونه في
تلك الحالة ولا ينكرون عليه هذه الهنات القبيحة بل يداجونه
اقبح مداجاة حتى انهم عند مجالسته في وقت الصلاة لا يقطعون
جلستهم بقيامهم عنه اجمعين الى الصلاة بل يتناوبون عليها خوفا
من انبتار جلستهم واستدامة للذة محادثته ولما عيب فيه عند
بعضهم بذلك كافح عنه بانه رجل ذو افكار رقيقة فتعجبوا معشر
ذوي الحجى من حالة هؤلاء الشنعى فهل هذه افعال من يدعي

هدى واي خير يرتجى ممن ترك الصلاة التي جاء فيها عنه صلى
الله عليه وسلم قوله ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة
رواه الربيع بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهم وقول
عمر رضي الله عنه لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة

الفصل التاسع والستون

ومن اعجابه بنفسه وازدرائه بغيره قوله (فقد بلينا معاشر
المسلمين بطائفة من صغار العقول تنتحل العلم لنفسها انتحالا الخ)
فانه تلويح الى وضع نفسه في اعلى المنازل وانحراطها في زمرة
كملة العقول وارباب الفضائل وتحليه بالعلوم حقيقة لا انتحالا
كاولئك المنتحلين وارتفاعه فيها عن طريقة النقالين الى درجة
المجتهدين اذ زعم ان المتصدرين للتعليم والفتوى والبحث
والقضاء ناقصوا العقول والذكاء ليس لهم في العلم الا مجرد
الانتحال والدعوى وانه تبرز لافهامهم ما هم عليه من الخطا
وردهم الى جادة الهدى فقدحه فيهم تفضيل لنفسه عليهم كما قال
الاوزاعي لبقية ابن الوليد على ما في مختصر جامع بيان العلم
وفضله « اذا سمعت احدا يقع في غيره فاعلم انه انما يقول انا خير
منه » وهذا منه ايضا قلب للحقيقة فان من عرف حاله وسبر
اقواله وافعاله تحقق لديه ان حالته لا تتجاوز التلهذة لبعض هؤلاء

الذين يزدري بعقولهم وعلمهم بل لعله لا يليق الا لاتباع اذناب الحمر والنواضح ونقل الاسمدة الى الاجنة والمزارع اذ هي عادته الاولى وحالته التي نشا عليها ولكنه لجهله بقدر نفسه واعجابه بها خفيت عليه سوءاتها وادعى لها ماليس فيها كما قال المتنبي

ومن جهلت نفسه قدره ☆ راى غيره منه ما لا يرى

كما ان من امعن النظر واجاد الفكر ادرك ان البلية العظمى على الدين والمسلمين هي ما ابتلوا به من فتنة هذا الرجل وشيعته السكارى بزهرة الدنيا المشغوفين برئاستها المعجبين بما اوتوه من شقاشق الثرثارين وحيل المخادعين والحان المغنيين فزعموا انه روح العلم وغاية الفهم وجدوا في اشغال الصبيان والاحداث بها مزهدين لهم فيما سواها غارين لهم وءلابائهم والقوامين عليهم بوعد الانقلاب بالعلم والنور والحرية تلبيسا وخديعة وقلبا للحقيقة فيا لها من بلية على المسلمين وخيانة للدين

الفصل المتمم سبعين

واما قوله (جعلوا ما اوتوه من بعض المفاهيم التي لا تعدوا طريقة النقالين مقياسا عاما يرجعون اليه في الدين والعلم والسياسة والحروب والاقتصاد) فتنقيص شنيع وقدح فظيع في

العلم النقلي الذي هو العلم الشرعي واستمهان طريقة اهله وغضاضة من مقامهم لما فيه من الازراء بهم واسترذال طريقتهم واستهجان المفاهيم التي لا تعدوها ووصف من اوتيها بنقص العقول وانتحال العلم فهو لا يرى ان طريق الدين هو النقل والرواية وهذا مخالف لطريق الاباضية والاشعرية وانما هي طريقة المعتزلة المحكمين للمدارك العقلية او الفلاسفة المنكرين للنبوات والجاحدين للرسالات فقد قال البرادي رحمه الله في شرح العدل « والمعتزلة انما بنوا مذاهبهم على الحسن والاحسن والصالح والاصلح والقبيح والاقبح والواجب والاوجب وقالوا ان الطاعة والمعرفة والشكر والجلال يقتضيها العقل ويوجبها ويقف عليها ويصل اليها العاقل من ذات نفسه وان المعصية والكفر والظلم والجور والاعتداء والبغي يزجر عنها العقل ويقبحها وينفر عنها كما ان المعرفة والشكر يحسنهما ويوجبهما ولو مع عدم الشرع وقبل ورود الشرائع الى ان قال وانما اخذوا اصل هذا المذهب من كتب الفلاسفة الطبيعيين لان النظام والعلاف والجاحظ وغيرهم من فضلائهم وايمتهم طالعوا كثيرا من كتب الفلاسفة والبراهمة المنكرين للنبوات والجاحدين للرسالات قالوا لان الله تعالى اغنى بالعقل عن النبوة والرسالة ولا فائدة للنبوة مع العقل فجميع ما يدعو اليه النبي ويامر به ويرغب

فيه فالعقل يدعو اليه ويحسنه وجميع ما ينهى عنه النبيء ويحرمه
فالعقل ينفرعنه ويقبحه فاخذت المعتزلة هذا المأخذ الخ» وقال
الشماخي «قال اصحابنا ان الحاكم هو الشرع ولا حسن الا ما
حسنه الشرع ولا قبح الا ما قبحه الشرع ولا يحكم العقل بحسن
شيء ولا قبحه في حكم الله تعالى بل الحاكم الشرع وليس التكليف
من جهة المصلحة» وقال العضد والسيد «الحاكم عندنا الشرع
دون العقل اي انه لا يحكم ان الفعل حسن او قبيح في حكم
الله تعالى خلافا للمعتزلة القائلين بان افعال المكلف في ذواتها مع
قطع النظر عن اوامر الشرع ونواهيه متصفة بالحسن والقبح
والقبح هو معنى الحرمة والحسن تتفاوت مراتبه فان كان
بحيث يستحق فاعله المدح وتاركه الذم عند العقل فهو الوجوب
والا فان استحق فاعله المدح فقط فهو الندب او استحق تاركه
المدح فقط فهو الكراهة اولا يتعلق بفعله ولا تركه مدح ولا
ذم فهو الاباحة وهذه الامور اعني الوجوب واخواته ثابتة
للافعال في ذواتها وليست مستفادة من الشرع عندهم بل حاصلة
قبله ايضا الخ ما اطالا فيه» وظاهر ما نقلناه عن الشماخي والعضد
وغيرهما ان المعتزلة لا يقولون بان الحاكم هو الشرع وهو
خلاف ما صرح به الاسنوي في قوله «الحاكم هو الشرع
عند الاشاعرة فلا تحسين ولا تقبيح بمعنى ترتب الثواب والعقاب

الا بالشرع وذهبت المعتزلة الى انهما عقليان بمعنى ان العقل له
صلاحية الكشف عنهما وانه لا يفتقر الوقوف على حكم الله تعالى
الى ورود الشرائع لاعتقادهم وجوب مراعاة المصالح والمفاسد
وانما الشرائع موكدة لحكم العقل فيما يعلمه العقل
بالضرورة كالعلم بحسن الصدق النافع او بالنظر لحسن الصدق
الضار فاما ما لا يعلمه العقل بالضرورة ولا بالنظر كصوم
اخر يوم من رمضان وتحريم اول يوم من شوال فان الشرائع
مظهرة لحكمه لمعنى خفي علينا فتلخص ان الحاكم
حقيقة هو الشرع اجماعا وانما الخلاف في ان العقل هل هو
كاف في معرفته ام لا وكلام الكتاب يوهم خلاف ذلك»
وقال في فواتح الرحموت وشرحه مسلم الثبوت لا حكم الا من
الله تعالى باجماع الامة لا كما في كتب بعض المشائخ ان هذا
عندنا وعند المعتزلة الحاكم العقل فان هذا مما لا يجتري عليه
احد ممن يدعي الاسلام بل انما يقولون ان العقل معرف لبعض
الاحكام الالاهية سواء ورد به الشرع ام لا وهذا ماثور عن
اكابر مشائخنا ايضا»

والحاصل ان ابتناء الدين على الرواية والنقل مما لا يرتاب
فيه مسلم ذو عقل فان اصوله هي الكتاب والسنة والاجماع
بلا نزاع فليس الدين الا منها او من القياس الصحيح عليها وقد

جاء في شرف العلم النقلي الذي هو العلم الشرعي وفضل اهله ومدح طريقتهم وتوقف العلم بالدين على الرواية والنقل والامر بالرجوع في المتنازع فيه الى اصول الدين وهي الكتاب والسنة واجماع الامة وفي ذم القول في الدين بالراي والهوى والرجوع فيه الى العقل كما هو شان اهل الاهواء ءايات قرءانية واحاديث نبوية وءاثار عن سلف الامة وخلفهم تشهد بخطا هذا السفيه في تنقيص المفاهيم النقلية والازدراء بمن اوتيها وببطلان انكاره عليهم جعلها مقياسا للرجوع اليها في الدين وغيره

فمن الاي قوله تعالى منكرا اشد الانكار على من يحلل ويحرم من غير برهان نقلي « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الاية » وقوله جل ثناؤه « قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون » وقوله سبحانه « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » فبين سبحانه في الايتين الاولتين انه لا يجوز للعبد ان يقول هذا حلال وهذا حرام الا بما علم ان الله سبحانه احله وحرمه وفي الاية الثالثة تحريم كل قول عليه سبحانه بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله وفي دينه وشرعه قال ابن القيم « وقد روي عن بعض السلف انه قال ليتق احدكم ان يقول احل الله

كذا وحرم كذا فيقول الله له كذبت لم احل كذا ولم احرم كذا فلا ينبغي ان يقول لما لا يعلم ولا ورد الوحي المبين بتحليله وتحريمه احله الله وحرمه الله لمجرد التقليد او بالتاويل »

ومنها قوله عز وجل « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » فحصر الامر بين شيئين الاستجابة لله والرسول وما جاء به واتباع الهوى فكل شيء خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من الهوى وقوله تبارك اسمه لنبيئه عليه السلام « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » فقسم الامر بين اتباع الشريعة التي جعل سبحانه نبيئه عليها وشرعها له واوحى اليه العمل بها وامر امته باقتفاءها وبين اتباع اهواء الجهلة فامر بالاول ونهى عن الثاني وقوله عز قائلا « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » فقسم سبحانه الحكم بين الناس الى الحكم بالحق وهو الوحي الذى انزله الله على رسله والى الحكم بالهوى وهو ما خالفه

ومنها قوله عز وعلا « فبشر عبادي الذين يستمعون القول

فيتبعون احسنه » وقوله تعالى « واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم »

ومنها قوله جل شانه « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا » فان الاية نص قاطع في وجوب رد ما تنوزع فيه من جميع مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه الى الله وهو كتابه ورسوله وهو سنته بعد موته لان شيئا من قوله فان تنازعتم في شيء نكرة في سياق الشرط فتعم جميع ما لم يكن حكمه منصوصا في الكتاب ولا في السنة ولانه قد روي عن مجاهد وقتادة وعطاء بن ابي رباح وميمون بن مهران ان الرد الى الله سبحانه هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد اليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته بل قد حكى ابن القيم اجماع الناس على ذلك ولاشك ان المراد من الرد اليهما رد حكم ما تنوزع فيه مما لم يكن منصوصا عليه فيهما الى احكام الوقائع المشابهة له المنصوص عليها فيهما وهذا عين ما عاب من جعل المفاهيم النقلية وهي علوم القرءان والسنة مقياسا عاما يرجع اليه في الدين والسياسة وغيرهما فهو انكار منه لما امر الله تعالى به ومخالفة لحكمه

الفصل الحادي والسبعون

ومن الاحاديث الدالة على شرف العلم النقلي وذم الراي ما روى الربيع رحمه الله بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » وكذا رواه مسلم من طريق اسحاق بن ابراهيم وعبد ابن حميد عن عائشة رضي الله عنها وذكره البخاري تعليقا في باب اذا اجتهد العامل او الحاكم فاخطا الخ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ورواه ايضا عن القاسم بن محمد عنها بلفظ من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد قال النووي وابن حجر وغيرهما « هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو معدود من اصول الاسلام وقاعدة عظيمة من قواعده وعماد في التمسك بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام بحبل الله الاعلى ورد للمحدثات والبدع والهوى فانه صريح في رد كل البدع والمخترعات اذ معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له اصل من اصوله فلا يلتفت اليه فهو مما ينبغي ان يعتنى بحفظه واستعماله في ابطال المنكرات واشاعة الاستدلال به لانه يصلح ان يسمى نصف ادلة الشرع وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد زيادة عموم على الثانية وهو انه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة

سبق اليها فاذا احتج عليه بالثانية يقول انا ما احدثت شيئا فيحتج
عليه بالاولى التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء احدثها
الفاعل او سبق باحداثها اذ المعنى من اتى بشيء من الطاعات او
بشيء من الاعمال الدنيوية والاخروية سواء كان محدثا او سابقا على الامر
ليس عليه امرنا اي وكان من صفته انه ليس عليه اذننا بل اتى
به على حسب هواه فهو رد اي مردود غير مقبول والمراد من الامر
في الرواية الثانية دين الاسلام ووصفه باسم الاشارة لافادة
التعظيم واشارة الى تمييز الدين اكمل تمييز وعبر عنه بالامر
تنبيها على ان هذا الدين هو امرنا الذي نهتم له ونشتغل به بحيث
لا يخلو عنه شيء من اقوالنا وافعالنا والمعنى من احدث في
الاسلام رايا لم يكن له من الكتاب والسنة سند ظاهر او خفي
ملفوظ او مستنبط فهو مردود عليه وفي وصف الامر بهذا
اشارة الى ان امر الاسلام كمل وانتهى وشاع وظهر ظهور
المحسوس بحيث لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة فمن حاول
الزيادة فقد حاول امرا غير مرضي لانه من قصور فهمه رءاه ناقصا
فعلى هذا يناسب ان يقال انه راجع الى من اي فذاك الشخص
ناقص مردود عن جنابنا مطرود عن بابنا فان الدين اتباع ءاثار
الايات والاخبار واستنباط الاحكام منها فالضمير الى الشخص
ابلغ والى الامر اظهر »

ومنها ما في مختصر جامع بيان العلم وفضله «عن كثير بن
عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما
كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا شك ان علم
القرءان والسنة نقلي لا عقلي »

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود
وغيره « نظر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب
حامل فقه الى من هو افقه منه الحديث » فلو لم يكن في فضل علم
الحديث وشرف رواته ونقلته الا هذا الحديث وحده لكفى
به شرفا ونبلا وقوله صلى الله عليه وسلم « من حمل علي من امتي
اربعين حديثا في امر دينه بعثه الله فقيها عالما » وقوله صلى الله
عليه وسلم « من حفظ عني اربعين حديثا من السنة كنت شفيعه
يوم القيامة » ذكرهما ابو عمرو رحمه الله في السؤالات وروى
الاول في الجامع الصغير من تخريج ابن عدي عن انس والثاني
من تخريجه ايضا عن ابن عباس

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «يحمل هذا العلم من كل
خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين »

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس

« نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة ذكره ابن عبد البر في مختصر جامعه

الفصل الثاني و السبعون

ومن الاثار ما في خزينة الاسرار من قول سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ديننا مبني على النقول لا على مناسبة العقول

ومنها قول عبد الله بن عباس رحمه الله « من حمل دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس مائلا عن المنهاج قائلا بالاعوجاج » ذكره في السؤالات وقوله « انما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال بعد ذلك برايه فلا ادري اني حسنانه يجد ذلك ام في سيئاته » رواه ابن القيم عنه من تخريج عثمان بن مسلم الصفار

ومنها قول الشيخ اسماعيل رحمه الله في شرح النونية « قال عمر رضي الله عنه وهو على منبر الجابية ايها الناس اتقوا اهل القياس فانهم اعداء السنن اعيتهم الآثار ان يحفظوها والسنن ان يعوها فسئلوا عن اشياء واستحيوا ان يقولوا لا ندري فقاسوا برايهم فضلوا واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » قلت وروى عنه ابن القيم « انه كان يقول اصحاب الراي اعداء السنن اعيتهم

الاحاديث ان يحفظوها وتفلتت منهم ان يعوها واستحيوا حين سئلوا ان يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برايهم فاياكم واياهم »

وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله « وعن محمد بن ابراهيم التيمي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والراي فان اصحاب الراي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يحفظوها فقالوا في الدين برايهم »

ومنها قول عبد الله بن مسعود « لا ياتي عليكم عام الا وهو شر من الذي قبله اما اني لا اقول امير خير من امير ولا عام اخصب من عام ولكن فقهاءكم يذهبون ثم لا يجدون منهم خلفا ويجيء قوم يقيسون الامور برايهم » ذكره ابن القيم ايضا

ومنها قول الشيخ ابي مالك رحمه الله « لا حظ للعقول فيما استقبحته مع ورود الشريعة بالاباحة » ومثله قولهم لاحظ للنظر مع وجود الاثر وقال ابو نصر رحمه الله

ولم ينج الا من يطاء على الاثر

وقال :

عليكم بآثار المشائخ فاقتدوا
بمنهاجهم تحظوا وتنجوا وترشدوا

الخ » وقال الوسياني رحمه الله « وبلغني عن عبد الله ابن يزيد النكاري قال انما غلبنا اصحاب الربيع بالآثار » وقال

النفوسي نحن اصحاب ءاثار لو سلكوا بنا على جدار لسلكناه
فكيف يقول ذلك بل قد سلكوا بنا على ضباط المرهفات
فسلكناه في مرضاة الجبار القهار » وفي الاعلام لابن القيم « عن
بعضهم انه قال انما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل
وحادوا عن الطريق وتركوا الآثار وقالوا في الدين برايهم فضلوا
واضلوا وعن مالك قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تم هذا الامر واستكمل فانما ينبغي ان تتبع ءاثار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يتبع الراي فانه من اتبع الراي
جاء رجل ءاخر اقوى منه في الراي فاتبعه فانت كلما جاء
رجل غلبك اتبعته»

ومنها قول ابن خلدون « ان مدارك صاحب الشريعة
اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك العقلية فهو فوقها ومحيطة بها
لاستمدادها من الانوار الالاهية فلا تدخل تحت قانون النظر
الضعيف والمدارك المحاط بها فاذا هدانا الشارع الى مدرك
فينبغي ان نقدمه على مدار كنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه
بمدارك العقل واو عارضه بل نعتمد ما امرنا به اعتقادا وعملا ونسكت
عما لم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه »
ولابن العربي

على السمع عولنا فكنا اولي النهي
ولا عار فيما لا يكون عن السمع

وله ايضا

كل علم يشهد الشرع له ☆ هو علم فبه فلتعتصم
واذا خالفه العقل فقل ☆ طورك الزم مالكم فيه قدم

فهذه الايات والاحاديث والاثار ونحوها تشهد شهادة لا يرتاب
فيها الا ذو مكابرة وعناد بان الدين نقلي لا عقلي وان طريق معرفته
هي الرواية والنقل لا الفكر وان اهله هم رواته ونقلته وان
المرجع في الامور المشتبهة الى المنقول من الاصول لا الى الافكار
والعقول وحينئذ يتحقق عند ذوي الالباب ان انكار جعل
المفاهيم النقلي مقياسا عاما للرجوع اليه في الدين والعلم والاعتقاد
والسياسة والحروب والاقتصاد تعسف عن الحق وعدول عن
الصواب وان الازدراء بمن اوتي المفاهيم النقلية والقدح فيهم
بجعلهم اياها مرجعا لهم في الامور الدينية والاقتصادية محض
سفه لا يصدر الا من جاهل بالحقيقة لان ما نسب اليهم مدح
لهم عند ذوي النصفة وانما المنكر والضلال تحكم العقل والرجوع
اليه في الدين والعلم ومخالفة المكلف النقل والقانون الشرعي
في فعل من الافعال دينيا او حربيا او اقتصاديا او سياسيا

قال ابن القيم « كل خير في العالم فهو من ءاثار العلم الذي

جاءت به الرسل ومسبب عنه وكذلك كل خير يكون الى قيام الساعة وبعدها في القيامة وكل شر وفساد حصل في العالم ويحصل الى قيام الساعة وبعدها في القيامة فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل » وقال ابن الحاج في المدخل « فكل من اتى بشيء مخالف لما كان عليه متقدموا هذه الامة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم وما نقل عنهم »

ثم ادعاءه ان الاندفاع في اليقظة والنهوض هو السعي في مساواة الامم الكفرية في معارفهم وافكارهم والتشبه بهم في اخلاقهم وان النهي عن ذلك والامر باقتناء العلوم الدينية واتباع السنة المحمدية ومراعاة الاداب الشرعية هو الوقوف بين المسلمين وبين الاندفاع في النهوض واليقظة قلب للحقيقة اذ الوقوف بين المسلمين والفلج دينا ودنيا انما هو ما يفعلونه بصبيانهم واحداثهم من اعتياقهم عن تعلم دينهم

وقوله وانكروا مناط العلوم مجرد دعوى لا برهان عليها فهي دعوى باطلة ببديهة العقل وليت شعري ما مناط العلوم التي ادعى عليهم انكارها ؟ اهو اصوله التي ما زالوا يدعونه واشياعه اليها وهي الكتاب والسنة وءاثار الايمة ؟ ام هو الحرف والصناعات الدنيوية والمدارك الفلسفية العقلية التي لم يزل يفضلها على العلم الديني ويغري الناس على الاشتغال بها

وبعث اولادهم الى مدارسها غارا لهم بادعاء انها مناط الشرف الحقيقي ؟

وقوله (واعتبروا كان الدنيا تمشي على حسب عقولهم والدين طبق افهامهم) تمويه وقلب للحقيقة اذ لا يرى ان الدنيا جارية على حسب عقله والدين على طبق فهمه الا من اعتقد ان الانسان قد امتلك ناصية الطبيعة واخضعها للعناصر فسخر الرياح وسير السحاب وتحكم في المياه واستنبت ما شاء من الارض واعجب بمدارك عقله ففضلها على روايات نقله واما من يعتقد ان المؤثر في جميع الاشياء والخالق لها والمتصرف فيها بالتسخير والتسيير والسوق والتدبير هو الله سبحانه وانه لا يجري في العالم خيرا وشرا ونفع او ضر ولا تسقط ورقة ولا تتحرك ذرة من ذرات العالم الا بتقديره ومشيئته وصنعته وارادته ويدين بان الدين وضع الاهي لاعقلي وان العقل معزول عنه ولا طريق اليه الا النقل ولاحسن الا ما حسنه الشرع ولا قبح الا ما قبحه فلا يزعم ان الدنيا تمشي على حسب عقله ولا الدين على طبق فهمه بل لا يعتقد الا ان الدنيا تجري على وفق ارادة خالق القدر والقوى فهو المتصرف فيها كما يشاء يغني ويفقر ويعز ويذل ويحي ويميت ويعطي ويمنع ويسخر ما شاء لما يشاء الى غير ذلك من شؤونه العجيبة وافعاله البديعة كل يوم هو

في شان سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من الطبيعيين والدهريين وغيرهم علوا كبيرا

ثم في ادعائه عليهم انهم يرون ان الدين جار طبق افهامهم افتراء عليهم مناقض لما نسبه اليهم من اقتصار افهامهم على النقل واحتذاءهم طريقة اهله فان الذي يرى ان الدين جار على طبق فهمه هو الذي يجري على طبق العقل ويسترذل طريقة النقل لا من يرى ان العقل معزول عن الشرع واسراره

الفصل الثالث والسبعون

ومن تناقض كلامه قوله (فوقفوا كسد حائل بين المسلمين والاندفاع في اليقظة والنهوض وجعلوا انفسهم من السيادة والسطوة على مدارك المسلمين وعقولهم ما لا مخلص معه من ايديهم) فان بينه وبين قوله قبل بل نحن اليوم في عصر الحرية والنور والعلم تناقض بين اذ يفيد ان المسلمين عنده لم يزالوا في غمرة النوم وسكرة الجمود ولم ينالوا شيئا من علم هذا العصر ونوره وحريته لحيلولة هذه الطائفة التي وصفها بصغر العقول والجهل ووقوفها بينهم وبين الاندفاع واليقظة والنهوض واستيلائها على مداركهم وعقولهم استيلاء لا مخلص لهم منه ومن الذي حظي بهذا العلم والنور والحرية اذا لم

يصب المسلمين منها ادنى رشاش يتخلصون به من هذه الطائفة التي يزعم انها لا علم لها ولا عقل ؟ ام يرى ان تلك الاوصاف خاصة به وبشيعته ؟ ام بالامم الصليبية المتمدنة في زعمه فهم الاحرار المتنورون العالمون عنده فلذا لم يزل مولعا بمدنيتهم ومفاسد اخلاقهم ومغرما بمعارفهم وافكارهم وآرائهم ومحتقرا بمدنية المسلمين وعلمهم وآراء السلف وسيرهم وزاريا بالمشتغل بعلوم العقائد وقراءة كتبهم ومدوناتهم في عقائد دينهم ومسائل شرعهم كالايضاح والوضع والقواعد واما قوله (وقد اتسع الخرق في الاعصر الاخيرة حتى صاروا يعدون في زمرة ورثة الانبياء وحملة الحكمة من لا يستحقون ان يعدوا في مصاف العامة ولا يستطيعون الا حمل الصفا والاخشاب) فمن اقبح تيهه وافحش اعجابه بنفسه . وشدة احتقاره لغيره وغلوه فيه وانتقاصه علوم النقل حيث جعل من اقر له بحيازة بعض المفاهيم النقلية لا يستاهل ان يعد في مصاف العامة فضلا عن ان ينسب الى العلم وانما هو عنده من جملة البهائم الصالحة لحمل الاثقال وهذا منه غاية الطعن في العلم النقلي والقدح في منصب النقلة للعلم الشرعي وتصديق لما نقل عنه وعن شيعته من الازدراء بتعلم العلوم الدينية والمسائل الشرعية وقراءة الدواوين الفقهية كالوضع والقواعد والايضاح والقناطر والنيل وليت شعري في

اي مرتبة انزل هذا الخبيث المتكبر نفسه ؟ افي مقام النبوة على ما فهمه بعض الصحافيين من قوله وتغلب على ظني ان الله تعالى لم يلهم اليه امة من الامم الاروبية لسر عظيم وهو تاخير هدايتهم حتى تكون على ايدينا ؟ ام في مرتبة فطاحل الحكماء واساتيذ العلماء الذين هم ورثة الانبياء على ما ينبيء عنه قوله (وانما هو الداء يوصف للطبيب فيفحص عنه فاذا ادرك موضعه من المريض ولمسه بيده اهتزت له سائر اعصابه وصاح صيحة الالم ولا يقال في هذه الحالة ان الطبيب كان يقصد الذكاية بالمريض بل يمدح ويقال انه لم يخط واصاب موضع الداء وهو اقدر على ازالته) فتراه قد جعل نفسه في درك الادواء المعنوية ومعرفته بانجع ادويتها وحسن علاجها بمنزلة الطبيب المستحق لجميل المدح بمهارته في معرفة ادواء البدن المتعسرة وادويتها العزيزة وعلاجها الصعيب وهذا من الازدهاء والتيه بمكان وهو عين ما استقبحه في اول مقالته من التنكب عن الحقائق وهجران الواقع والمغالطة بالقول والغض عن الكريهة والتعامي عن النقيصة وكتمان الداء الكامن ورفع النفس عن مرتبتها وعزو الفضيلة اليها مع خلوها منها فان حاله اول امره واخره ابلغ شاهد على ما انطوى عليه من الرذائل كالمكر والخداع والمصانعة وادهان وادل دليل على ما فيه من الجهل الفادح والعمي الباقل اذ لا يشك

من عرف حاله في خلوه من المعارف التي يلهج بها ويحض عليها بل من ادناها كجز الاوبار ونحت الاحجار فضلا عن اعلاها واما العلوم الدينية فيكفينا دليلا على جهله بها معاداته لها وتزهيد الناس في اقتنائها والازدراء بتعلمها كما قيل

جهلت فعاديت العلوم واهلها

كذاك يعادي العلم من هو جاهل

واما هاتان المقالتان اللتان انتحلهما فقد قيل انهما من ذوات جيبه لا من بنات قلبه اذ حكي انهما من نسج بعض الصحافيين المائنين الذين لا تحجزهم عن النقيصة مروءة ولا دين اينما ميلتهم الفلوس مالوا لو مدحوا زيدا غداة وذموه عشيتها ما خجلوا فهم كما قيل :

ان يبخلوا او يجبنوا او يغدروا لم يحفلوا

يغدوا عليك مرجلين كانهم لم يفعلوا

كابي براقش كل لون لونه يتخيل

الفصل الرابع والسبعون

ومن مجازفته وسفسطته قوله (ويكفي لامثال هؤلاء من العلم ان يعرفوا ان كل ما خالف مالوفاتهم كفر وان يكون لكل واحد منهم كلمة الكفر كامنة يكمون بها الالسن والافواه

فاذا استطاع احدهم ان يجرا على الله ويقول عند كل كلمة يسمعها تخالف الفه هذه كفر ولكل فم ناطق بغير ما يهواه هذا كافر عد من فطاحل العلماء الذين يندر ان ياتي الزمان بمثلهم وان الزمان بمثلهم لبخيل) فانه مجرد عدوان . وصريح بهتان . ودعوى بلا بيان . يشهد عليها بديهة العقل بالبطلان . اذ ليست باولى من مضادتها حاول بذلك ستر كفره بانكار صفي الله ادم عليه الصلاة والسلام او خروج كل البشر منه او طعنه فيه بالسذاجة ومشابهة العجماوات من نحو البغال والحمير وباشراكه غير الله معه في افعاله من تسخير الرياح وتسيير السحاب وانبات الغبراء بانواع النبات او تخصيص المخلوق بهذه الافعال دون الخالق اذ لا يخلو الانسان المتحول من السذاجة الى امتلاك ناصية الطبيعة واخضاعها للعناصر الفاعل للتسخير والتسيير والانبات في زعمه من ان يكون مشاركا لله عز وعلا في هذه الافعال اومختصا بها دونه كما تقدم وكلا الوجهين من اعظم الشرك واقبح الكفر تعالى الله عما يقول الدهريون والطبيعيون ومن تبعهم علوا كبيرا فهلا التزم على نفسه ما اوجب على غيره من جعل الصراحة ديدنا فترك المغالطة التي استقبحها من غيره جانبا وصرح ببعض ما حكموا فيه بالكفر لمجرد مخالفته لمالوفهم حتى تظهر صحة

دعواه فيتلقى بالقبول مدعاه الا ما ترك ذلك الواجب على غيره الا الان تلك الدعوى مجرد كذب وتمويه على الناس ومغالطة لهم واخفاء للحقيقة سترا لكفره واخفاء لعواره ولكن هذا لا يغسل عاره ولا يدفع بواره وهل يصلح العطار ما افسد الدهر فان الكفر بالطعن في الانبياء وانكارهم وتسوية الخلق بخالقهم مما علم من الدين بالضرورة ومن توخى الانصاف تحقق ان ما بهت به غيره ما هو الا حليته وحلية شيعته فانهم اتخذوا لفظة الخيانة صار ما يصولون به على كل من خالفهم في بدعهم وانكرها عليهم

ثم انظر الى ما في كلامه من التناقض والاضطراب فانه اعترف اولا بانهم قد اوتوا بعض المفاهيم النقلية ثم وصفهم ثانيا بان ليس لهم من العلم الا معرفة ان ما خالف مالوفاتهم كفر فهو يصفهم تارة بحيازة بعض العلم وينعتهم اخرى بالخلو منه اذ معرفة ان كل مخالف للمالوف كفر جهل لا علم فتحقق ان الرجل متخبط في اودية اللدد ام لا يرى المفاهيم النقلية لما استحكم في قلبه من الاستخفاف بالعلوم الدينية علما ؟ فان العلم الديني هو العلم النقلي كما صرح بهذا البرادي رحمه الله في قوله « العلم النقلي طريقه السمع والنقل وهو الشرع المسموع الذي اتت به الانبياء عليهم السلام واوصلته الى الخلق من عند الله

سبحانه» واما قوله (اني لا اقصد نفرا ولا طائفة مخصوصة ولكن هذه الكلمة ستصادف ءالاما في نفوس كثير من المتصدرين ليس ذلك لاني جئت احصار بهم او وقفت لانتقم منهم كلا والله ليس هذا ولا ذاك وانما هو الداء يوصف للطبيب فيفحص عنه فاذا ادرك موضعه من المريض ولمسه بيده اهتزت له سائر اعصابه وصاح صيحة الالم ولا يقال في هذه الحالة ان الطبيب كان يقصد النكاية بالمريض بل يمدح ويقال انه لم يخط واصاب موضع الداء وهو اقدر على ازالته) فكلام مشتمل على كذب ومداجاة وتزكية نفس فان قوله اني لا اقصد نفرا ولا طائفة مخصوصة كذب ومداجاة وغش او كذب وفتنة لانه ان كان يعرف طائفة متصفة بما ذكر كما يدل له قبل قد بلينا معاشر المسلمين بطائفة من صغار العقول الخ فزعم انه لم يقصدها فهو كاذب ومداج ومجانب للصراحة التي امر غيره بها وكاتم للداء وغاش للمسلمين اذ لم يبينها لهم ليحذروها وان لم يعرف احدا يتصف بذلك فهو كاذب وباهت في دعواه وفتان للناس بحمله لهم على ظن بعضهم السوء في بعض وقوله (والله ليس هذا ولا ذاك) يمين فاجرة خسر بها في الدنيا والاخرة وادخل بها نفسه فيمن قال الله فيهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون وقوله (وانما هو الداء يوصف للطبيب الى آخره) تزكية لنفسه بغير

حليتها ومدح لها بما ليس فيها ووضع لها في غير مرتبتها اذ جعل نفسه حكيما وطبيبا معنويا ماهرا مستاهلا للمدح على مهارته وقدرته على ازالة الادواء العسيرة وحاله في الجهل والغباوة معلومة عند كل من عاشره لا ينكرها الا من داجاه ومن اطرائه ايضا في مدح نفسه ورفع شانه قوله (قد ذكرت هذا الموضوع لافهم الكثيرين الذين يتصدرون منا للتعليم والفتوى والبحث والقضاء لانه ليس من الصعب على اي فرد من الناس ان ينكر كل شيء يعرض عليه ولكن من الصعب على الحكيم ان يتمكن من ارجاع الاشياء الى اصولها) فتراه قد جعل نفسه استاذا للمتصدرين في التعليم والفتوى والبحث والقضاء وابرزها لتفهيمهم وردهم عما كانوا عليه من الخطا فبخ بخ باستاذ العلماء والقضاة والمفتيين وبحكيم ماهر في معرفة الاصول متمكن من ارجاع الاشياء اليها وما احراه بان يمثل في شانه بقول جرير

متى كان حكم الله في كرب النخل

وقوله (ليس من الصعب على اي فرد من الناس ان ينكر كل شيء يعرض عليه) شهادة منه على نفسه بان انكار الحق ليس من الصعب عليه وبهت لغيره بما فيه وفي شيعته الذين لا يبالون برد الصدق ولا يكترثون بانكار الحق واما من يراقب الله في احواله فمن اصعب الصعب عليه

ان ينكر شيئا او يسوغه بلا معرفة حكم الله فيه كيف
لا وقد روى الربيع عن ابي عبيدة عن جابر بن زيد رحمهم الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من افتى مسئلة او فسر
رؤيا بغير علم كان كمن وقع من السماء الى الارض فصادف بئرا
لا قعر لها ولو انه اصاب الحق » وروى ابو داود بسنده الى
جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في
كتاب الله برائه فاصاب فقد اخطا » وفي المنتخب من تخريج
ابن عساكر « عن علي عنه صلى الله عليه وسلم من افتى بغير علم
لعنته ملائكة السموات والارض » وفيه من تخريج الدارمي
عن عبيد الله بن ابي جعفر عنه صلى الله عليه وسلم مرسلا
اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار » واما قوله (فيتحتم علينا
جميعا ان نتريث في احكامنا على المسائل ونرجع في كل شيء الى العلم
الى آخره فمن جملة تمويهه واخفائه للحقيقة لانه ان اراد بالعلم
المرجوع اليه في الحكم على الاشياء العلم الديني النقلي فهذا
عين ما عابه قبل من جعل المفاهيم النقلية مقياسا عاما يرجع اليه
في الدين والعلم والسياسة والحروب والاقتصاد وان اراد
به العلم العقلي الذي لا يرى سواه علما على ما يقتضيه اقتصاره
عليه في الذكر والترغيب فيه وهجر ما سواه من العلم الديني
والقدح فيه والازراء باهله والطعن في الداعين اليه فهو تحكيم

للعقل على الشرع واما قوله (وان لا تتخذ الدين القويم آلة
يضرب بها وجوه المسلمين فنصدهم عن الرقي) فمن افحش الخطا
الذي لا يصدر الا ممن تنكب عن الهدى لانه حكم بوجوب
رفض الدين وعدم اعتباره فيما يكون سببا للرقي الى مصاف
الامم المتمدنة الراقية في زعمه وهذا مما لا يقول به مسلم وانما
الحق المجمع عليه جعل الدين معيارا معتبرا وحدا مرجوعا اليه في جميع
الاشياء وجعل العقل تابعا له فكل ما خالف الدين نبذ ومنع
منه وكل رقي يرتكب فيه ما يخالف الدين يجب المنع منه
والصد عنه والاحتجاج على ذلك بالدين والضرب به لوجوه
المعاندين واما قوله (واذا عثرنا على شيء يوهم التعارض بين
العلم والدين رجعنا في ذلك الى اهل الرسوخ الخ) فمجرد تخليط
وخبط لانه ان اراد بالعلم كل ما يسمى علما لغة حتى علم الشطرنج
والحان الغنا والسحر واحكام النجوم وتصوير الحيوانات كما هو
الظاهر من تضاعيف كلامه وزعم ان كل ما يسمى علما ولو
منصوصا على تحريمه مطلوب في الدين تعلمه لا تعارض بينهما
فقد ضل ضلالا مبينا لانه انكار لجريان الاحكام الخمسة في
مسمى العلم وهو خلاف ما جاء به الدين وان اراد به العلم
الديني فهو من جملته وما التعارض بين الشيء وبعضه ؟ ومن ذا
الذي يزعم ان بينهما تعارضا او يتوهمه ؟ سوى امثال هذا

المتخبط من الجاهلين وليت شعري من المراد باهل الرسوخ عنده المرجوع اليهم فيما اختلف فيه ؟ اهم الطائفة التي وصفها بصغر العقول وانتحال العلم والوقوف بين المسلمين وبين الاندفاع في النهوض واليقظة كسد حائل؟ ام هم المتصدرون للتعليم والفتوى والبحث والقضاء الذين تصدى لتفهيمهم وازالة جهلهم ؟ ام هم المسلمون الذين لم يزالوا في غمرة النوم وقيد الجمود ؟ ام هم الامم المتمدنة التي يتمنى ان ترضى بعده في مصافهم ويلتحق بهم في معارفهم وءارائهم ؟ ام هم هو وشيعته ؟ فتبا للمعجب بنفسه الجاهل بقدره

الفصل الخامس و السبعون

ومن محض الجهالة وصريح الضلالة قوله (وهل يمكن لمسلم ان يعتقد امكان وقوع التعارض بين العلم والدين وهو يعتقد ان العلم عبارة عن انكشاف المعلوم على ما هو عليه وهو بمعنى سر الايجاد والجعل الالاهي لهذا الكون وان الدين وضع الاهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات وهل يجوز العقل ان يضع الله شيئا ينافي او يعارض جعله وايجاده ولو جاز ذلك لترتب عليه سلب الحكمة عن افعال الله جل وعلا وهو امر مقبوح والدين

بخلافه) فان مقتضاه ان لا تنافي بين الدين الذي هو وضع الاهي وبين ما اوجده الله وجعله وخلقه وحرمه فيلزمه نفي الحرمة عن نحو الخنزير والخمر مما اوجده الله وخلقه وحرمه كما يلزمه انتفاء النهي والمعصية عن جميع افعال العباد لانها مجعولة لله اى مخلوقة له ولا قائل بهما قال الشيخ اسماعيل رحمه الله في شرح النونية « ان الله هو الذي جعل الفعل على ما هو به في كيفيته والجعل من الله خلق لان الله تعالى قال وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر الاية والسرابيل صنعة الخلق » او يلزمه انكار كونها مخلوقة لله ومجعولة له كما تقوله المعتزلة فان التزمه كان معتزليا لا اباضيا ولا اشعريا فنعوذ بالله من الخذلان واما قوله (وحينئذ يتمحض لدينا ان كل الخلافات الواقعة الان بين مسائل العلم والدين ليس منشاها نفس العلم اوذات الدين الى ءاخر مقالته) فنظير ما قبله في فساد المعنى . بل وركاكة المبنى . فان قوله (وانما سوء النظر وقلة التمكن من العلم والدين الخ) تركيب فاسد وكذا جمع الخلاف على خلافات وادعاءه وقوع الخلاف بين مسائل العلم والدين وزعمه انهما اخوان توءمان ظاهر البطلان لانه يلزم منه اخراج العلم الديني عن مسمى الدين ان اراد بالعلوم ما يعم الدينية وغيرها فان الاخ غير اخيه والتوءم غير توءمه وهذا بين الفساد اذ لا ريب في ان الدين

علم وعمل وكف فاخراجه العلم الديني من الدين وجعله اخاله
وتوءما محض خبط وتخليط بل هو بعضه وجزء منه قال ابن القيم
« الايمان ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الايمان
الا بالعلم والعمل » وقال الشيخ محمد بن يوسف في شرح العقيدة
عند تفسير قوله فان قيل لك ما قواعد الاسلام فقل اربعة العلم
والعمل والنية والورع « ويبحث بانهن نفس الاسلام ولا
يخرج الاسلام عنهن اذ لا تجد اسلاما غير علم وغير عمل وغير
نية وغير ورع » فهل الدين الا الاسلام قال تعالى « ان الدين عند
الله الاسلام » فقد بان ان ادعاءه وقوع الخلاف بين الدين وعلمه
مجرد هذيان اختص به لا نرى عاقلا يجنح اليه وان اراد بالعلوم
غير الدينية لزم منه جعل العلوم التي ليست بدينية كلها موافقة
للدين مطلوبة فيه غير منافية له ولا معارضة فليس فيها على
زعمه مكروه ولا محظور وهذا باطل عقلا ونقلا اما العقل فلا
خلاف بين العقلاء في انها يدعو الى الشر شر وتضييع النفيس في
تحصيل الخسيس هوس واما النقل فيكفي قوله تعالى في شان
علم السحر « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » وقوله صلى الله
عليه وسلم « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر
زاد ما زاد » وقد تقدم وقول علي بن ابي طالب « يا ايها الناس
اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر

انما المنجم كالكافر والكافر في النار » وما تقدم عن البرادي
والشيخ اسماعيل رحمهما الله وغيرهما في ذم بعض العلوم وتحريمها
مما يشهد ببطلان ما ادعاه من تناخي جميع العلوم للدين وموافقتها
له واستدلاله على ذلك بقوله عز وعلا « قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون » تاويل للاية على غير معناها فهو
محض جهالة ومكابرة وضلالة لان العلم الموصوف صاحبه بعدم
استوائه مع الجاهل انما هو العلم الديني الموصل الى رضى الله
سبحانه وهو العلم النافع لا مطلق العلم كما يتوهمه هذا الجاهل
واضرابه فقد قال ابن يعقوب والدسوقي في معنى الاية « الاصل
هل يستوي الذين يعلمون الدين والذين لا يعلمونه ثم حذف
المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم بحيث صار المراد من الفعل
الماهية الكلية اي هل يستوي الذين وجدت منهم حقيقة العلم
والذين لم توجد عندهم بعد ان كان المراد علم شيء مخصوص
مبالغة في الذم اشارة الى ان الجهال الذين لا علم عندهم بالدين
كانهم لا علم عندهم اصلا وان حقيقة العلم فقدت منهم وصاروا
كالجمادات او كالبهائم التي لا عقل لها ولا علم اصلا بدليل انما
يتذكر اولوا الالباب ويدل على ما قلنا نفيه تعالى العلم عمن
اثبت له العلم بظاهر من الحياة الدنيا مع الغفلة عن الاخرى
فقال عز قائلا « ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا

وهم عن الاخرة هم غافلـون » قال في هميان الزاد عند تفسير الاية « يعلمون مستانف او بدل من قوله لا يعلمون ونكتة هذا الابدال الاشعار بانه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجـاوز الدنيا » وقوله (ويغلب على ظني ان الله تعالى لم يلهم اليه امة من الامم الاروبية لسر عظيم وهو تاخير هدايتهم حتى تـكون على ايدينـا) كلمة نادت عليه بفرط العجب والتيه وجعل بها نفسه هزأة وضحكة عند كل عاقل حتى نسبه بعض الكتاب الى دعوى النبوة

ماتبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

نسئل الله الحفظ والسلامة

خاتمة

في الرد على سائر مقالاتهم اجمالا حسبما تقدم الوعد به منا ولا يخفى على من تصفحها من ذوي العقول انها لم تحـتو الا على صريح شتم وسب يشمئز من سماعه ذو مروءة ولب وعلى دعاوي افكية لم يقم عليها اوهى بينة وحينئذ فالرد على الاول انمـا هو اعراض عنهم لقوله سبحانه وتعالى لنبيئه صلى الله عليه وسلم « واعرض عن الجاهلين » وقوله عز وعلا في شان عباده المومنين « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » واما الرد على القسم الثاني

فيكـفي المنصف فيه ان بطلان الدعوى التي لا بينة عليهـا امر بديهي عند العقلاء

والدعاوي مالم تقيموا عليها ☆ بينـات ابنـاؤها ادعيـاء

وقـال بعضهم « الدعوى بلا برهان مردودة باطلة عنـد كل احد باول العقل اذ ليست اصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها » ويكفي المنصف دليلا على بطـلان ما يبهتونا بـه من قبائحهم كالخيانة والسعاية والكفر والاضلال والعقوق والاكل بالدين تمسكهم في اثباتها واستدلالهم عليهـا بقولهم « فما وجه سخـط ذلك الولي الصالح عليه وهجرانه لـه على مراى منكم ومسمع » فيجعلون مجرد سخط وليهم علينا وهجرانه ايانا دليلا على صحة دعواهم وموجبا للبراءة ممن سخط عليه وهاجره كانهم يرونه من جملة المعصومين ويعدونه في زمرة النبيئين فان قيام الحجة بالواحد في البراءة مختص بذوي النبوة واما غيره كائنا من كان فليس فيها بحجة وانما الحجة عدلان او عدل وعدلتان يبصران الولاية والبراءة كما هو مصرح به في كتب الايمة وهذا اذا لم يخبرا بما وجبت له به معهما البراءة واما ان اخبرا به فلا بد من العلم بكونه كبيرة فان تبرا بهم على ما ليس بكبيرة في الوصف جاهلا لذلك مقلدا لهم لم يعـذر في ذلك ولو كانوا اكثر من عشرة قال الشيخ اسماعيل رحمه الله في القواعد « ومن

تبرا برجل واحد فقد ضل وهلك » ولكن انى يدرك هذا
الجاهل وحزبه تحرير مثل هذه المسالة وهم راغبون عن العلوم
الشرعية مزهدون فيها مفندون راي المشتغلين بها مشغوفون
بالعلوم الفلسفية والحكمة اليونانية ثم انه لفرط تلبيسه ومكره
لم يبين وجه سخط وليه علينا وهجرانه ايانا بل استفهم عنه
تجاهلا وتمويها على الضعفة وايهاما للعامة انه ارتكابنا لشيء
من الرذائل فها نحن نكشف اللثام عما موه به على العوام فنبين
ما وقع فيه بيننا وبين الرجل الكلام فافضى الى ما ادعوه من
العتاب ليظهر لذوي الالباب اينا المتمسك بالصواب ومن اولى
منا بالملام فاقول لا يخفى على جل اهل البلد الموجودين ابان
الخصام ولو من النسوان والعبدان ان ذلك ليس الا عن منازعة
وقعت بيننا في مسائل علمية لا عن ارتكاب رذيلة من الرذائل
القولية او الفعلية . حفظنا الله من كل بلية . ومعلوم ان مخالفة
غير الرسول في مسئلة لا يكون قدحا في المخالف الا ان كان
مخالفا فيها للحق فيلزم المتصدي للتصويب والتخطئة ان يسبر غور
تلك المسائل حتى يميز بين الحق والباطل ولا يعتمد على مجرد
التقليد لمتبوعه ولا على فضله فان الحق يعرف بدليله لا بفضل
قائله لانه ليس وقفا موبدا على احد كما قال الغزالي « من زعم
ان الكفر هو ما يخالف مذهب الاشعري او مذهب المعتزلي او

مذهب الحنبلي او غيرهم فاعلم انه غر بليد قد قيده التقليد فهو
اعمى من العميان فلا تضيع باصلاحه الزمان وناهيك حجة في
افحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه اذ لا يجد بين نفسه وبين
سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا ولعل صاحبك يميل من
بين سائر المذاهب الى الاشعري ويزعم ان مخالفته في كل ورد
وصدر كفر من الكفر الجلي فاساله من اين ثبت له ان الحق
وقف عليه حتى قضى بكفر الباقلاني فيما خالفه ولم صار الباقلاني
اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني
ولم صار الحق وقفا على احدهما دون الثاني اكان ذلك لاجل
السبق في الزمان فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن
الحق للسابق ام لاجل التفاوت في الفضل والعلم فباي ميزان
ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له ان لا افضل في الوجود
من متبوعه ومقلده فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر
على غيره وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم
وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة الى ان قال ولعلك ان
انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه
فهو الى الكفر والتناقض اقرب اما الكفر فلانه نزله منزلة النبيء
المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم
الكفر الا بمخالفته الخ » وجل تلك المسائل مذكورة بدلائلها

وحججها في رسالتنا المسماة بكشف القناع عن مسائل وقع فيها النزاع وغاية ما صدر منا في تلك المسائل اما اختيار الحجة عن تقليده واما ايثار راي بعض السلف لرجحانه على رايه واما انتصارنا لبعض ايمتنا عن قدحه فيه واعتذارنا عليه فمن زعم ان الحق فيها غير ما جنحنا اليه فليات بالدليل عليه يجدنا ان شاء الله مذعنين للحق معترفين بالصدق فان قيل ما دليلكم على اتصافهم بالرذائل التي نسبتموها اليهم وما الفرق بين دعواكم ودعواهم قلت يكفي المتامل بانصاف في مقالاتهم ورسالتيهم شاهدا على ذلك ما فيها من كلمات الطبيعيين والقدح في الانبياء والطعن في المسلمين والجهل بمسائل الدين والاسترسال في السباب والفحش وتسفيه الحق والازدراء بالخلق والرياء وتزكية النفس وتغرير الاحداث وابائهم بالمواعيد الخالبة والاماني الكاذبة الى غير ذلك من الصفات الذميمة فنسئل الله الكريم ان يعيذنا من الحور بعد الكور. والتعرض لاسباب الثبور. ومن مسامحة الاراء. وتقليد الكبراء، واتباع الاهواء.

هذا اخر ما تيسر لنا جمعه من صحيح الادلة في الرد على مقالات تلك الطائفة المضلة وهو اما نصوص قرءانية او حجج نبوية او شواهد ماثورة عن علماء الملة فجاءت بحمد الله رسالة تروي الغلة وتشفي الضعفاء والعوام من العلة. التي تصيبهم

من الاوهام الباطلة. واما اولئك الشياطين المضلين. فسيتعامون عن تلك الحجج والبراهين. ويبادهون بانكار الحق المبين. فلا اطمع في استقامة اعوجاجهم. ولا اخال ان تسكت شقاشق لجاجهم. ولا ان تهدا زماجر حجاجهم. ولكن لا يعود ذلك عليهم الا بالخزي والبور. واما الحق فمثال امره العلو والظهور. وان حاول اخفاءه اهل العناد والشرور. لما عليه من النور. والبيان الذي يثلج له الصدور. ولقد احسن الكندي في قوله:

وهبني قلت هذا الصبح ليل ☆ ايعمى العالمون عن الضياء

نسئل الله ان يعصمنا من سفاسف الاخلاق وسيئات الاعمال وان يوفقنا الى محاسن الفعال واحاسن الاقوال.

ويجعلنا هداة مهتدين ويحفظنا من كيد الكائدين. ويعيذنا من وساوس الشياطين.

ويجود علينا بحسن الختام. ويتفضل بازكى صلاة وسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وامام المرسلين. والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

يقول المعتني بطبع هذا الكتاب وتصحيحه ابو بكر بن ابراهيم تلميذ مؤلفه لطف الله بهما واسكنهما فراديس الجنان قد من الله تعالى علينا بتيسير الطبع واتمامه على احسن نظام فنحمده على هذه النعمة الجزيلة في البدء والختام ونصلي ونسلم على نبيئنا محمد افضل صلاة وازكى سلام وعلى ءاله واصحابه البررة الكرام

هذا وقد وردت علي اثناء الطبع وقبله من بعض اهل البراعة والاذكياء ممن اطلع على هذا الكتاب الخطير الذي لاينكر فضيلته الا شرير تقاريظ نثرا ونظما يهش لها ارباب النفوس الزكية ويمتعض منها ذوو الاخلاق الدنية والقلوب الظلمانية فرايت ان اذيله بها لزيادة التنبيه على فضيلتها وتضاعف الكمد في صدر الشاني لمؤلفها زاده الله نصرة وعزا وبالله استعين

فمنها ما جادت به قريحة الجهبذ النقاده ومعدن التحقيق والافاده فصيح اللسان والقلم ان نثرا ونظم مفخر العلماء الفاضل المدرس بالجامع الاعظم والمصحح بمطبعة النهضة واحد المحررين بجريدتها الشيخ معاوية التميمي

عونك اللهم نستمد. وعلى العناية نعتمد. نحمدك يا كريم على نعمك الضافية. وصنائعك الفاشية. ونصلي ونسلم على الاكسير الاعظم. والملاذ الافخم. واسطة العقد وبدر التمام. وملجأ الكل ولبنة الختام. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وشرف وكرم (أما بعد) وفي كل ناد بنو سعد. فاني قد طالعت رسالة « البراهين القاصفة. لتمويهات متبعي الفلاسفة » التي احكم سداها. وطوح لدى النظار مداها. ذو الفكر الصائب المجدود. العالم البارع الشيخ صالح بن عمر بن داوود. زيف بها مقالتين تدعوان الى اعتقاد اهل الضلالة. وتناقض ما اتقنته يد الحكمة والجلالة. بمقول صارم وصمصامة ذكر. حوت من الادلة عزيزا. ومن الآراء ابريزا. كاشفا عن كل فقرة. مظهرا كل عرة وعبرة.

ما شئت من نقول صحاح. ومرهفات تريك الحق لدى الكفاح. فهو لعمري فخر بني مزاب. وقائدهم الى محجة الصواب. واني لقارع سني ومطيل نفسي من جراء هذه المباحث التي طوي بساطها من عهد دفين. وحصحص فيها الحق وضاح الجبين. فما الداعي للخوض فيها الآن. والتستر خلف طلاء ها والفاظها الحسان.

على وجـه مي مسحة من ملاحة

وتحت الثيـاب العـار لو كـان باديا

ولكن عذيري من اناس قد ارتدوا ثياب الزعامة . وضربوا على نعمة الرئاسة والامـامة . وموضع تئن له النفوس . بدون دراية ولبوس . وياليتهم اقتصروا على هذا المقدار ولم يتجاوزا الى الخوض في المسائل العلمية العالية . كانوا في غنية عنها لو كانوا يعلمون . نقل الشيخ الطاهر ابن مسعود في حاشيته البيانية عن استاذه الشيخ صالح الكواش انه كان كثيرا ما يتمثل في مجلس درسه بجامع الزيتونة اعلى الله منارة بقوله :

« لو سكت من لم يعلم لقل الخلاف » قلت : وهذه منتزعة من الحكمة الرائعة « العلم نقطة كثرها الجاهلون » وها هنا حسن ان ننقل ما اسالته يراعة ابي يعقوب يوسف السكـاكي فيمـن يتطاولون على العلم بدون عدة ضمن خاتمة رد بها على الضلال قال فيها :

« ثم الذي يقضى منه العجب انك اذا تاملت هؤلاء وجدت »
« اكثرهم لا في العير ولا في النفير ولا يعرفون قبيلا من دبير . »
« اين هم عن تصحيح نقل اللغة . اين هم عن علم الاشتقاق . »
« اين هم عن علم التصريف . اين هم عن علم النحو . اين هم عن »
« علم المعاني . اين هم عن علم البيان . اين هم عن باب النثر اين »

« هم عن باب النظم . ما عرفوا ان الشعر ما هو . ما عرفوا ان »
« الوزن ما هو . ما عرفوا ما السجع ما القافية . ما الفاصلة . »
« ابعد شيء عن نقد الكلام جماعتهم لا يدرون ما خطأ الكلام »
« وما صوابه . ما فصيحه وما افصحه . ما بليغه وما ابلغه . »
« ما مقبوله وما مردوده . واين هم عن سائر الانواع اذا جئتهم »
« من علم الاستدلال وجدت فضلاءهم غاغة ما تعلك الا الفاظا »
« واذا جئتهم من علم الاصول وجدت علماءهم مقلدة ما حظوا »
« الا بشم رائح . واذا جئتهم من نوع الحكمة وجدت ايتهم »
« حيوانات ما تلحس الا فضلات الفلسفة وهلم جرا من آخر »
« وآخر . لا اتقان لحجة ولا تقرير لشبهة ولا عثور على دقيقة »
« ولا اطلاع على شيء من اسرار ثم هـا هم اولائكم قد سودوا »
« صفحات القراطيس بفنون هذيانات ولربما ابتليت بحيوانات »
« من اشياعهم يمد عنقه مد اللص المصلوب وينفخ خياشيمه شبه »
« الكير المستعاد . ويطيل لسانه كالكلب عند التثاوب آخذا »
« في تلك الهذيانات الملوثة لصماخ المستمع . ما احلم الاه الخلق »
« لا إله الا انت تعـاليت عما يقول الظـالمون علوا كبيرا ـ اه »

ما كتبه السكاكي وهو يريك صحيفة من تاريخ التراجم على العلميات وانه داء قديم مني به الاسلام .

يحار الانسان مع هؤلاء تراهم مرة ساخطين على الاشتغال

بالتآليف العتيقة والآراء القديمة ويندفع احدهم بملء شدقيه قائلا : اضعنا اعمارنا في الابحاث الفارغة والجدل القبيح وانها عثرة في سبيل النهوض . ثم تراهم مرة اخرى يطنطنون ويهولون بنقل عبارات منها معجبين بها . فماذا يصنع المرء تلقاء هذا التهافت المخجل .

اليس من سداد الراي ان نقصر المسافة للمرتاد . وان لا نوغل به في الآكام والوهاد . فبعيشك قل لي اي فائدة في حشر الفاظ ميتة لضعفاء الفلاسفة بدل واضح الكتاب وصريح السنة . ايقصد الحاشر لها التاثير على الناس كلا ؟ فان المسلمين لا يبغون عن موارد الكتاب والسنة حولا . ام يقصد الاغراب ومخالفة المعتاد . وهو امركم جر الى مرتكبه من ويلات شداد . وانه ليحزنني ويطيل تلهفي ما رايته من انشقاق العصابتين فئة عرفت باستحكام الوحدة والمحافظة على اخلاقها مع الحزم في العمل . ضاعف الله جزاء من سعى ودبر في الكيد ، ونفخ في جدوة الفتنة حبالة للصيد ، وبقى ينظر صنع ما فعلت يداه . فيا ويحه يوم يقف امام خالقه ومولاه .

واني الى الآن ما رايت في كتابة الشيخ صالح بن عمر بن داوود شيئا يخالف العلم الصحيح والمبادي الاسلامية سوى ما يطغى به القلم في الرد على معارضيه . ولطالما جرى بيننا

الحديث في شانه مع ابي المحاسن ذي الاخلاق الفاضلة صديقنا الشيخ يوسف ابن بكير الذي لا احسبه يعدو الانصاف

وقد اعتنت مطبعة النهضة بطبع هذا التاليف ايما اعتناء فجاء يرفل في ثوب قشيب. نشر الله عليه حلة القبول والنشر . وضاعف لمؤلفه نيل المثوبة والاجر .

تحرير في ذي الحجة الحرام عام ١٣٤٢

معاوية التميمي

ومنها ما كتبه مجلي غياهب المشكلات المدلهمة كشاف اسرار البلاغة العالم الاريب الدراكة النحرير الفاضل الامام بجامع بفريك المدرس به الشيخ مولود بن محمد الازهري

الحمد لله الذي رفع العلماء للدرجات العلية . فانتصبوا بكمال الحزم للذب عن حياة السنة الحنيفية . واظهروا معالم الدين فاضحت مبينة مهذبة فروعه واصوله . والصلاة والسلام على القائل « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » وعلى اله وصحبه الذين عززوا بفصيح اللسان . وصارم السنان . مركز الاسلام وكانوا كواكبه وبدوره . فانارروا من بعد ظلمات الجهل مشارق الارض ومغاربها بنور الاسلام ويابى الله الا ان يتم نوره . اما بعد فاني لما اطلعت على كتاب «البراهين القاصفة لتمويهات

متبعي الفلاسفة » لمؤلفه العلامة الفاضل الشيخ الحاج صالح بن
عمر بن داود العلوي وجدته كتابا جديرا بان يتلقى بالقبول اذ
هو كتاب فريد في بابه اعتمد فيه مؤلفه على النقول الثابتة عن
اكابر العلماء والايات الصريحة والاحاديث الصحيحة كما هو
الواجب بمقتضى قوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر » معرجا على الرد
على المتمسكين بشبه الفلاسفة على ان القول الفصل ان المستنكر
اعتقاد مبادي الفلاسفة لا مجرد تعلم علم الفلسفة وان تعلمها انما
يسوغ لمن قدم العلوم الدينية وتمكن من الكتاب والسنة خشية
الزيغ والا فقد ادرج كثير من مسائل الفلسفة في علم الكلام
للحاجة اليها اي للتمكن من الرد على اربابها كما في شرح السعد
على العقائد النسفية نرى علماء السلف اذا ذكروا بعض المسائل
الفلسفية المضرة بالاعتقاد بقولهم زعموا كذا او بالتصريح بفساد
معتقدهم مثل قول صاحب المواقف بعد ان ذكر اراءهم
وحججهم في مبحث الكواكب « والغرض من نقل هذه
الاختلافات ابداء ما ذكروه من الخرافات ليتحقق للعاقل الفطن انه
لا ثبت لهم فيما يقولونه ولا معول لهم على ما ينقلونه اي عن
اوائلهم كما في شرح السيد وانما هي خيالات فاسدة وتمويهات
باردة يظهر ضعفها باوائل النظر ثم البعض بالبعض يعتبر

وقد وجدنا هذا الكتاب داعيا الى الكتاب والسنة
واقوال سلف الامة فهو جدير بقول ابي الطيب

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

نسئل الله التوفيق لاقوم طريق بمنه وكرمه آمين

المولود بن محمد الازهري بيفاريك

ومنها ما كتبه مفخر ذوي الالباب وتاج جبهة الآداب
الماجد النحرير الدراكة الباذل الهمة في خدمة العلوم الهمة
الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي المتطوع بالجامع الاعظم وصاحب
جريدة النجاح

الحمد لله وحده

من الحكمة الالهية الباهرة ان جعل الله بين عباده
مصابيح يستنار بهم في دياجي المشكلات وهم العلماء الاعلام
الذين يهدون الى الناس ما اكسبهم الله من المعارف ولولاهم لما
وجد ائتلاف ولا حسم خلاف فهم بهذه المثابة اشبه بمقوم
الماهيات او اكسير الحياة فالعالم اذا ابدى من كفايته ما فيه
جدوى الكل فقد ادى ما انيط بعهدته

هذا وقد اسعدنا الحظ بمطالعة كتاب البراهين القاصفة

للعلامة الاحظى الاستاذ الشيخ الحاج صالح بن عمر العلوي
وهو كتاب والحق يقال ابدى فيه ناسج برده انفس المكنونات
فهو في ءان واحد يقتطف منه الناظر حديثا صحيحا وتفسير ءاية
ونقل عن السلف العامل باسلوب متين وطريقة ادبية وتحرير
يدل على مكانة المؤلف وقوة عارضته في الحديث والسنة

واثر ما طالعناه اجمالا رجونا الله تعالى ان يكون ذلك
الكتاب وسيلة لرفع الخلاف وواسطة لحل تلك العويصة التي
احكمها اقوام الاغراض بين رجال لا نود لهم الا التوفيق الى
احسن طريق ثم اجدر هذا التاليف بان يكون مطية للتفاهم
لما حواه من القول الفصل

فحيا الله المؤلف وابقاه يعمل عملا صالحا متواليا ينقذ به
امة الاسلام ويرشدهم الى عين الحقيقة ولا غرو فان الشيخ
ممن عرفوا بالفضل والصلاح والسعي في تاييد الشريعة السمحاء
وعلى الله الكمال

عبد الحفيظ بن الهاشمي
المتطوع بالجامع الاعظم بتونس
وصاحب جريدة النجاح

ومنها ما كتبه البارع اللوذعي والنحرير الالمعي مبدع
محاسن الآداب الفاضل الحائز لمنصب الامامة بجامع الصور بشير
عبد المعيد الهاملي

الحمد لله الواجب الوجود. الذي استمد من بحر جوده كل
موجود ، وظهر في جميع الكائنات ظهورا مقدسا عن الناس
بالمحدثات . الفاعل المختار فلا يوجد الا ما اراده من الكائنات.
وسجد لعظمة هيبته ما في الارض والسماوات ، وشهد بوحدانيته
ما له في كل شيء من الآيات ، احمده وما حمدي له الا عطية من
عطاياه القادر العالم. واثنى عليه بما اثنت به العوالم . واصلى
واسلم على اول رسول ارسل في عالم الارواح. سيدنا محمد الذي
اكمل الله به الدين وارشد الخلق به الى الفلاح . وانزل عليه
كتابا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والهمه احاديث
صحاح . وعلى ابينا آدم اول رسول الى الاشباح . الذي علمه الله
اسماء المسميات . ففاز بها على ملائكة السماوات . وعلى المرسلين
اجمعين . الذين اصطفاهم وايدهم بالمعجزات الباهرات والحجج
الدامغة والبراهين . وعلى الال والاصحاب من شادوا
اركان الدين . وقهروا الملحدين . وعلى ايمة الدين الاساطين
الذين قصموا ظهور الفلاسفة وعقدوا السنة الطبيعيين
والدهريين . فجازاهم الله خيرا عن المسلمين اما بعد فقد اطلعني

بعض الاخوان اصلح الله لي ولهم الحال والشان . على رسالة اللفها علامة البدو والحضر . المحقق المحرر المهذب . لما كتب وسطر . الامام المقتدى به الشيخ الحاج صالح بن عمر . مفتي واد ميزاب صاحب القول الصواب . والكلام العذب المستطاب . جازاه الله بالاحسان عن المسلمين . المسماة بالبراهين القاصفة . المفندة لآراء ارباب العقول السخيفة . فالفيتها روضة فيحاء . وحديقة غناء . نبتت الحكم في رياضها ، والحق النافع ماكث في ارضها . والماء العذب الزلال يشرب من حياضها . فاقتطف ايها الشرعي من ازهارها جنى . واجعله اسنة في نحر من على الشريعة جنى ، فلعمر الحق انها قطعت من ذلك الطبيعي النياط . وشقت حلقوما اكثر الصراخ والعياط . تبتهج بها نفوس الاخيار . وتشمئز من حججها نفوس الاشرار . بل هي انوار آيات واحاديث نبوية . من مشكاة مصابيح السنة المحمدية فهي شهاب خارق في قلوب الفلاسفة ومنكري الخوارق . وسم نافذ في افئدة الدهريين ومنكري الخالق . ثم اقول لذلك الطبيعي ومن شاكله ايها المغرور المتحذلق الماجن الهذاء المهذار المتمشدق . ان اردت ارشاد الامة فارشدها بما في القرءان والسنة الصحيحة واقوال الايمة . فهي النصحية ولنعم النصيحة . ولا تضللها باقوال ايمة الفلاسفة والطبيعيين الضالين المضلين

الذين اجمعت الامة على تكفيرهم كما هو مسطر في كتب الراسخين في العلم واليك ما قاله بعضهم في تكفيرهم .

بثلاثة كفروا فلاسفة العدا ☆ اذ انكروها حقا وهي مثبته
علم بجزءي حدوث عوالم ☆ حشر لاجساد وكانت ميتة

واقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة قولهم ان النبوة مكتسبة وان لم يات بها الناظم والى كفر الطبيعيين اشار العلامة النحرير المجمع على جلالته القطب الدردير في الخريدة بقوله :

والفعل والتاثير ليس الا ☆ لواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع او بالعلة ☆ فذاك كفر عند اهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة ☆ فذاك بدعي فلا تلتفت

والحاصل ان المرشد يرشد بالقرءان فانه يحثنا على كل خصلة محمودة . وينهانا عن كل بدعة مذمومة . او باقوال سيد المرسلين . فانها هي الركن المتين الموضحة لكل خير يناله الانسان في الدارين . اوما دونوه لنا الائمة المقتدى بهم ووضحوه وليس في غير ذلك ما يشفي او يكفي وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العلمين

بشير عبد المعيد
الهاملي

ومنها ما كتبه الخطيب المصقع مبدع محاسن الآداب وفخر الشعراء والكتاب الفاضل المدرس بالبليدة ابن بشير الرابحي

نحمدك يا من اطلعت شموس الحق في سماء البراهين الدامغة . وادحض تمويهات الباطل باشراق انوار حجته البالغة . حمدا يليق بجلال عظمته وكبريائه. ويوافي مزيد نعمه وءالائه . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد القاطع لاوصال اباطيل ذوي التمويهات الخادعة . الصادع بالآيات البينات والحجج القاطعة . وعلى آله واصحابه الذابين عن اساس مجد الشريعة النبوية . صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما اسفر صبح الهداية . واضمحلت ظلمات اهل الفلسفة الداجية . وبعد فقد اطلعني بعض الاصدقاء الاعيان . اصلح الله لي ولهم الحال والشان . على هذا التاليف الاسبق البديع والتصنيف الانمق الرفيع، وبعد ما تصفحته الفيته حاويا لاعذب معان . منمقا بجواهر البيان والعرفان. داحضا لاراجيف ذوي الافك والخسران ، وكيف لاوقد املاه مركز واسطة العلوم والفهوم . وقطب دائرة المنطوق والمفهوم. الشيخ الامام . العالم الهمام ، السيد الحاج صالح بن عمر العلوي . امده الله بلطفه الحسي والمعنوي . ولعذوبة مبانيه . وسهولة معانيه . ذيلته بابيات وهي : »

هاذي سيوف الحق سلت ماضيه ★ ام ذي براهين اليقين كافيه

ام ذي عرائس المعاني برزت

ام ذي شموس الصدق اضحت جاليه

مشرقة في افق العقل وفي ★ افلاك الافكار تراها جاريه

فيالها من حجة قد قصمت ★ ظهر ذوي الاهواء عليهم داهيه

حوت من اللفظ الانيق رونقا ★ وللمعاني الرائقات هاديه

وكيف لا وهي للحبر الذي ★ اسدى بنصحه علو ما سانيه

جهبذنا الشيخ التقي صالح ★ نجل الكرام ذو المعالي الساميه

ابو المعارف الشهير العلوي ★ بدر الشريعة البيضاء العاليه

حامي الديانة وكهف الملتجي ★ قامع اهل الشبهات الواهيه

ادمه رب في هناء وغنى ★ وانصر الاهي جند تلك الزاوية

واحي به اللهم رب شعبنا ★ وزده مجدا ودوام العافيه

واخذل مريد السوء واردد كيده ★ في نحره واجعل مناه خاويه

ثم الصلاة والسلام بعد ذا ★ على حبيب الله كل ثانيه

وءاله وصحبه نجم الهدى ★ ما اكتشف الحق قناع الطاغيه

كتبه خديم العلم والعلماء عبيد ربه

ابن بشير الرابحي الاشعري المالكي

ومنها ما كتبه مفخر الادب والكياسة ومعدن التهذيب والسياسة الفاضل المدرس بالمدرسة الاهلية بقسنطينة ابن العابد الصالح

الحمد لله الذي هدى العلماء الاعلام . لرد شبه الفلاسفة الطغام والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالايات الواضحات وعلى اصحابه الذين اظهروا في ميادين النضال عن بيضة الاسلام الحجج الباهرات وبعد فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بالبراهين القاصفة في رد شبه الفلاسفة تاليف حضرة العالم الشيخ الحاج صالح بن عمر بن داود العلوي شيخ جامع بني يزقن فوجدته فريدا في بابه جمع فيه صاحبه احاديث كثيرة وءايات ونقولا مسندة مفيدة للمطلع قريبة المأخذ مما دلنا على اتساع مدارك المؤلف وشدة اطلاعه على الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة فجازاه الله خيرا وجعله خالصا لوجهه ونفع به انه تعالى مجيب للدعاء هادي من يشاء الى صراط مستقيم

كتبه عبد ربه خديم العلماء ابن العابد الصالح المدرس بالمدرسة الاهلية بقسنطينة

ومنها بعض ما كتبه البارع الفطريف الباذل الهمة في خدمة العلوم المهمة اللوذعي الفاضل المفتي بالبليدة ابن قدور احمد

الحمد لله الذي اظهر الحق بادلته على يد علماء الاسلام وادحض الباطل ودخان الهوى ومواد الافك بحذفيراها على التمام حرصا منهم على تسديد قواعد الدين واصوله وهدم كل بدعة قبيحة تفضي الى القوادح وفصوله والصلاة والسلام على من بزغت شمسه في الافاق سيدنا محمد المبعوث رحمة على الاطلاق وعلى آله واصحابه فحول الملاحم القاصمين بعدلهم ظهر كل معاند ومكابر ومداهن ومراغم ما دامت الاقلام تجري في ميادين الطروس مظهرة للقبائح والفضائح الكائنة من بعض النفوس وبعد فقد اطلعني بعض الاحباب المتحلي بالفضائل ونواميس الاقتراب على كتاب ينبغي رقمه بماء العين او الذهب لكونه اشتمل على النفائس والعرائس المكللة بالجواهر والادب المترجم بالبراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة وهو من املاء احد اكابر المحققين ورئيس المدققين العلامة الشيخ الحاج صالح بن عمر لازال حامدا شاكرا لله تعالى وبالاوصاف الحميدة ذكره ينشر ولما تصفحته الفيته سيفا صارما وحجة بالغة فيحق المنصف ان يتناوله باليمين وللاذان آن تكون له صاغية فاسمه طابق مسماه لامحالة ومزق المتهورين كل ممزق ولم يصف الكلام الا له

فجزاه الله عن المسلمين بكل نعمة وكبت اعداءه وسلط عليهم كل
ملة ونقمة ومدلهمة لان من رام ابطال الحق والتشويش على المسلمين
فجزاه المكربة وحشره في زمرة الضالين المضلين فالله در
مؤلف هذا الكتاب فقد قطع الوتين من اعداء الله تعالى الذين
مهدوا قواعد الردى وماجوا وهاجوا بكل رذيلة وطاشت عقولهم
حتى طرحوا كل خصلة شريفة وفضيلة فتبا لاقوام تركوا الحق
الصريح وتمسكوا بالاراجيف والتمويهات ويعتقدون في انفسهم
انهم العارفون الكاملون كلا بل هم الجاهلون الناقصون اعاذنا الله
واياكم من هذا الداء العضال فصاحب البراهين القاصفة من
الذين يعلمون ويعملون والمنازع له بركاكته منخرط في سلك
قوله تعالى بل هم قوم طاغون ولكن من يضلل الله فلا هادي
له ومن سل سيف البغي على غيره لابد ان يقتله واوصيكم ايها
الاخوان باقتناء هذا الكتاب فانه لب اللباب واغتنموا سهولة
رياض ازهاره ولذذوا الارواح والاسماع بصوت اطياره واما
الدعاية وارشاد الحائرين فكلاهما من تسطير الشياطين فلا
تغرنكم تلك الاراجيف فانها محض افتراء وهدم لاساس الدين
الشريف بلا ريب ولا امتراء مد صاحبهما يدي المساعدة بلا حق
لاغراض ..... وقد علمت انه اوهام واخداج وعن قريب
ان شاء الله تسحقه الامواج وتهدم تلك القصور والابراج وقد

قلوا عاش من عرف قدره واشتغل بما يعنيه ولم يتعد طوره
وصرف عنان جواده لما يرضيه فالانسانية والمدنية محصوران
في العلم والادب ومن خرج عنهما فهو اقرب الى العطب والفلسفة
داء عظيم لا يقبلها الا من قلبه وخيم وضرب فسطاطه ببابهم
وكرع من درن حياضهم حتى انطمست بصيرته وتلوثت
روحانيته وبشريته فعندئذ خسر الدنيا وضرتها ولم تقم له
قائمة وختم على انفاسه والعياذ بالله تعالى بالشقاوة
وسوء الخاتمة

سيوف اليقين في استيصال عرق الفلسفيين

وقل لحمار الوقت مهلا فقد اتت
سيوف على راس الكذوب تسلم
فقد ارعدت بالشتم والسب جملة
تحاكي حناديس الظلام واوخم
يسطرها بحر الجهالة والهوى
فقامت بحول الله ضدا تترجم
على عكس ما ادعى وبالخزي اشرقت
وفاحت كجيفة بها الكلب يغنم
جهول عنود مبغض متلاعب ☆ خطول كنود بالديانة يزعم
اراد قصورا اسها من عناكب ☆ يزخرفها للغير بالذل تنظم

فمالت عليه بالاهانة والردى ☆ وافضت بقهره وذاك مسلم
الا ايها الافاك بالله اقلعن ☆ على ماجرى روما فانك اظلم
فقد خضت اوحالا قضت بشماتة
وجعجعت بالبهتان والله اعلم
قطعت حبال الحب عن اهل حيكم
وصرت غريب الدار تبكي وترجم
فراع حقوق الحب والوصل والهنا
وخيم باعتاب لعلك ترحم
فاعليكم حقا على الرغم صالح
فمن شاء فيلؤمن ومن شاء يخرم
قنابل اقلامي على الجري لم تزل
بساحتكم تاتي ولو كنت تحلم
عملت وما قصرت في الضر والخنا
ولا زلت يا كهان للنار تضرم
وانت مهان زائغ بضلالة ☆ تحب شرار الخلق بالله تزعم
فقبل يدا رجلا لشيخ مطمطم
له الفضل والاحسان بالنص يرسم
فلست له كفؤا ومثلا بحجة
تناديك بالالزام والناس تعلم

تسربلت بالخسران والحي شاهد
باضرامك النيران في القلب تحطم
فلا غرو ممقوت وانك ذاهب
الى القعر مغلولا يد البطش تجزم
فلست بذي راي تقاد لك الورى
ولا انت محمود تجل وتكرم
فلا زلت حيرانا ذليلا مكبلا
و تاتيك امواج الزمانة تهدم
ولست لكم ناس وان عاد عقرب
فنعلي لها رصد مدى الدهر احزم
فهذى سيوف العدل تحصد كل من
تطاول بالعدوان بالله تختم

ابن قدور احمد مفتي البليدة

فهرسة اصلاح الخطا الواقع في كتاب البراهين القاصفة

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٠٥	١٢	ومتقدموه	ومتقدميه
١٢	٠٥	بشانه	بشانه واهله
١٤	١٩	الكل ان	الكل على ان
١٥	١٥	تعطيم	تعظيم
٢٠	٠٦	حدثنا	حدثنا
٢٥	٠١	ونشانه	ونشاته
٢٥	١٧	قبل	قبل
٢٦	٠٤	المتيم	الميتم
٣٢	٠٢	فضيع	فظيع
٣٣	١٣	اعظم	اعظم عندك
٣٧	١٠	عقل	عاقل
٣٧	١٦	فقد	فقد
٤٠	٠٦	قال انه	انه قال
٤٠	١٩	نقصا	نقصا
٤٢	١٧	ولو جاء نبيء	ولو جاءني
٥٤	٠٩	من ثمرة	من ثمر

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٦٠	٥	دس	داس
٦٠	١٠	الحطب	الحطب فيها
٦٠	١٩	هي ءالات	انها ءالات
٦٢	١٧	واطمان	فاطمان
٦٣	١	ذلك	ذاك
٦٣	٤	لما	ولما
٦٤	٨	واوتاوا	واوتارا
٧٤	٣	يقذفه في قلب	يقذفه الله في قلب
٧٤	١٩	وهدايه	وهاديه
٨٠	٥	فما ذلك	فما ذاك
٨١	٤	ذك	ذلك
٨٤	٤	بخمسة	بخمس
٨٦	٨	عليها اياه	عليه اياها
٨٧	١٧	مغلوب	مقلوب
٨٨	٥	وهو	هو
٨٩	١٦	كالموضوع	كالموضع
٩٠	١٢	قبل موت	أقبل موت

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٩٠	١٥	اضلاله	ضلاله
٩١	٠٣	لبعضها	لبعضهما
»	٠٥	وقتئد	وقتئذ
٩٦	٠١	ثالله	تالله
١٠١	١٨	قراطيا	قيراطيا
١٠٦	١٦	على ذالك	على ذلك
١٠٩	١٧	صفيرا	صفير
١١١	٠٦	الابوية	الابوة
١١٤	٠٦	عنه	منه
»	١٠	صحيفة	صحيفة »
١١٥	٠٨	جدهم	جرهم
١١٨	٠١	والبشرية	البشرية
»	١١	ذريته	ذريته فنمت
١١٩	١١	من من	من
»	١٣	توقيفة	توقيفية
١٢١	١٢	احداها	احدها
١٢٢	٠٦	ابعثت	انبعثت

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
١٣٠	٤	الرحيم	الرحمان
١٤٦	٢	هناك	هنالك
»	٦	الذي تعظم فيه	التي تعظم فيها
١٤٧	١٩	مزق	مزدق
١٥٣	١٧	وانتظار	وانتشار
١٥٤	٥	رالف	والف
»	١٧	واستخرج	واستخدم
»	١٩	وابتمكار	وابتكار
١٥٥	١٠	وطعن	وطعن فيهما
١٥٦	١٩	من ابيض وسودا	من بياض وسواد
١٥٧	٦	ويابسا	او يابسا
١٦٠	١٠	يتبع	يتبع ولارسول يطاع
١٦١	٦	مايشاء	ماشاء
١٦٨	٤	للمكنات	للممكنات
١٦٩	١٤	جل	أجل
١٧٤	١٧	الرياح	الريح
١٧٦	١٨	الودق	الودق اي المطر

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
١٨٢	١٤	ان لا	انه لا
١٩٦	٢	عبدي	عبادي
١٩٧	٧	المجدح	المجدح »
»	٩	والباء »	والباء
»	١٢	اجعلنني	اجعلتني
٢٠٠	٧	لتجرى	لتجري
»	١٨	لله	الله
٢٠١	٢	وتسييره	وتيسيره
٢٠٣	٢	فقل	فقال
»	٥	الرحل	الرجل
»	٦	تنفيص	تنقيص
»	١٦	يستتره	يستنزله
»	١٩	معتقدون بدون الميم	معتقدون بالميم
٢٠٧	٦	فضيع	فظيع
٢٠٨	١٦	فقال	وقال
٢١٠	٣	والحكة	والحكمة
»	١٠	وتنقصيهم	وتنقيصهم

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٢١١	١	رحمته	برحمة
٢١٤	١٠	والاسماعلية	والاسماعيلية
٢١٨	١٩	ونردفها	ونرد بها
٢٢٠	١٠	ولا	والا
٢٢٢	١٦	في كتابه	في كتبه
٢٢٦	٧	تحته ومن	ومن تحته
٢٣٢	٨	اي الابله	اي البله
٢٣٨	١٠	مامة	امامة
»	١٥	بن هشام	عن هشام
٢٤٠	٩	ولم يجامعوها	ولم يجامعوهن
٢٤٧	٦	لصدق	الصدق
٢٦٢	١	الهيثمى	الهيثمي
»	١٣	في علوم دينه	في دينه
٢٦٣	١٩	صرف	صرفا
٢٦٨	١٤	عن السبيل	عن سواء السبيل
٢٧٤	٧	بالك	ذلك
٢٩١	٩	لعن الله الواشمات	لعن الواشمات

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٢٩٢	١٧	وقعوا	وقعوا فيه
٢٩٤	٨	في اقتائها	في اقتنائها
٢٩٩	٤	بطلب مايضر	بطلب مالايضر
٣٠١	١٥	الترتيب	الترتيب فيه
٣٠٢	٥	الاقرب	القرب
»	٧	الكمالات	الكلمات
٣٠٣	٥	السنى	السني
٣٠٤	١٦	تبعا	تبع
٣٠٥	١٧	وينيغي	وينبغي
٣١٠	٩	وتواصلوا	وتواصوا
٣١٦	١٩	عليه	عليه فيه
٣٢٩	٩	او لمعارف	والمعارف
»	١٤	ودقائقها	وحقائقها
٣٣٨	١	اوالشزا	اوالشرا
٣٤٧	٢	للمستنحي	للمستنجي
٣٥٦	١٣	فاعلها	فاعليها
٣٦١	١٤	الدينئة	الدنيئة

صحيفة	سطر	الخطا	الصواب
٣٦٢	٨	النقاقية	النفاقية
»	١٦	وخطر	وخطر »
٣٦٩	٥	لحسن	كحسن
٣٧٥	٧	نظر	نضر
٣٨٤	١٣	الصعيب	الصعبي
٣٨٧	١٤	فتحقق	فتتحقق
٣٨٧	١٧	العقلي	النقلي
٣٩٩	١١	للسابق	للسابق عليه

﴿ فهرسة كتاب البراهين القاصفة ﴾

لتمويهات متبعي الفلاسفة

صحيفة	
٢	خطبة الكتاب
٤	الرد على عنونة المقالة الدهرية بالعلم والتعليم
٩	الفصل الاول في الرد على قوله ان نحت الحجارة وصنع اللبن الخ
١٥	- الثاني في الرد على قوله كان الانسان في النشاة الاولى ساذجا الخ
٢٠	- الثالث في الاخبار النبوية الناطقة بان ءادم اول البشر
٢٤	- الرابع في بيان الاجماع على ان ءادم اول البشر
٣١	- الخامس في بيان كفر من زعم ان الانسان في النشاة الاولى كان ساذجا مشاكلا للعجماوات
٣٥	- السادس في الادلة على كفر من نقص نبيئا من الانبياء
٤٤	- السابع في الدليل على ذلك ايضا من شرح النيل
٥٠	- الثامن في الرد على قوله ينتجع الكلا الخ
٥٣	- التاسع في الاستدلال على ان طعام ءادم ليس هو الكلا

صحيفة	
٦٣	الفصل العاشر في الرد على قوله ولما انس من نفسه بعض القوة لمطاردة الكواسر الخ
٦٦	- الحادي عشر في الرد على قوله والحاجة كما قيل ام الاختراع
٦٩	- الثاني عشر في بيان ان التعليم الاول فعل لله سبحانه
٧٢	- الثالث عشر في الرد على قوله فالهمته الرجوع الى البصيرة
٧٦	- الرابع عشر في الرد على قوله فاوحت اليه الحاجة مرة اخرى
٨٠	- الخامس عشر في الرد على قوله كانت الغاية التي يطمح اليها الانسان في البداية الامن من غارات الحيوان الخ
٨٧	تنبيه على خطاه في استعمال مثال لما لا يناسبه
٩٠	الفصل السادس عشر في الرد على قوله ثم انقسم الى جماعات الخ
١٠١	تنبيه في بيان خطاه في الفاظ
١٠٢	الفصل السابع عشر في الرد على قوله بعد ان استطابت الاقامة للانسان الخ

صحيفة	
١١٠	الفصل الثامن عشر في الحجج النبوية على ان لغة ءادم ليست بصفير واشارة
١١٩	- التاسع عشر في الرد على قوله لم يعد الصفير والاشارة
١٢٦	- المتم عشرين في الرد على قوله فانسلخ عن الحيوانية المحضة
١٢٧	- الحادي والعشرون في الرد على قوله واقلع عن الخشونة وافتراس ذوات الارواح
١٢٩	- الثاني والعشرون في الرد على قوله وشعر بما في نفسه من القابلية للكمال
١٣٠	تنبيه على بعض مافي عبارته من الخطا اللفظي
١٣١	الفصل الثالث والعشرون في الرد على قوله لما استوطن الانسان شواطء الانهار
١٣٧	- الرابع والعشرون في الرد على قوله واتخذ من الاعشاب والثمار اطعمة صالحة
١٣٩	- الخامس والعشرون في الرد على قوله والف من تقاليده ومالوفاته احكاما لابطال المنازعات الخ
١٤٨	تتمة في ذكر خصائص ءادم عليه السلام

صحيفة	
١٥٠	الفصل السادس والعشرون في الرد على قوله فاتسع فهمه وقويت ذاكراته الخ
١٥٢	- السابع والعشرون في الرد على قوله ابعد هذا يكون المرء عقبة كاداء في سبيل التعليم
١٥٤	- الثامن والعشرون في الرد على قوله كان الانسان في بداية الامر قانعا كما اسلفنا في مغالبة الحيوان الى سلطانه الخ
١٦٥	- التاسع والعشرون في الرد على قوله ان الانسان قد سخر الرياح وسير السحاب الخ
١٦٩	- المتم ثلاثين في بيان احتجاجه تعالى على وحدانيته تعالى بافعاله
١٨٤	- الحادي والثلاثون في بيان شرك من اسند فعلا من افعاله تعالى الى غيره
١٨٦	- الثاني والثلاثون في بيان ان لاخلاف بين الامة في تفرده تعالى بافعاله
١٩٢	- الثالث والثلاثون في الاخبار الناطقة بشرك مسند الحوادث لغيره تعالى
١٩٩	- الرابع والثلاثون في الرد على ادعائه التحكم في المياه

صحيفة

٢٠٣ الفصل الخامس والثلاثون في بيان براءتنا من مقالته

٢٠٥ - السادس والثلاثون في الرد على قوله هل تم ذلك بمجرد الصدفة العميا الخ

٢٠٦ - السابع والثلاثون في الرد على قوله لايستطيع احد ان ينكر ان امامعاشر المسلمين بقية مما كان لاسلافنا الخ

٢٠٨ - الثامن والثلاثون في الرد على قوله ان المدنية التي شمخت به انوف اسلافنا الى السماء الخ

٢١١ - التاسع والثلاثون في بيان كمال الامة في العلم

٢١٧ - المتم اربعين في الرد على قوله ان كل شيء داخل تحت ناموس التطور

٢١٨ - الحادي والاربعون في الرد على قوله وهل يحسن بنا اليوم ان نقتصر في مزاحمة الامم الخ

٢٢١ - الثاني والاربعون في الرد على قوله ان الامم المتمدنة الخ

٢٢٦ - الثالث والاربعون في الرد على قوله والانسان لا يدرك قيمة ذاته الا اذا وازنها بغيره الخ

٢٣٣ - الرابع والاربعون في بيان خطاه في مسمى المدنية

صحيفة

٢٣٥ الفصل الخامس والاربعون في بيان كذبه في قوله انها ليست ملك امة الخ

٢٣٨ - السادس والاربعون في الاستدلال على استحباب مخالفة المشركين في المباحات

٢٤٦ - السابع والاربعون في الرد على قوله ونحن معاشر المسلمين الخ

٢٤٩ - الثامن والاربعون في بيان خطاه في تفسير اية قرءانية

٢٥٣ - التاسع والاربعون في الرد على قوله فبالسعي نحرز على العلم الخ

٢٥٧ تنبيه على ما في لفظه هنا من الركاكة

٢٥٨ الفصل المتم خمسين في الرد على قوله لست اريد بالعلم الخ

٢٦٩ - الحادي والخمسون في الاثار الناهية عن تعلم الفلسفة

٢٨٧ - الثاني والخمسون في الرد على قوله اذ ليس لعلومنا اليوم من الاثر الا جزء يسير الخ

٢٩٣ - الثالث والخمسون في الرد على قوله ان الامم المتغلبة علينا الخ

صحيفة

٣٠٢ الفصل الرابع والخمسون في بيان ما يلزم كل مكلف تعلمه اولا

٣٠٧ - الخامس والخمسون في الرد على قوله واذا لم ننتبه من سكرة الجمود الخ

وذكر فيه من الاحاديث والاثار الدالة على مدح العلم المتعلق بالدين والاخرة وذم المتعلق بالدنيا ما يشفي الغليل

٣١٣ - السادس والخمسون في بيان تلبيسه في قوله ادكروا وانتبهوا الخ

٣١٧ - السابع والخمسون في بيان تلبيسه ايضا في قوله انتشروا في العالم الخ

٣٢٠ - الثامن والخمسون في بيان تدليسه بقوله مزقوا حجب الغفلة

وذكر فيه عن الغزالي مثلا بليغا في الدنيا وشان العبد فيها

٣٢٤ - التاسع والخمسون في بيان تدجيله في قوله حاربوا الجهل بالتعليم

٣٢٥ - المتم ستين في بيان اضلاله العباد بقوله ابعثوا اولادكم الخ

٣٢٨ - الحادي والستون في بيان تغريره لهم بقوله سينقلبون اليكم بالنور والعلم الخ

ذكر فيه المراد بالعلم والحرية اللذين بهما كمال الانسان عن الغزالي

٣٣٤ - الثاني والستون في بيان تفرده بما ذهب اليه

٣٣٦ الرد على المقالة الثانية

صحيفة

٣٣٧ الفصل الثالث والستون في الرد على ادعائه انصرام عهد الكذب والظلم

٣٤٢ - الرابع والستون في بيان كذبه في ادعائه عدم الاحتياج الى المداجات

٣٤٥ - الخامس والستون في نصوص الائمة على الجمع بين الماء والحجر

٣٥١ - السادس والستون في الاحاديث المستدل بها على جواز الاقتصار على الماء

٣٥٨ - السابع والستون في الرد على قوله لا يحسن بنا ان نداجي ونمكر الخ

٣٦٠ - الثامن والستون في الرد على قوله ان العلل الفاتكة بمجتمعنا كثيرة الخ

٣٦٥ - التاسع والستون في الرد على قوله فقد بلينا معاشر المسلمين بطائفة من صغار العقول

٣٦٦ - المتم سبعين في الرد على قوله جعلوا ما اوتوه من بعض المفاهيم الخ

٣٧٣ - الحادي والسبعون في ذكر الاحاديث الدالة على شرف العلم النقلي وذم الراى

صحيفة

٣٧٦	الفصل الثاني والسبعون في ذكر الآثار الدالة على ما ذكر ايضا
٣٨٢	- الثالث والسبعون في الرد على قوله فوقفوا كسد حائل الخ
٣٨٥	- الرابع والسبعون في الرد على قوله ويكفي لامثال هؤلاء من العلم الخ
٣٩٢	- الخامس والسبعون في الرد على قوله وهل يمكن لمسلم ان يعتقد امكان وقوع التعارض بين العلم والدين الخ
٣٩٦	خاتمة في الرد على سائر مقالاتهم اجمالا
٤٠٢	التقاريظ



